
قياديون بلا عقائد
وليد مدفعي
لنه الجندي

الإهــداء

إلى حبيبتي وهي وحدها ..!
تعرف أني حبيبها
لأنها سعادتي وعذابي ..
اشــتياقي ودنياي .

المؤلف

دمشق في ١١/٥/١٩٩٢

الجزء الأول

الفصل الأول

1- تأمل العالم شاين مجسم الكرة الأرضية على طاولته ، وأداره وقال من خلال تأمله للقارات والمحيطات والجزر : ما تزال هذه الكرة البلهاء تدور غير عالمة بالأزمات الكبيرة التي يتعاظم وجودها في كل مكان بدون استثناء ، وان واحدة من تلك الأزمات كافية لاتعاس الملايين من البشر .

وتابع الدكتور شاين هذا الحوار الهام مع عقله الخبير متسائلاً : كيف يمكنني أن أسعد البشر ، معظم البشر ؟ . . وما هي الوسيلة للخروج من أزمة الطاقة وأزمة التلوث ، وأزمة ارتفاع الأسعار والتضخم النقدي ،وأزمة تزايد العنف والاجرام ؟ وكيف تعمل على ابقاء الأوزون متوازناً دون خلل ؟ . .

أقدم العالم شاين بجرأة على وضع تصور جديد لنظام حياة جديدة وضمَّن تصوره فكره الحر وملاحظاته الناقدة ، وصاغ هذا التصور في مشروع محكم ، أطلق عليه اسم « مراجعة الحاجات » من أجل سعادة الانسان . وترجم مشروعه الى اللغة الفرنسية بمشروع « الميني شوز » ودعته الصحف ساخرة بمشروع « مد رجليك على قد لحافك » .

قدم العالم شاين مشروعه الى المعهد الذي ينتمي اليه ، ليحصل

مشروعه على مناقشة حرة ، وعلى تمويل من المعهد ، حتى يضعه موضع التنفيذ ويدعو المتطوعين من جميع أنحاء العالم ، ليصبح حركة علمية عقائدية قادرة على حل أزمات الكرة الأرضية ، وتحقيق السعادة للبشر دون حدود .

كان العالم شاين واثقاً من اجازة مشروعه من قبل ادارة المعهد لسببين أولهما شهرته كعالم جليل ، وثانيهما الجو الديمقراطي المتوفر في مجلس المعهد ، المؤلف من علماء مشهورين ذوي نيات حسنة تجاه الانسانية ، ومن علماء مغمورين وصلوا الى عضوية المجلس بالالتماس وهؤلاء يتهيبون من معارضة المشروع ستراً لجهلهم .

أما عن المعهد فهو واحد من المعاهد العلمية المحظوظة في هذا العصر لأن اسمه المعهد التقني للدراسات الانسانية ، والبحوث الاجتماعية ، ومراقبة التطور الحضاري .وكلها عناوين مطلوبة ومرغوبة في خطب رؤساء الدول ، ويختصر اسمه على أسلوب الاختزال بتجميع الأحرف « ليمداستيسان » وقد يبدو الاسم المختصر أصعب لفظاً من قراءة اختصاصات المعهد الكثيرة ، ولكن الاسم المختصر ضروري كشعار للمعهد بين أمثاله من المؤسسات الحاضرة على الساحة الدولية .

ساعدت التبرعات التي حصل عليها المعهد في مواسم القلاقل السياسية ، الادارة على امتلاك أرض واسعة ، واشادة عدة أبنية ، كانت تميز بسهولة في ضاحية باريز ولكن توسع المدينة المطرد عبر السنين تجاوز أبنية المعهد ، فصارت وسط منطقة مزدحمة بالسكان . وكانت ادارة المعهد منتخبة حسب دستور المعهد من أشخاص كثيرين ولجان متعددة ، انما كانت الادارة الفعلية بيد أمين السر الدكتور برهام

مع وجود رئيس المعهد المفروض على الرئاسة بصورة دائمة بسبب المساعدات المالية وهو المسترتوم .

2 – تخلف الدكتور شاين عن حضور جلسة المناقشة ، حتى لا يحرج أحداً من زملائه بالتصويت لصالح مشروعه دون اقتناع ، وتحت ضغط الصلات الحميدة التي تربطه بهم ، مما قد يضطره في المستقبل الى موقف مماثل على أسلوب « حك لي لاحك لك » . وان غياب مقدم المشروع عن الجلسة تقليد قديم ، يلتزم المثاليون به في سالف العصر والأوان ، لكن الأفكار المنهجية والبراغماتيه أبطلت هذا التقليد وجعلته نسياً منسياً .

افتتحت الجلسة في قاعة الاجتماعات الفخمة في المعهد التقني بأبواق السيارات وصفارات الانذار الخاصة بسيارات الطوارىء ، مما دعا رئيس المعهد المسترتوم الى التساؤل ، موجهاً كلامه الى أمين السر : دكتور برهام . . متى كنا نفتتح جلساتنا بأبواق السيارات وضجة كل آليات العصر المنتقاة حسب أمزجة مدراء البوليس .

رد أمين السر موضحاً : أنا لم أفتتح الجلسة بعد . . ما سمعناه حتى الآن من ضجيج ، حصل نتيجة وقوع حادث اصطدام على الطريق أمام المعهد . ويبدو لي بعد ما انضمت المرأة الى زمرة مالكي السيارات ، ان السيارات ستكثر من حوادث الصعود على الأرصفة المخصصة للمشاة .

قال الرئيس : مالنا ولازمة الازدحام في المدن الكبيرة . . نحن الآن في صدد البحث عن حل لفترة هدوء ، لنناقش الحضارة القائمة على ضوء مشروع الميني شوز . . تريد هدوء لنحل مشكلة الضوضاء .

همس الدكتور برهام في أذن توم : لن تجد فترة هدوء لأن المدينة طوقت المعهد من كل جوانبه .ولا هدوء بعد الآن حتى ننتقل من جديد الى الضواحي .

تنهد الرئيس تنهدة طويلة حسرة على الوضع وقال: هل تنتظر أن تؤجل الجلسة المعلن عنها ، ريثما نبيع أملاكنا ونشتري أرضاً جديدة ونقيم أبنية جديدة في عدة سنوات . أخشى أن نصاب جميعاً في العالم بحالة عصابية .

ـ سنستغني عن قاعة الاجتماعات وننتقل فوراً الى قبو المعهد ، أعتقد أن جو القبو أقل ضجة .

ابتسم الرئيس وقال : بلغ الزملاء أن ينتقلوا الى القبو ، فلسنا أول مجتمعين في العالم يستغنون عن قاعتهم الحضارية ليجتمعوا في مكان غير مناسب .

* * *

لم يكن القبو معداً لمثل هذا الاجتماع الخطير ، فهو غير مكيف ، وتنقصه المقاعد المريحة ، ولكنه يظل أفضل بكثير من القاعة الرئيسية ، للهدوء المتوفر في أرجائه .

وقف أمين السر الدكتور برهام وافتتح جلسة المناقشة بقوله : باسم التكنولوجيا الحديثة ، وباسم الدراسات الانسانية المشرقة ، وباسم البحوث الاجتماعية الهادفة ، افتتح جلسة المعهد « ليمداستيبان » لمناقشة مشروع الميني شوز والتصويت عليه وسيشرح لنا رئيس المعهد الأهمية الحيوية البالغة لمثل هذا المشروع الجليل .

حاول رئيس المعهد أن يتحدث ، ولكنه ما كاد يفتح فمه ، وينطق العبارة الا ولى حتى سمع الحضور نباح كلب شديد ، فضحكوا

بشدة وانحنى الرئيس غاضباً نحو أمين السر وقال له : دكتور برهام . . هل ابتعدنا عن ضجة الشارع ، لنتمتع بنباح كلب ؟

ـ سيدي الرئيس . . هذه الكلبة ميلا حارسة المبنى ، واسمها مدون في سجلات المعهد ، لأننا نصرف عليها من موازنة المعهد .

ـ هل تنتظر أن أوافق على انضمامها الى الاجتماع وسماع رأيها ؟

ـ لا ياسيدي . . ولكني قصدت انها تقيم في القبو ، قبل أن ننتقل اليه وقد وضعت منذ أسبوع عدة جراء .

ـ هل تنتظر مني أن أقوم بزيارة لها ولجرائها على اعتبار أنها في وضع نفاس .

ـ قصدت أنها مرضع ، ونحن دخلاء عليها ، ولكني ساطلب من الآذن ان يخرجها الى الحديقة فوراً .

ـ خيراً تفعل يا سيد برهام وبأعجل ما تستطيع ، لأن الانسانية تنتظر حلولنا بفارغ صبر .

* * *

أبعدت الكلبة ميلا عن مركز الاجتماع ، وتحقق الهدوء ، وعاد الرئيس الى محاولته التحدث مخاطباً أعضاء المؤتمر فقال : حضرات الزملاء الأكارم ، نجتمع اليوم وأمامنا قضية خطيرة . .

ولم يستطع الرئيس أن يواصل كلمته ، لأن سعالاً تشنجياً علا في فضاء القبو وقطع كلام الرئيس ، الذي اضطر الى معاتبة زميله قائلاً : هل يستطيع الزميل أن يضبط سعاله ريثما أنتهي من القاء كلمتي .

رد الزميل مجيباً : أنا آسف جداً حضرة الرئيس . . السعال كما تعلم زفير قسري ، يخرج الهواء من الرئتين على دفعات ، وهو مرتبط

بفعل منعكس شرطي لا ارادي يحقق ذاته ، ولا يخضع للعقل . وأسبابه كثيرة تجاوزت الكشوف الطبية ، فما زال الطب عاجزاً في كثير من حالات السعال التي استعصت على مسكناته .

قاطعه الرئيس مستفسراً : أهي محاضرة معدة عن السعال ؟ ؟

ـ بل محاولة لتبرير موقفي الحرج ، لأنني لم أكن مصاباً بالسعال قبل قدومي الى الاجتماع . . تملكني السعال اثر تحسس برطوبة القبو ، وبتأثير دخان السجائر الذي ملأ علينا الهواء ، فصرنا ندخن معكم ونحن في غنى عن التدخين ، ولا سيما أن معظمكم من المدخنين الميامين ، على الرغم من بحوثكم الطويلة في مضار التبغ .

قاطعه الرئيس ثانية : هل نحن في برنامج نصائح وعبر ، أم نحن في جلسة علمية لمناقشة مشروع الميني شوز . ؟

ـ أنا شخصياً أرى مضار التدخين في الحضارة القائمة ، من صميم مناقشتنا التي تتناول مراجعة الحاجات ، لأن التدخين عادة مستهلكة لجهود انسانية ضائعة .

اقتنع الرئيس بكلام الزميل ولم يجد بدأ من الابتسام له والموافقة فقال : أشكر الزميل على ملاحظاته القيمة ، وأرجو أن يمتنع الزملاء عن التدخين ، وله أن يسعل بكل قواه متى شاء .

اعترض الزملاء على منع التدخين ، بحجة أن التصويت لم ينته على مشروع مراجعة الحاجات ، فشعر أمين السر بحراجة الموقف تحت ضغط الخلاف الذي ظهر وضغط ظروف الاجتماع السيئة في القبو فنصح الرئيس بصوت خافت قائلاً : أوجز حضرة الرئيس واختصر الجلسة بقدر الامكان ، فطالما اتخذت مجالس كثيرة قرارات أكثر أهمية في جلسات أقصر مدة وفي ظروف أشد سوءاً في تاريخ البشرية وصار

لها عواقب وخيمة ، نحن على الأقل لا نعلن حرباً على أحد وانما نعمل على فك أزمات الانسانية .

شعر الرئيس المستر توم بالارتياح بعدما أعرب أمين السر برهام عن موافقته فاشتد صوته مخاطباً أعضاء المجلس : حضرات السادة أعضاء مجلس المعهد ليمداستيسان ، سأقرأ عليكم الفقرة الأخيرة من مشروع البروفسور شاين ، اختصاراً للوقت .

يقول البروفسور : على أننا اذا أهملنا التدخل في مدنية العصر فانها ستقودنا الى كوارث واضحة . يجب أن نعود الى حياة خالية من التمدن لنحرر العقل دفعة واحدة ، ونضع حلولاً لكل المشكلات القائمة في العالم ، من تلوث وتسلح واجرام وتمكن العقل البشري حتى يجد منطلقات تكنولوجية مريحة ومختلفة عن منطلقات التمدن المفروض علينا بقسوة من القوى المسيطرة ذات المصالح الواضحة في استمرار هذا التمدن الكاذب .

ختم المستر توم كلمته بقوله : من يريد أن يعقب ؟ ؟

طلب الاذن بالكلام مدير ادارة الدراسات الانسانية وقال معقباً : نعم أيها الزملاء . . ان تشبثنا بما صنعه الانسان القديم ، في ميدان استخدام الحجر والخشب والمعدن ، قد أوصلنا الى ما نحن فيه ، وقوقعنا ضمن هذه الموجودات ومشتقاتها وان العودة الى الحياة الطبيعية البدائية سيجدد التعايش مع الطبيعة . . ومن يدري كيف يتصرف الانسان البدائي المفترض !! قد ينتج بيسر وسهولة ناراً غير التي عرفناها وصرنا عبيداً لها في تطورنا وعلومنا وطراز معيشتنا .

أيها الزملاء . . ان ايحاء الطبيعة أرحم من أن تشوي عقولنا بنار واحدة ، وان حدود العقل أرحب من أن نأسرها بحادثتي الأكسدة

والارجاع . انني أؤيد مشروع العالم شاين وأدعو معه الى اعادة النظر في الحضارة القائمة من أجل خلق حضارة مراجعة الحاجات .

سمح الرئيس بالكلام لعدد كبير من الأعضاء ، الذين ناقشوا المشروع من وجهات نظر عديدة ، رفض بعضها المشروع جملة وتفصيلاً ، ثم أعطى الاذن بالكلام لامين السر الدكتور برهام ، الذي تحدث مستفيداً من نقد زملائه ومن أفكارهم فقال : أؤيد اعادة النظر في كثير من وجوه المدنية القائمة ، وأعطي مثالاً على ذلك تعلقنا بالمشروبات الروحية الكحولية التي تجلب المسرة ولكنها تضر الصحة وتدمر العقل ولا بد أن يوجد في الطبيعة الغنية ذات التنوع الوافر نباتات غير التخمر السكري تجلب المسرة ولا تدمر خلايا المادة السنجابية الرهيفة في المخ .

ثم استرسل قائلاً : ولكني اقترح مشروعاً معدلاً عن مشروع البروفسور شاين ، الا وهو أن ننتزع مجموعة من المتطوعين من العصر الحاضر ونرسلهم في رحلة في ماضي الانسان ، ونتابع ردود أفعالهم ، ونلاحظ حاجاتهم النفسية والمادية خلال اقامتهم حتى حصولهم على السعادة في جو الطبيعة الخالية من مؤثرات العصر الزائفة وذلك حتى لا نفرط بالمدنية القائمة وما يتبعها من حضارة ، فقد لا يتسنى لنا بناء أفضل منها ، لأنها حضارة ومدنية جبرية في نظر القدريين .

وافق الرئيس على كلام أمين السر وصفق الأعضاء اعجاباً ، وتم التصويت بالموافقة على مشروع الميني شوز المعدل بأغلبية الأصوات ، وأثبتت الديمقراطية مزاياها الحسنة .

◆ ◆ ◆

الفصل الثاني

1 – نهض البروفسور شاين من سريره باكراً على رنين جرس الهاتف ، وشعر بانزعاج ممض لدوي رنين الجرس في أعماقه فهب مضطرباً : هل نحن بحاجة حقاً الى كل هذه الأجراس من حولنا لتوتر أعصابنا طوال اليوم ، ألا يكفينا توضع جرس المدرسة في اللا شعور فما زلنا نحلم برنينه في نومنا وما زلنا نحلم بقاعات الامتحان واللجان الفاحصة حتى ونحن على أبواب الخمسين من عمرنا .

أمسك شاين الهاتف فسمع صوت الدكتور برهام يهنئه بقبول مشروعه ويواعده للقاء فوري . وضع السماعة واسترسل مع أفكاره : يالها من حياة مدنية مجرسنة كأفعى الكوبرا التي ترن مع كل حركة ، ونحن لا نتحرك في هذا العصر إلاّ لنرن جرساً ، لم لا نحذف الأجراس المثيرة للأعصاب من حياتنا ، جرس الهاتف جرس المدرسة جرس المستخدمين جرس الانذار ، حتى صَلاتنا اقترنت بجرس .

ورن جرس الباب فاتجه ملبياً نداءه، ودخل الدكتور برهام مقطباً بينما كان شاين يقول : اختار الانسان القديم بغباء رنين المعدن ليخترع مصوتاً كالجرس فظلمنا الوف السنين ، ساحذف الأجراس لأخلص الناس من أمواجها الصوتية المثيرة وأفضل ان أستوحي صوت البلابل لآلات العالم الجديد .

لوح برهام بجريدة جلبها معه أمام شاين وقال غاضباً : هذه هي الصحيفة الوحيدة التي نشرت الخبر .

لم يهتم شاين بالجريدة بل تابع : فكر معي دكتور برهام . . كأن لهذا العصر ولعا بالأصوات الوحشة ، فنحن نتابع اللصوص والمجرمين بصفارات الانذار ذات الأصوات الحادة التي تقع في منطقة التوترات العالية المقززة للنفس ، والمنفرة للسكينة ، والمولدة لمغص عاطفي وكأننا نسعى الى اثارة المجرم وزيادة شراسته ليطلق الرصاص ، ثم ندعوه ببلاهة الى الاستسلام ، أليست دائرة البوليس غبية وروادها الأمريكيون أكثر غباء ؟ . . لم لا نسمعه موسيقى حسنة ، لم لا ندعو اللصوص بتسجيلات رحمانية لنخفض من استفزازهم ؟ . .

اجاب برهام : أنت على حق . . ولكن صحيفة واحدة فقط اهتمت بنشر الخبر في مكان مهمل من صفحاتها الداخلية .

ـ ليس بين أيدينا آلة واحدة درست من حيث صوتها لتكون غير منفرة للأسماع حتى لا نصاب بمرض العصاب الذي يكاد يكون سمة من سماتنا في هذا العصر .

ـ لم يعجبني موقف الصحافة .

ـ يا له من عالم جميل ، لو اهتم المخترعون بالصوت ، لو حدث ذلك لعشنا عالماً مريحاً ، لعشنا مدنية منشدة رائعة . لقد اهتم المخترعون باللون ولكني سأهتم بالصوت ، سأبدل كل الأغراض المصوتة في منزلي ، سأجعل جرس البيت يعزف سوناتا ، وسأجعل الهاتف يغني بصوت جميل أو سأجعله ينادي باسم المطلوب قبل رفع السماعة .

ـ بروفسور شاين لن نستطيع تغيير شيء على الاطلاق اذا لم تنتبه الى كلامي ، خذ واقرأ كيف نشر الخبر في الصحيفة .

كلف المعهد التقني « ليمدا ستيسان » البروفسور شاين وأمين السر الدكتور برهام بالاشراف على تنفيذ مشروع « مد رجليك بقدر لحافك » ، ورصد المعهد مبلغاً أولياً مقداره عشرة ملايين للبدء في المشروع .

ألقى شاين بالصحيفة وقال : سنعيد النظر في المؤسسات الصحفية كلها لأن الصحافة في العالم من أمراض العصر وليست دليلاً على صحته . ان الصحافة كمؤسسة تستهلك أكثر من حقها ، ويتقاضى العاملون فيها أجوراً عالية ، ودفعات سرية ، وهبات علنية ، تجعلهم مفسدين في البلاد بعد وقوعهم بشباك الحكام الديكتاتوريين وأصحاب المنافع ، سنبدل البناء الحضاري ونضم الصحافة الى المهملات من حوائج الانسان .

ـ إياك يا بروفسور أن تشعر الصحافة بموقفك المعادي ونحن ما زلنا في أول الطريق والا فقدناها كنصير لنا ، سنبدأ أعمالنا بتنسيق تام مع الصحافة .

ـ هل تطلب التنسيق مع الصحافة ، بينما تستهلك جريدة واحدة على سبيل المثال شجر غابة كاملة ورقاً في عام واحد . وكل ذلك لتصدر ملاحق تافهة لا تثقف الناس بقدر ما تشوش رؤيتهم الفطرية للحياة وتضللهم ، انها واحدة من المصائب الكبرى التي أزالت الخضار من سطح الكرة الأرضية وكانت أشد بلاء من الجراد .

ـ أرجوك يا بروفسور أن تترك لي العلاقة مع الصحافة والصحفيين ، والا بقي مشروعنا حبراً على ورق ، نحن بحاجة الآن

الى مؤيدين والى متبرعين ، والى دعاية حسنة ، ولن يتم هذا الأمر على أحسن وجه الا بمساعدة الصحافة . للصحافة وجهان . . وجه شرير هو وقوعها في أحضان المتفعين والضالين ، ووجه نبيل هو وقوفها الى جانب المظلومين والبؤساء . انصرف الى العلم يا بروفسور ودعني أسيطر على الوجه النبيل للصحافة .

2 — ما كاد الدكتور برهام يغادر شقة البروفسور شاين ، حتى هب شاين الى جرس الباب وربط تياره مع مسجلة صغيرة ومضخم للصوت يعطي ألحاناً جميلة مع كل قرع للجرس .

ثم انتقل الى تبديل الأجراس الأخرى في منزله ، ولم ينته من ترتيبه حين سمع أصواتاً بشرية تجمهر أمام منزله ، وعلت ضجة مزعجة تفوق حد الوصف . وكانت الضجة تضم صوت أبواق سيارات ودراجات نارية تعول ، وقد ميزت أذنه اسمه مهتوفاً له بين الحين والحين ، فاستغرب أشد الاستغراب ، أن يذكر اسمه وسط هذا الخليط العجيب من الصراخ والضجيج .

دهش شاين ، وازدادت دهشته حين سمع صوت الحشد يتقدم نحو شقته فخاف وتملكه الذعر ، فهرب ليختبىء في غرفة معزولة في منزله وذات باب واحد أغلق الباب ودعمه بطاولة .

سمع صوت طرق شديد على الباب ، ثم سمع صوت تحطيم الباب الذي لم يعد عائقاً أمام الحشد الكبير .

تمركز الحشد المندفع الذي كان يقوده الدكتور برهام في الصالون متابعاً هتافه للبروفسور ، بينما ابتعد برهام في اتجاه الغرف باحثاً عن زميله متوجساً من عدم ظهوره منادياً اياه : أين أنت يا بروفسور شاين ؟ . . هل أنت مخنوق بالغاز أم مصعوق بالكهرباء ، أم مغمى

عليك في الحمام ؟ . . أم واقع من أعلى السلم ؟ أم متسمم بمعلبات العصر . .

ردد برهام توقعاته متنقلاً من غرفة الى أخرى ، حتى سمع صوت البروفسور يرد عليه من الغرفة المعزولة ويفتح له بابها ، فاطمأن على وجود زميله حياً فقال : الحمد لله على سلامتك . . خشيت أن تكون مصاباً بواحدة من مصائب المدنية المصنفة في دوائر الاسعاف ولجان هيئة الأمم .

ـ سمعتك تردد قائمتها الطويلة دون أن تستطيع لها حصراً . .

ـ لم أنت معتكف في هذه الغرفة ؟ ؟

ـ كنت أتوقع أن يدخل عليّ رجال المطافىء من النافذة ويسكبوا المياه من خراطيمهم على رأسي ، لأن أحدهم شاهد دخان سيجارة ينبعث من شقوق النافذة فهتف لهم . أو أن تنقض على سطحي نفاثة تعطل في محركها برغي حقير بعد دفع رسوم الصيانة التامة . . ولكني لم أتوقع أن يعود زميلي في العمل مع حشد عجيب ليدخل عنوة الى منزلي .

ـ توجست شراً لأنك لم تفتح الباب . فلجأت الى تحطيمه خوفاً عليك . هيا معي لمقابلة الحشد .

ـ لا أرجوك . . اعتكفت في هذه الغرفة خوفاً من حشدك .

ـ سأصرفهم حالاً وأبقي الصحفيين ، لا تتأخر عن الظهور .

* * *

صمت الحشد في غياب الدكتور برهام ، ثم عاد الى الجعير في حضوره هاتفاً بحياة منقذ الانسانية المعذبة البروفسور شاين وباسم المعهد التقني وأمين سره الدكتور برهام ، بينما كان مصور الفيديو يلتقط

صوراً لوجوه الهاتفين وعروق رقبتهم المتضخمة من الحماسة الشديدة لمشروع مراجعة الحاجات .

أشار برهام بيده طالباً منهم السكوت وقال : أشكر الشباب النضر الذي ساهم في هذه المسيرة التاريخية لنصرة مشروع مراجعة الحاجات ، الذي سيضع حداً لتلوث الكرة الأرضية وسيخلصها من الاجرام ومن الاشعاع القاتل ومن جشع المصنعين ، ليؤمن لكل انسان حياة موفورة الكرامة خالية من الأمراض .

وأرجو أن تنصرفوا الآن ، ليقابل البروفسور شاين الصحفيين ويجيب عن أسئلتهم ، وأتمنى لكم جميعاً حياة سعيدة ومستقبلاً زاهراً في ظل حركتنا العظيمة الرائدة حركة الشباب الطليعيين . والسلام عليكم .

• • •

لم يكد البروفسور شاين يظهر في الصالون بعد انصراف المسيرة حتى فاجأه الصحفيون بتطويقه وقال أقربهم : بروفسور شاين ابتسم من فضلك ، أريد لجريدتي صورة فرحة . بينما قال الثاني : فكر . . أريد صورة العالم وهو يفكر . واقترح الصحافي الثالث على البروفسور : البس الروب دي شامبر لأن قرائي يفضلون رؤية العظماء بلباس المنزل البسيط .

رد العالم شاين على الصحفيين بلهجة ساخرة : أتريدون أن أدخل الحمام أيضاً ؟ . .

ودهش حين نظر الصحفيون باهتمام الى اقتراحه ، وقال أقربهم : ذكرتني بصورة لسوكارنو التقطت له في الحمام ، فتناقلت وكالات الأنباء الصورة وعممتها ، ليتك تمكنني من الحصول على

صورة مثلها « العالم شاين يستحم » بينها قال الثاني يمارس العظماء حياتهم كبقية الناس ولكن صور حياتهم الخاصة تسر القراء . وعلق الصحافي الثالث : لقد ملّ الجمهور من وجوه المشهورين المنشورة على شاشات التلفيزيون ، وملصقات الجدران وأغلفة المجلات وصفحات الجرائد ، حتى صارت أقفية الحكام قبل الانتخاب وبعده أشد جذباً لانتباهه .

تابع شاين سخريته من الصحفيين قائلاً : هل أدير لك ظهري لتلتقط صورة لقفاى . ؟

صرخ الثلاثة برغبة : حبذا لو تفعل في الحمام ستنفد صحفنا في ساعة واحدة . أحس العالم شاين بالاغتراب للفارق الواضح بين رغبته في عالم معقول وبين رغبة الصحفيين في عالم مجنون ، فالتفت متفقداً الدكتور برهام ، وبقيت لهفة الصحفيين في الحصول على صورة لقفاه واضحة في عيونهم تنتظر جوابه فقال : سأمنحكم الصور التي تريدونها لأتأكد من المدى الذي بلغه جنون العصر على أيديكم ، كلما حاولنا نحن العلماء دفعه في طريق العقل . اجلسوا الآن ودعونا نتحدث في أمور تهم سعادة الناس . . . أين الدكتور برهام ؟ ؟

جلس شاين وجلس الى جانبه الصحافي القريب منه وقال : أظن الدكتور برهام نزل مع المسيرة الى الشارع لوجود خلاف بينه وبين المتعهد الذي رتبها نزل ليسوي قضية مالية .

استغرب شاين قول الصحافي وقال : أيدفع مالاً ونحن نعمل في قضية انسانية ؟ ضحك الصحفيون ورد الأول : لم يعد أحد يضيع وقته دون ربح في هذه الأيام ، وقال الثاني : ألا تعلم ان الأحزاب العقائدية مأجورة في هذه الأيام ، وقال الثالث : ليتك رأيت وجوههم

وهم يهتفون لعرفت أنهم مأجورون ، فقد أخطأوا مراراً في ذكر اسم المشروع واسم المعهد ولفظوا بصعوبة اسمك الكريم يا دكتور شاين .

عاد الدكتور برهام في هذه اللحظة وكان يصرخ غاضباً : صار الجشع سمة الناس كلهم ، لم يعد أحد يقنع بالقليل سواء كان العمل انسانياً من أجلهم أو كان من أجل مرشح سياسي كاذب ، أقسم أنني استأجرت مسيرة أضخم من هذه ومشت يومئذ ضعف هذه المسافة بنصف هذا المبلغ عند تأسيس المعهد التقني .

سأل شاين زميله : لم هذه الأساليب يا دكتور برهام ؟ اندفع مالاً دون طائل ونحن نعمل في مشروع مراجعة الحاجات من أجل صراخ حناجر كاذبة ؟

رد برهام انصرف يا زميلي الى البحث العلمي ، واترك لي هذه الأمور التافهة ، حتى لا تفقد صفاءك النفسي ، حتى العمل الوطني حولته المخابرات الى منفعة متبادلة . دعونا نعد مقابلة صحفية تبرز أهمية مشروع مراجعة الحاجات وغاياته الانسانية النبيلة .

لم يكن من السهل الوصول الى مقابلة ترضي كل الأطراف للخلاف العميق بين وجهة نظر العالم شاين ووجهة نظر الصحفيين ، فالعالم شاين يرغب في أن يشرح الأفكار العميقة والنواحي الفلسفية التي يتضمنها مشروعه ، بينما رغب الصحافي الأول في أن يوجز العالم شاين حديثه الفكري ويتوسع في التحدث عن نفسه وعن حياته الشخصية وخاصة الجانب العاطفي منها ، وقال الصحافي الثاني : أنا سمعت المسيرة تهتف في الشارع فلحقتها وما يهمني هي الشعارات التي طرحتها المسيرة ، لا للتلوث لا للعنف ، لا للتسلح . وقال الثالث : قراء مجلتي يحبون المواضيع الخفيفة التي لا تتعب الذهن .

تدخل الدكتور برهام واتفق مع الصحفيين على أن يبرزوا أهمية المشروع وأهمية اختصاصات العالم شاين بالأسلوب الذي يراه كل منهم ملائماً لصحيفته .

وأكد على أن المعهد التقني سيكون كريماً دائماً مع أصدقائه ، لأنه سيخصص عشرة بالمائة من ايراده للدعاية والاعلان .

انصرف الصحفيون ، واحتج العالم شاين على رصد مليون للدعاية من أصل المبلغ المخصص لتمويل المشروع ، ولكن الدكتور برهام رد عليه : لسنا مبذرين . .انه مبلغ تافه لا يكفي لاصدار نشرة خاصة دائمة عن تطورات مشروعنا دعك منَ الوقت المهدور في اعداد النشرة والجهد الضائع من أجل توزيعها ، أؤكد لك أنها صفقة رابحة لنا جميعاً .

3 — لم تشف المقالات الصحفية غليل الدكتور برهام في الوصول الى خطة اعلامية قوية ، توصل شعارات مشروع الميني شوز وحركته الرائدة الى كل انسان في الكرة الأرضية . كان برهام يطمح الى امتداد واتساع أعلاميين يغطيان كل القارات حتى يسمو المعهد التقني الى مرتبة تجعله قادراً على تحريك الجماهير وعلى تغيير أنماط معيشة الناس وعلاقاتها بعبارات بسيطة تصدر عنه .

فكر برهام طويلاً وقرر أن يعتمد على احدى الاذاعات القوية بثاً وانتشاراً فاستمع طوال عدة أيام الى اذاعات متباينة ، حتى اختار اذاعة « مونت ماريبا » لأنها تقدم برامج دعائية على نطاق واسع ، وتخيل برهام برنامجاً يذاع يومياً من تلك الاذاعة ينقل شعارات مشروع الميني شوز ويؤيده .

بادر برهام فوراً بالاتصال بمكتب اذاعة « مونت ماريبا » في باريز

وحلد موعدا مع مدير مكتبها المسيو شارل .

رحب المسيو شارل بضيفه أمين سر المعهد التقني وأنصت اليه ملياً وهو يشرح أهداف مشروع الميني شوز التي تتلخص في تقليص الاستهلاك وزيادة سعادة الانسان بتلبية حاجاته النفسية وتخفيف الضغط على أعصابه .

ابتسم المسيو شارل وقال : هل تنتظر مني أن أنضم الى مشروعك يا دكتور برهام وأنا مدير مكتب اذاعة تعتمد على الاعلان التجاري ؟ .

ـ انتظر منك أن تخصص لنا وقتاً في برامج اذاعة « مونت ماريا » .

ـ انا مدير مكتبها في باريز ، وليست لي صلاحية كافية تمكنني من تخصيص مثل هذا الوقت للمعهد التقني .

ـ لا تتواضع مسيو شارل ، لو لم تكن واحداً من أبرز المدراء لما اختاروك لأهم مكتب . سعيت اليك بعد بحث وتمحيص جديين .

ازداد اهتمام المسيو شارل بضيفه الدكتور برهام ، وحلق في وجهه يريد أن يسبر أعماقه وهو يقول : ان مشروع المعهد التقني خطير جداً في مستقبل الأيام ولن أساهم في تقوية حركة عالمية قد تضر بمصالحي وتجعلني من أول ضحاياها .

ـ مسيو شارل ، لا يمكنك أن تتجاهل المعهد التقني ، الذي يشرف على التطور الحضاري وله دراسات انسانية هامة ، لأن اذاعات غير اذاعتك ستهتم باخباره ولن تغفل مشروعه مراجعة الحاجات .

ـ لن أتجاهله ولكني سأمتنع عن تقديم مساعدة فعالة يوجد فارق كبير كما تعلم في الاعلام بين الخبر الأول والخبر الأخير في نهاية النشرة ،

يوجد فارق كبير بين عدم التجاهل وبين التبني الا يوجد حياد في اذاعة لأنه توجد أساليب كثيرة لتجاوز الحياد ، أستطيع أن أذيع أغنية مملة قبل اذاعة خبر المعهد فأجعل حكايته مملة أو أذيع أغنية منشطة فاجعل الحكاية فائقة الروعة .

عرف الدكتور برهام أن المسيو شارل واحد من أقدر رجال الاعلام الذين يختفون وراء الحياد الكاذب في الاعلام العالمي ، فازدادت رغبته في التعاون معه فقرر أن يجرب ثقافة خاصة تدرب عليها ، وهي الجانب الخفي في شخصية الدكتور برهام ، وهي قادرة على تجاوز الحدود والموانع كلها ، وتقريب ذات البين وكان برهام يعرف سلفاً انتماء المسيو شارل الى تلك الثقافة .

بدأ برهام ينقر على الطاولة بأنامله نقراً خفيفاً كأنه يعزف على البيان ، سمع المسيو شارل النقر فابتسم وقام وضم برهام الى صدره وقال :

ـ لم أكن أعلم أن لنا أخاً كبيراً في المعهد التقني ، سأضع كل خبرتي تحت تصرفك .

• • •

خصصت اذاعة « مونت ماريا » مدة ساعة كاملة ، للمعهد التقني ليث برنامجاً يومياً موجهاً الى شعوب العالم . وهكذا سمعت اشارة مميزة عبر الأثير ثم تلاها صوت مذيع ذي شخصية مبهجة ، يغرغر المعاني في حنجرته ويذوب الأفكار في طنين الأحرف في حلقه ، ويتقاضى طبعاً راتباً كبيراً مقابل جاذبيته الصوتية كلما قال : حضرات المستمعين الأكارم . . اذاعة « ليمداسيان » تبدأ برنامج المبي شوز لهذا اليوم .

نذيع عليكم من الاستوديو المخصص لمشروع العالم الكبير البروفسور شاين وزميله الدكتور برهام . . المشروع الذي سيبدل مدنية العالم القائمة بحضارة معقولة .

ومن أجل ذلك . . يعلن مشروع الميني شوز عن حاجته الى متطوعين من كافة أنحاء العالم لابعادهم عن عالم الزيف وارسالهم في رحلات انسانية سعيدة في ماضي الانسان من أجل مستقبله الرائع .

تطوعوا بالحركة الرائدة حركة الميني شوز ، من أجل تحرير العقل من جبرية الأطر المفروضة ، ومن أجل وضع الانسان على دروب حضارة مغايرة . .

ثم تعود الاشارة المميزة لتشغل فترات متلاحقة ، تفصل بين نداء المذيع ورنين ضحك متطوعة في حركة الميني شوز وصلت الى أقصى سعادتها بانضمامها الى الحركة الرائدة .

قال شاين في اجتماع حميم ضمه الى زميله برهام في مكتبه في المعهد التقني : ألا ترى معي أن مدة ساعة كاملة في اذاعة « مونت ماريبا » وقت طويل ، سيكلفنا غالياً ؟

ـ لا أستطيع أن أتجاهل فعالية الاذاعة في هذا العصر ، انها من أهم برامج الاعلام .

ـ لا أدري كيف سنملأ فراغ ساعة كل يوم أنتقلب من علماء الى معدي برامج ؟

ـ لا تهتم . . لدينا دراسات كثيرة سنذيعها متتالية فنرضي علماء المعهد مادياً ومعنوياً .

ـ وماذا سنفعل بعد انتهاء الدراسات الموجودة لدينا .

ـ سنملأ الوقت باذاعة أغان منوعة .

ـ ألا نخجل من هذا التقصير . ؟

ـ لم الخجل . . لنا أسوة حسنة باذاعات دول عظمى . . كلما وجدت نقصاً في البرامج عمدت الى اذاعة الأغاني حتى صار المطربون في العالم أشهر بني البشر ، وصاروا معروفين أكثر من رؤساء وملوك العالم .

ـ وتريد أيضاً أن تكرر الاغاني بدورك في اذاعة المعهد التقني حتى توصل الناس الى درجة الاشباع فقبل أن يلقي أحدهم السلام عليك يقول لك « وان واي تيكيت » أويجيبك على سؤالك كيف صحتك « ماتريال ويمان » . ، وبدلاً من أن يذكر أقوال الحكيم سقراط يذكر لك حكمة فريد الأطرش .

لأن الأغنية استبدت بخلايا دماغه طوال الليل وبقيت عالقة فيها حتى نهار الغد . أهذا ما نسعى اليه يا دكتور برهام .

♦ ♦ ♦

الفصل الثالث

1- الدكتور غالي والدكتورة فهيمة شخصان طريفان من واجهة الشرق الأدنى سوريا لم يتح لهما أن يريا جزيرة أرواد في أيام رفاه قصورها وفخامة مبانيها قبل أربعة آلاف عام في أيام الكنعانيين ، فاختاراها موطناً لهما في عصر ذلها في الوقت الحاضر ، لأنهما حصلا على منزل متواضع في الجزيرة يناسب دخلهما المحدود .. كمدرسين في المرحلة الثانوية .

الدكتور غالي من أشد أحياء دمشق محافظة على التقاليد من حي الشاغور يحمل دكتوراه في التاريخ وله ولع شديد بالمطالعة ، وقد فارق دمشق لأن المحافظة في العاصمة الممتازة استملكت بيت أسرته ودفعت التعويض الذي وجدته مناسباً ، فلم يكف نصيبه من المبلغ لشراء غرفة على السطح في ضواحي المدينة ، فقرر أن يكرس نفسه للتدريس في ريف أية محافظة تؤمن له مسكناً بإيجار معقول لا يستهلك راتبه كله .

بينما تحمل الدكتورة فهيمة شهادة في العلوم الطبيعية ، ولها ولع في اظهار مكانتها كعالمة ، وهي من مدينة حلب ومن حي باب النيرب ، وهذا الحي في حلب أشد تزمتاً ومحافظة على التقاليد من حي الشاغور ، ولكن نساء باب النيرب يترملن باكراً لكثرة ما يقع في هذا

الحي من شغب وقتال . تربت الدكتورة فهيمة في بيت جدها بعد وفاة أبيها في مشاجرة ، وزواج أمها مرة ثانية ، ولذا لم تجد فهيمة بيتاً يربجها ففضلت أن تمارس وظيفتها كمدرسة خارج مدينتها .

التقيا كمراقبين في أيام الفحوص العامة في محافظة ادلب القريبة من حلب وتم التعارف بين دمشقي متزمت وحلبية هاربة من بيئة مشابهة . أطرت فهيمة سعة اطلاع غالي وسخريته اللاذعة من أنماط الحياة بسبب ما أصابه من عنت محافظة دمشق . وكان غالي يرى أن الأرض الزراعية تستحق أن يرتفع ثمنها بعد استصلاحها من فلاح ماهر وزراعة كروم أو أشجار فيها . أما أن تهدم المحافظة بيتاً مقابل تعويض قليل ثم تبيع أرضه بالمزاد العلني للمشاريع التجارية ، فهذه جريمة لا تغتفر لأنها ساهمت في ارتفاع أسعار البيوت وفروغ المحلات وحصول التضخم النقدي من أجل أمانة عاصمة غنية وأبناء مدن فقراء . . وافترقا مع انتهاء الفحوص .

التقيا مرة ثانية بعد عام في مدينة اللاذقية أثناء تصحيح أوراق الامتحانات العامة ، وسمح اللقاء الطويل في هذه المرة بتبادل الأفكار على نطاق واسع ، وسمح مناخ البحر الحار وهواؤه الرطب بولادة أحاسيس جديدة في نفسيهما حتى دار همس بين الزملاء عن وجود محاولة جادة من الدكتورة فهيمة لاقتناص غالي .

سمعت فهيمة غالي وهو ينتقد التعويضات المعيبة التي تدفع مقابل تصحيح أوراق الامتحان فوافقته على رأيه ، وسمعته ينتقد استهتار النساء بملبسهن على ساحل اللاذقية فالساق عارية والنحر عريان فوافقته على انتقاده ، وكانت فهيمة تصر على لبس الفساتين الطويلة لعيب في ساقيها تستره ، فرجلاها ضخمتان ولهما بطتان

عريضتان أعرض من صدر بطة حقيقية .

وكان غالي معتادا على أن يتحدث عن نفسه اغلب الأوقات بصيغة الجمع ، وكان زملاؤه يلمزون من أسلوبه ، ولكن فهيمة خاطبته بصيغة الجمع دون لمز ، وذهبت أبعد من ذلك عندما أكدت له : اسمعوني ملياً ، انني أؤمن بأن الرجال قوامون على النساء .

لهف قلب غالي لفهيمة وصار يراها توأم روحه فقال لها : نحن معجبون جداً بنطقك لحرف الجيم المعطشة . ثم تجاوز حرف الجيم الى اطراء ثغرها وعنقها . . وكان عنقها جيلاً وثغرها رائعاً اذ تبتسم .

أمضيا يوم العطلة مع الزملاء والزميلات منتشرين على رمال الساحل ، وكان يوجد عري مثير ومفضوح في لجج المياه وخارجها ، ولكن فهيمة ظلت محتشمة ، وحين شمرت ثوبها قليلاً لتداعب مياه البحر عقبي قدميها ، بانت بطتا ساقيها ، فنظرت نحو غالي لترى وقع أثر رؤيتهما في نفسه فدهشت وفرحت كثيراً ، لأنه اقبل عليها مأخوذاً وهو يقول : فهمنا الآن يا زميلتنا لم تصرين على لبس الماكسي فأنت تخشين من روعة جمالها على أعصاب الرجال .

تأكدت فهيمة من صدق عاطفة غالي نحوها ، لأنه صار يرمقها شزراً ويعاتبها كلما سمعها تطلق ضحكة عالية مثيرة أو رآها تهمل أسدال أطراف ثوبها ، وحين فاجأته بسؤالها المربك : بأي حق تعاتبونني يا دكتور غالي . أجابها بصراحة ودون ارتباك الست خطيبتنا يا دكتورة فهيمة ؟

قبلت فهيمة حجته وحملته مسؤوليتها كاملة ، وعقدا قرانهما قبل انتهاء الصيف وصار غالي لباساً لها وصارت سكناً له بموجب الشرع ، ولكنهما ظلا يمارسان زواجهما بالمراسلة مدة ثلاث سنوات حتى وجدا

شاغرين في مدارس مدينة طرطوس الساحلية السياحية وعثرا على العش الجميل الذي لا يبعد كثيراً عن مركز عملهما فهما يركبان زورقاً يقلهما كل صباح من الجزيرة الى المدينة ، ولولا غيرة غالي الشديدة على فهيمة ، لفضلت أن يعودا سباحة لقصر المسافة وتوفير ايجار الزورق مما يخفف عليهما أعباء المعيشة .

* * *

غالي في يوم عطلة يستمع الى اذاعة « مونت ماريا » . ويفاجئه برنامج المعهد التقني « ليمداستيسان » طالباً متطوعين من جميع أنحاء العالم ، يندفع غالي منادياً زوجته : فهيمة . . فهيمة . . أين أنت يا زوجتنا العزيزة فهيمة .

ـ أنا على السطح .

ـ اتهشين القطط عن المنزل ، أو تتنصتين على الجيران لجمع مزيد من الفضائح ؟ . .

ـ حسنوا الظن يا غالي بزوجتكم المتواضعة .

ـ فلنحسن الظن اختصري ماذا تفعلين فوق السطح ؟ .

ـ ادرس الطاقة الشمسية والاحق وسائل الاستفادة منها .

ـ فهمنا . . تنشرين الغسيل على الحبال أو تجففين النعناع والملوخية . تعالي الينا حالاً .

ـ مستحيل يا غالي . . لأن تجربتي العلمية عن طبخ الفراريج على الأشعة الحمراء قيد الانتهاء .

ـ هذا فوق طاقتنا يا فهيمة . . سئمنا الفراريج المشوية بالأشعة الحمراء ، ارحمينا ، سقى الله أيام جدتي ، يوم كانت تشوي اللحم على جمر المنقل ، قبل وسائل التقنية الحديثة التي حرمتنا نكهة الطعام اللذيذة .

ـ نصيبكم زوجة عالمة يا غالي . . التضحية واجبة بالطعم أمام جلال العلم .

ـ يا عزيزتنا فهيمة ، اتركي الفراريج وتعالي الينا ، عندنا موضوع هام .

ـ لن اترك تجربتي ، حتى أعرف الموضوع بالتفصيل .

ـ يتعلق الأمر برحلة . . رحلة طويلة جداً . . وبعيدة جداً .

ـ أنا آتية حالاً .

ظهرت فهيمة في أعلى الدرج ، وبقي غالي واقفاً يتابع تثني قدها الريان ، لأن فهيمة تخجل وهي تنزل درجاً أو تصعده . وضع غالي كفه على ردفيها ودفعها الى الغرفة وقال : لا ندري كيف سنصطحبك معنا في هذه الرحلة ، اننا نخشى عليك من مفاتنك الكثيرة .

أرسلت فهيمة ضحكتها العالية المميزة ذات الشهرة الواسعة في وزارة التربية بين الطلبة والمدرسين وقالت : أين سنرحل ؟ وكيف ؟ ونحن لا نملك مالاً يكفي لايصالنا عند أهلي في حلب او أهلك في دمشق .

ـ استمعي معنا الى هذا البرنامج وستحصلي على أجوبة شافية لكل أسئلتك .

2 ـ استدعى مدير المعهد التقني المستر توم الدكتور برهام بعد مرور شهر على بدء برنامج مراجعة الحاجات ليناقشه في الخطوات التي تمت ، ولم يكن المستر توم مؤهلاً لاي لون من ألوان النقاش في المعهد التقني ، انما كان يلجأ الى مثل هذه الاجتماعات ليشعر الدكتور برهام بأنه مدير عام للمعهد وما زال حياً .

دخل برهام غرفة المدير العام فشاهد أكداس الصحف على

طاولته فابتسم وبادره بالسؤال : هل قرأت ما كتبته الصحافة عن المعهد التقني ؟

- تصفحت معظمها ، كما سمعت برنامجنا اليومي من اذاعة « مونت ماريا » وأريد أن أسألك كيف تم هذا التنسيق بين الاذاعة والصحافة دون وحي من احد ؟

- هل وقع خطأ حضرة المدير ؟ .

- أريد أن أعرف كيف أوحيت بهذه الضجة ؟

- رصدنا عشرة بالمائة من تمويل مشروع مراجعة الحاجات وبدأنا نصرفه باتقان .

- هل وافق الدكتور شاين على هذا الاجراء .

- أتشك في ذلك ؟

- لا طبعاً ، ولكني أريد أن ألفت نظرك الى احتمال فشل مشروع مراجعة الحاجات ، فماذا نفعل آنئذ بعد هذه الضجة الكبيرة التي رافقته في كل مكان ، ستعظم فضيحتنا بقدر دعايتنا .

ابتسم الدكتور برهام بخبث ورد ببرود : ليفشل حضرة المدير ، سنجد مشروعاً جديداً نتبناه وندعو اليه في مرحلة لاحقة ، ونلقي تبعة أخطائنا على التنافس الدولي ، وتمضي الأمور بيسر وكأن شيئاً لم يكن .

- كلامك صحيح اذا خففت من الأضواء المسلطة على المعهد التقني ، فأنت تكاد تجعله مؤسسة من الدرجة الأولى . . بينما كان المعهد دائماً من الدرجة الخامسة أو أقل . . قل لي ماذا سيحدث للمعهد بعد فشل المشروع الا نصبح أضحوكة في أفواه الناس ؟

- لا تنطبق الوقائع في العالم على المنطق ، تؤيد الوقائع أن أية مؤسسة تقفز من مرتبتها الى الدرجة الأولى لا تعود بعد فشلها الى

مرتبتها القديمة ، بل تحتل مرتبة أفضل مما كانت عليه قبل فشلها ، وهذا كسب لها كما ترى .

ـ تقصد أننا لن نعود بعد فشل مشروعنا الى مرتبة أدنى مما كنا عليه .

ـ سيرى خصومنا اعادتنا الى مرتبة متدنية ظلماً فادحاً ، لأنهم اعتادوا على رؤيتنا في الدرجة الأولى ، سيتقلص فشلنا في احتلالنا الدرجة الثانية أو الثالثة على أسوأ تقدير ، وستساعدنا الصحافة على تستير فشلنا لأن هباتنا تشكل رقماً في ميزانيتهم وبراعيهم . فهل أنت موافق على الاستمرار في خطة الدعاية .

ـ أقنعتني كعادتك حتى صرت متحمساً الى زيادة الدعاية حتى نبدو مؤسسة ممتازة ، فنعود بعد الفشل الى الدرجة الأولى ، ارصد عشرين بالمائة من مبالغ تمويل المشروع دون تردد .

اطمأن قلب برهام تماماً بعدما ضمن موافقة المدير على زيادة المخصصات للترويج لمشروع مراجعة الحاجات ، فسُمِعَ صوت مذيع البرنامج يعلن عن مسابقات وهدايا قيمة ومفاجآت وبطاقات سفر بالطائرة من اذاعة « مونت ماربيا » .

أغلقت فهيمة المذياع وصرخت بعصبية : آه سيغمى علي ، أشعر باختناق يا غالي من هذا البرنامج أريد ماء بسرعة .

واغمضت عينيها ، فاندفع غالي الى ابريق الماء وصب كاساً وأراقه على وجهها ففتحت فهيمة عينيها وقالت معاتبة : بللتم قميصي يا غالي ، طلبت الماء لأشرب لا لتسفحوه على ملابسي .

ـ فهمنا خطأ ، انما قولي لنا ، لم ضاق صدرك من البرنامج ؟

ـ لأنه برنامج سخيف سمعنا المذيع يعلن عن جوائز للفائزين

بمسابقة الغاز وسمعنا المذيعة تضحك وتمتدح زميلها وتعلن عن أغان ، ولكننا لم نسمع شيئاً عن الرحلة التي أفضتم بأفضالها يا غالي .

حاول غالي أن يتابع الاستماع في أوقات أخرى الى برنامج الميني شوز فسمع الدكتور برهام يقدم حديثاً مستفيضاً .

تقول أساطير الشعوب ، ان زمن البدء هو وحده يمثل الزمن المعبر في تاريخ الانسان الروحي لأنه زمن التكوين . . زمن الخلق . . وهو وحده ذو قيمة خاصة . أما الزمن الذي تلاه فهو ليس زمناً معبراً لأنه ابتعد عن زمن الخلق ، وفيه أضيفت الآثام والمفاسد والرشاوى الى الكون الطاهر . وهي مفاسد لم تكن موجودة في زمن البدء .

وعلى هذا الأساس يجب هدم الزمن العادي بالعودة دائماً الى زمن البدء من أجل تجديد العالم .

هذا ما تقوله أساطير الشعوب وكان يتم عادة في احتفال رأس السنة الذي اهتم به سكان ما بين النهرين تحت اسم عيد «الاكيتو» بتقديم طقوس وتمثيل ديني ترمز مضامينه الى اعادة التكوين .

نحتفل في كل عام بعيد رأس السنة ، دون معرفة بأصوله المتعلقة بميثالوجيا الأجداد الأوائل ، ونشكو بكل أسف من وجهة ثانية ، من تفاقم الفساد في الكون ونردد العبارة الخالدة «لقد شاخ العالم وصار بحاجة الى التجديد» .

تظهر بين حقبة وأخرى مجموعات من الناس ترفض المدنية المشبعة بالفساد لتعود الى الصوفية المشبعة بطهارة حضارة القيم ، متمثلة بتقشف زينون الرواقي الكنعاني والفيثاغورسيين الذين رفضوا حكم الطاغية بوليكربت وأقاموا في جزيرة منصرفين الى العلم وايجاد

مجتمعات حضارية بحياة بدائية .

ان مشروع المعهد التقني وحدّ كل هذه المفاهيم في مفهوم واحد ، هو مجابهة طبيعة تماثل تلك التي كانت في زمن البدء ، من أجل تحقيق حضارة مراجعة الحاجات على ضوء العقل للخلاص من التلوث والتسلح والاجرام .

اناشدكم أيها الناس : أن تتطوعوا في مسيرة الخلاص ، وأن تغتسلوا من أدران المدنية المزيفة بالاشتراك في رحلات والميني شوز» .

* * *

وسواس المخدة بين فهيمة وغالي لا بد منه قبل كل نوم ، وبدأ الوسواس حين سمعت فهيمة زوجها يقول : جسدي يتمزق ، أتمنى أن تصير رأسي كرة قدم يتقاذفها اللاعبون في مباريات دولية . . أعيش المعتاد والمعاد كدودة قز اتقنت نسج سجنها الأبدي قبل الاحتضار ، لتعيش في عتمة حتفها المقبل ، انما دون اخصاب للزوجة لأنني أخاف على ذريتي من الجوع والوعود .

ـ أتنشدون قصيدة نثرية يا غالي ؟

ـ نعرب عن أحوالنا . . عن قلقنا عن أوضاعنا السيئة . . عن خوفنا من مستقبل مظلم ومبهم . قررنا أن نتطوع في حركة الميني شوز ونرجو أن تكوني قد بدلت رأيك .

ـ الا تخافون يا غالي من فشل الحركة بعدما نكون قد فقدنا عملنا في سوريا وسافرنا دون اذن مما سيوقعنا في شباك قانون العقوبات الاقتصادية فتكون القاضية .

ـ أنسيت يا فهيمة أن موعد انتهاء العام الدراسي على الأبواب ، سننضم الى رحلة الميني شوز في العطلة فاذا وجدنا فيها خيراً لم نعد بحاجة الى هذا الراتب المخزي . . الذي لا يزيد عن راتب العبيد .

ـ أتظنون يا غالي أننا سنجد حياة رغيدة في رحلة الميني شوز .

ـ سنحصل على رحلة مجانية الى بلاد بعيدة على حساب المعهد التقني وهو ما لا نحلم به حتى لو رصدنا دخل العمر كله لتغطية تكاليفها . . فكري في هذه الناحية الايجابية واحلمي بشهر عسل حقيقي ، فقد فاتنا أن نقضي شهر عسل بعد الزواج .

صمتا ولم يناما ، تنتابهما الوساوس ويحلمان بحياة أفضل .

• • •

« أزياء المرأة بعد تطبيق برنامج الميني شوز » . نشر هذا التعليق بالصفحة الأخيرة وبالخط العريض تحت صورة امرأة شبه عارية بوضع مثير . فقد بدأت الصحافة تداعب المشروع وتناوله رسام كاريكاتور بصورة امرأة أيضاً وقد رسم المرأة ببنطال ضيق وسوتيان فوق الحلمتين ، وباصبعها حقيبة صغيرة بحجم علبة كبريت ، وعلى رأسها قبعة صغيرة تغطي خصلة واحدة من شعرها ، وحول رقبتها طوق يكاد يخنقها . والتعليق تحت الرسم « موديلات مشروع مراجعة الحاجات » .

دخل البروفسور شاين مكتب برهام حاملاً مجموعة الصحف وألقى بها بشدة على الطاولة ، وقال محتداً ، ما رأيك يا دكتور برهام ؟ ألم تحرف الصحافة المشروع عن مضامينه ؟

أجاب برهام ببرود : يتناول الكاريكاتور عظماء العالم ولنا أن نفخر بأن الكاريكاتور اتخذ من المعهد التقني مادة لسخريته . لا أدري متى تقتنع معي بأهمية الاعلان في هذا العصر ؟ .

ـ أنا مقتنع بأهميته في خداع الجماهير ، وأقمت مشروعي للتخفيف من ضغطه على حواس الانسان وتفكيره ، حتى لا يتعطل

العقل عند الاختيار . دكتور برهام أنا غير راض عن الطريقة التي تساعدني بها في تنفيذ المشروع . اعلمني ماذا فعلت حتى الآن .

ـ أحيينا حفلات أضواء المدينة في كبريات عواصم الدول ، شغلنا الصحافة بالتحقيقات والتعليقات عن المشروع وفوائده ، قفزنا بالمعهد التقني الى مؤسسة من الدرجة الأولى قادرة على منافسة أكبر المؤسسات الثقافية . . . فعلنا الكثير في مدة قصيرة .

ـ هذا ما تقوله يا برهام ، وتراه منجزات من ضمن المشروع ، أما الوجه الآخر لما فعلته ، فهو أن مشروعنا مراجعة الأغراض والحاجات ، بينما وسعت أنت الأغراض والحاجات ، وبدلاً من أن نعيد النظر في المدنية القائمة ، للتقليل من صرف الطاقة ، كرست أساليب المدنية القائمة وزدت في هدر الطاقة ، وبالنتيجة لم نعد نبحث عن أفضل الحلول للحرص على جوهر الانسان واهمال المظاهر بل صرنا نهمل الجوهر ونتعلق بالمظهر .

ـ أنسيت يا زميلي مئات المكاتب التي فتحناها لقبول المتطوعين من كافة أنحاء العالم .

ـ لم أنس ، افتتحنا المكاتب للتطوع ثم انصرفنا الى اقامة الحفلات ، قل لي ماذا فعلت من أجل المتطوعين حتى الآن ، أين أماكن تجمعهم ؟ هل وضعنا مخططاً لأجواء الحضارة التي ستسعدهم .

ـ دكتور شاين أرجو الا تبتئس ، فنحن لم نحصل حتى الآن على متطوع واحد نستطيع أن نطلق عليه اسم متطوع مشروع الميني شوز .

ـ هذا أمر عجيب ، ألم يتطوع أحد حتى الآن ليعيش حياة سعيدة ، نتكفل فيها بحاجاته المادية والنفسية في بيئة خالية من التلوث والفساد والاجرام .

ـ تطوع عدد من الكسالى الذين ظنوا مشروعنا خيرياً كمأوى للبائسين . وسرعان ما انسحب أكثرهم حين عرفوا أن من واجبهم تقبل حياة بدائية لخلق حياة جديدة . توجد فجوة في مشروعنا لم ننتبه اليها ، نحن ننظر الى هذا العصر كعلماء ونعيشه من الخارج ، بينما يعيشه الناس ممارسة من الداخل . نحن نرفضه على ضوء العقل كمثاليين ، نسعى الى ما يجب أن يكون ، بينما يتمتع الناس به على أنه كائن كواقعيين . نحن نرفض على سبيل المثال ضجة المدينة ونراها كارثة ، بينما يتدافع سكان الريف في المواصلات للوصول الى غرفة في أشد مدن العالم ازدحاماً .

ان تيارات السكان الهادرة نحو المدن الكبيرة مخلفة وراءها الريف لأنه أقل مدنية من أصعب أزمات العصر التي تؤدي الى العنف والاجرام والتلوث ، فكيف نريد أن ندفع بالمتطوعين الى بيئة خالية من المدنية .

استمع الدكتور شاين الى شرح برهام ثم قال : هذه نقطة جوهرية ، اننا بحاجة الى متطوعين من لون خاص لنكسب نصراً لمشروعنا .

ـ نعم . . نحن بحاجة الى متطوعين مغامرين يحملون نفسية الباحث في أعماقهم ولديهم قدرة على الابداع ، وقد حملني هذا الوضع الصعب على اثارة حماسة المتطوعين بخطة اعلامية جديدة ، فجعلت التطوع خلاصاً كالعودة الى طوباوية البدء . جعلته كالرجوع الى أزمنة الخلق المكثفة الطاهرة .

ـ أنعود ونحن علماء الى أسلوب المعتقدات في اقناع الناس ؟ . . الا تجده خداعاً للمتطوعين ؟ . .

ـ أين الخداع ! ! أليست غاية المشروع الوصول الى حضارة جديدة مغايرة لمدنية التلوث والفساد .

ـ ولكننا نستغل عواطف الناس كما فعلت المعتقدات في تاريخ الانسانية .

ـ دكتور شاين . . كانت العواطف وما زالت حقائق مفروضة في وجود الانسان ولا تقوم حضارة دون معتقدات ،ستتبنى المعاني الأصيلة في ميتولوجيا الخلق ، سنطلق شعاراتها حتى يصبح التطوع عادة عاطفية وممارسة شعورية بالعدوى ودون فهم . وسنحصل آنئذ على متطوعين يضحون بوجودهم وأملاكهم في المدن من أجل الحصول على مقعد شاغر في حضارتنا الجديدة . اعتمد علي يا دكتور شاين وانصرف الى أبحاثك .

◆ ◆ ◆

الفصل الرابع

1 – واصل المعهد التقني دعايته على نطاق واسع ، حتى لفت نظر المخابرات الأمريكية والروسية ، فقُدِّمت تقارير كثيرة كانت خلاصتها في موسكو ، ان مشروع مراجعة الحاجات حركة هيبة جديدة ، تشرف عليها « سي آي ايه » للتخفيف من انتشار الشيوعية في العالم . أما خلاصتها في واشنطن فان المشروع برمته حركة اشتراكية مموهة غايتها القضاء على النظام الرأسمالي تحت رعاية « كي جي بي » . ولكن الدائرتين بقيتا على صمتهما تجاه مراجعة الحاجات لعلمهما بنزاهة الدكتور شاين ، وفي انتظار أن تقف احداهما موقفاً معادياً لتتخذ الثانية مخططاً مناوئاً لها .

ودار نقاش حاد على مسمع الدكتور غالي والدكتورة فهيمة في مكان عملهما استهدف وطنية المتطوعين من أي بلد ، وكادت فهيمة أن تعرب عن حماستها لمشروع مراجعة الحاجات ، لولا ذكاء غالي الذي بادر الى قرصها في الخفاء من ردفها حتى تصمت وقال لها في المنزل :

ـ كانت حماستك في غير موضعها ، دعينا نحصل على تأشيرة الخروج من بلدنا دون لفت نظر أحد من كتاب التقارير ، فالجو مملوء بهم ، وبعدما نحصل على تأشيرة الخروج سنتصل فوراً بمكتب التطوع ليؤمن لنا تذاكر السفر ولن نخبر أحداً حتى من أقربائنا .

قالت فهيمة :

ـ كلامك صحيح يجب أن نرحل في الخفاء ودون أن نلفت نظر أحد .

• • •

كان الدكتور شاين يستمع الى اذاعة المعهد التقني حين أعلن المذيع عن لقاء مع مدام روجينا التي انتخبت كأجمل وجه في حفلات مشروع الميني شوز فطار صوابه ولكنه بقي يستمع ليواجه الدكتور برهام ، فسمع المذيع يحاور مدام روجينا سائلاً اياها عن رأيها بالمشروع فقالت :

ـ الميني شوز رائع رائع . . أحببته من أعماق قلبي ولن أتخلى عنه ، لانني عندما ارتديته لأول مرة ، اندلقت مفاتني منه ، فأثار الحضور الذين صفروا لي طويلاً . . حتى ان مهووساً تبعني بعد الحفلة وأشعرني بالخوف ولكنني اعذره لأن ظهوري بالميني شوز حطم أعصابه .

حاول المذيع أن ينبهها الى الخطأ الفادح الذي ارتكبته في حق مشروع المعهد ،ولكن صوته الهامس وصل إلى المستمعين . وارتبكت مدام روجينا ثم استدركت قائلة :

. . الميني شوز . . لطيف جداً وخفيف على المعدة ، تناولت منه صحنين بل أكثر دون أن أصاب بالتخمة ، ودون أن أخشى على قوامي الأهيف من السمنة لأنه ذو مذاق طيب وسريع الهضم .

كحّ المذيع وعطس وبربر ونفخ لعل مدام روجينا تخفف من ثرثرتها على الهواء فقال لها دون مواربة : ليس الميني شوز كالميني جوب ، وليس طعاماً . .

وتواصل الحوار بينهما :

روجينا ـ آه فهمت . . تعرفت عليه في حفلة المعهد التقني وكان طويلاً .

المذيع ـ انه مشروع تقصير .

روجينا ـ نعم نعم . . انه قصير ولكنه جذاب .

المذيع ـ انه اعادة نظر في المدنية القائمة .

روجينا ـ كان يضع نظارات على عينيه .

المذيع ـ انه لتحقيق رحلة انسانية .

روجينا ـ يا له من باص مريح يسير بسرعة هائلة .

المذيع ـ رحلة معنوية بعيدة المدى .

روجينا ـ يجتاز الفضاء ويتجول على درب التبانة .

المذيع ـ ويلاه . . مدام روجينا اقرئي قليلاً عن المشروع قبل أن تظهري على الهواء في اذاعة الميني شوز .

روجينا ـ حيرتني حضرة المذيع ، أتريد أن تهزأ مني أهي إذاعة خفية ؟ الميني شوز صرعة كالميني جوب ، اعتبر موعدنا غداً على العشاء ملغياً .

فضحت مدام روجينا موعدها مع المذيع الظريف ، فصرخ ولم تعد تتملكه أعصابه حضرة الزميل ـ مهندس الصوت ، أرجوك اقطع الاتصال بنا وحول الى أغنية من استوديو آخر . . دمرتنا هذه الحمقاء ، يجب أن نحذر بعد الآن من أي لقاء على الهواء . . سنسجله حتى لو كان قراءة دينية .

● ● ●

ضربت قبضة البروفسور شاين الطاولة بعنف ، وصرخ بصوت لم يعتد أحد من العاملين معه على سماعه ، صوت أقرب الى نباح الكلاب مع شعور بالكآبة والحسرة وكان يردد : يا برهام يا برهام ، ما لنا ولمدام روجينا وللمذيعين المائعين بأصوات جنسية رخوة ، والأغاني الفاجرة . . هل هذا هو مشروع مراجعة الحاجات .

دخل الدكتور برهام غرفة البروفسور شاين بعدما استنفذ الغضب طاقته وجلس يعالج ألم قبضته التي ورمت من عنف الضربة . دخل برهام مبتسماً وقال :

ـ ابشر يا صديقي صار أملنا كبيراً في البدء بتنفيذ مشروع مراجعة الحاجات .

رد بروفسور شاين بهدوء يدل على أن عاصفة جديدة تتجمع في أعماق نفسه لتعيده الى حالة الغضب التي كان عليها .

ـ كيف ذلك ؟ ؟ هل وافق مدير المعهد على أن تصرف تسعين بالمائة من تمويل المشروع على الدعاية وعلى الموظفين كما تفعل منظمات الهيئة الدولية وتترك عشرة بالمائة لجياع العالم وتثقيف الجهلة .

ـ سنبدأ فعلاً تنفيذ المشروع كما تخيلته يا بروفسور شاين . . فقد وجدنا ضالتنا المنشودة على سطح الكرة الأرضية ، عثرنا على متطوعين .

ـ كيف حدثت المعجزة ؟ ؟

ـ تقدم اثنان للتطوع في واحد من مكاتبنا القصية في الشرق الأدنى . هما زوج وزوجة مختصان وليسا شخصين عاديين .

ـ سأفحص قواهما العقلية قبل البدء بتنفيذ المشروع أين هما الآن .

ـ طلبت من مكتب التطوع أن يؤمن نقلهما بالطائرة دون ابطاء وأنا في انتظار معرفة ساعة وصولهما لاستقبلهما في المطار .

ـ هل استمعت الى اذاعتنا قبل قليل .

ـ لا يهم . . وصلنا متطوعان وسنبدأ بالتنفيذ .

2 – حطت الطائرة في مطار أورلي الدولي ، وهبط منها المتطوعان الدكتور غالي والدكتورة فهيمة ، ودهش الاثنان من الحركة السريعة وارتبكا كثيراً فهذه هي المرة الأولى التي ينزلان فيها من الطائرة .

كادت الأمور أن تسير بيسر وسهولة ، لولا كيس ضخم منفوش ، كان يجره غالي فهو خفيف الحمل كبير الحجم ، استلفت نظر المسؤولين في المطار وامتدت أياديهم تجسه ثم صدر القرار بحجزه من قبل ضابطة مكافحة المخدرات في مطار أورلي .

حاول غالي أن يوضح لهم مبتسماً محتويات الكيس فقال مراراً بالانكليزية « زيس ايز ملوكية » ورددت فهيمة خلفه بالافرنسية « سيه ملوكية . . ايسي ملوكية » ، وتبين أن المسؤولين في مطار أورلي الدولي يجهلون الافرنسية والانكليزية ، فلم يحاول أحدهم أن يسأل ولو سؤالاً بسيطاً عن الملوخية ، بل قرروا حجز الدكتور غالي والدكتورة فهيمة مع كيس الملوخية الضخم .

آنئذ . . اختفت كل معالم الرقة واللطف التي حاول المتطوعان ضهرها في مطار أورلي الدولي ، وعاد غالي الى طبيعته كابن بار لحي شغور ، وعادت فهيمة الى أصالتها كبنت بارة لحي التيرب .

أطاح غالي بقبعة أقرب ضابط اليه وأمسكه من رقبته وقال له :

ـ أتريد أن تفهم بالحسنى أم أفهمك بالضرب ، أنا أولاً دكتور في تـاريخ وثانياً أنا مدرس في المدارس الثانوية ، ونحن المدرسين في

سورية لا نتعاطى الفحشاء والمنكر مهما بلغ حالنا من السوء لأننا نردد مع الشاعر عنترة قوله إنّا نبيت على الطوى ونظله حتى ننال به كريم المأكل .

حاول أحد الجنود أن يتقدم ليساعد الضابط فانبرت له الدكتورة فهيمة وركلته في ركبته ، وصارت تصيح باللغة الافرنسية :

ـ ليست هذه الأوراق الخضر اليابسة ماريغوانا . . ليست ماريغوانا انها ملوخية ، وليس ذنبنا أنكم غير متحضرين كفاية لتعرفوا ما هي الملوخية . .

تقدم مدير حركة المطار من الصخب والصراخ ، فتركت فهيمة الجندي واندفعت نحوه قائلة :

ـ افتح عينيك ملياً ، أنا الدكتورة فهيمة وهذا زوجي الدكتور غالي ، ونحن متطوعان في حركة الميني شوز ، نحن جئنا لنبني حضارة ، لا لنكرس مدنية وسخة .

بينما كان غالي ما زال قابضاً على رقبة الضابط وهو يقول :

ـ نحن لم ندخل الحشيش الى الصين ومصر ، فتشوا في حقائب مدرسيكم الذين يروجون المخدرات بين الطلاب في الجامعات ، نحن ليس لدينا عصاباتكم الانكليزية والفرنسية والأمريكية التي تشرف على نقل المخدرات في أرجاء العالم . أريد فوراً اعتذاراً بكلمات واضحة .

تقدم الدكتور برهام بسرعة وأشار بيده من بعيد مستلفتاً نظر الدكتور غالي والدكتورة فهيمة وضابطة الأمن والجمارك ومكافحة المخدرات وصاح بأعلى صوته :

ـ اهدؤا . . اهدؤا جميعاً . . انهما ضيفا المعهد التقني . . أبعدوا أيديكم عنهما .

أبدى الدكتور برهام رغبة في استلام كيس الملوخية وأخذ القضية على عاتقه ، لكن ادارة المطار أصرت على تطبيق القانون وختم الكيس بالشمع الأحمر وارساله الى التحليل في مخابر المعهد التقني . . حسب القانون والأصول .

حاول الدكتور برهام أن يفهم الجميع أنه أمين سر المعهد التقني ، وأن القضية ستحال اليه في النتيجة ، ولكن المدير رفض هذا الاجراء وقبل أن يفرج عن المتطوعين وعفشهما بكفالة الدكتور برهام وتعهده أن يقدمهما الى التحقيق عند اللزوم .

رفض الدكتور غالي هذا الحل لأنه يعتبر نفسه فوق الشبهات وأشرف من كل الضابطة التي تحيط به ، وأعلن عن استعداده للعودة الى وطنه فوراً ، ليوفر على نفسه التعامل مع أناس لم يتحضروا بعد .

ووجد الدكتور برهام نفسه في وضع حرج ووقع في حيص بيص ، فوعد الدكتور غالي والدكتورة فهيمة بوعود جزيلة حتى حصل على موافقة الدكتور غالي على مرافقته خارج المطار والذي اكتفى باطاحة قبعة الضابط مرة ثانية ، بينما اكتفت زوجته بركل قدم الجندي أيضاً .

حملت سيارة عفش المتطوعين بينما ركب الدكتور غالي الى جانب الدكتور برهام وجلست زوجته في المقعد الخلفي حسب عادتها . واتجه الدكتور برهام الى منزل البروفسور شاين .

- تابعت سيارة العفش طريقها الى الفندق ، بينما نزل الثلاثة أمام بيت البروفسور ، واتجهوا نحو شقته ، وقرع الدكتور برهام الجرس فانتشرت الألحان الجميلة وصدحت الموسيقى عالياً فسر الدكتور غالي وقرع الجرس مراراً .

فتح البروفسور شاين الباب وأفسح الطريق فدخلوا الى الصالون

الواسع فتكلم الدكتور برهام قائلاً :

- بروفسور شاين أقدم لك المتطوعين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة ، وهذا هو البروفسور شاين أوسع علماء المعهد التقني معرفة ، وهو صاحب المشروع الكبير مراجعة الحاجات .

رحب البروفسور شاين بضيوفه فقال غالي قدمي زوجك يا فهيمة فأنت أعرف بنا من كل الناس ، فقالت فهيمة :

- هذا زوجي غالي ، اختصاص عميق بالعلوم التاريخية ، مع دراسات مقارنة في اللغات الحية واللغات المنقرضة . . كما أنه يقرض الشعر . قدموا زوجتكم فهيمة يا غالي :

غالي - هذه زوجتنا عزيزتنا فهيمة ، أو فهيمتنا عزيزة ، لا فرق بين الاسم والنداء لانطباق الاسم على الحال ، وانسجام الحال مع النداء ، عالمة بحاثة مختصة بعلم الحشرات أي أنها قابلة للحشرات ، تستولدها دون وقوع مضاعفات . مع تعمق في دراسة واستخدام الطاقة الشمسية ، جففت أطناناً من النعناع والبابونج والملوخية ، ولها فصول ناقصة في أصول الحيوان والنبات والأحجار الكريمة ، كرم الله وجوهنا يوم القيامة .

فهيمة - على ذكر الملوخية ، أظنك تجهلها يا بروفسور شاين ولذا جلبت كيساً معي . وكادت تقع لنا مشكلة بسببها في المطار لأنهم ظنوها مادة مخدرة .

غالي - لا تهتمي يا فهيمة ، يوجد متخلفون في كل مكان ، لا يعرفون الملوخية .

تدخل الدكتور برهام في الحديث وأكد أنه سيجد غداً وقتاً كافياً للتعرف على الملوخية ودعاهما الى الجلوس لتناول المرطبات . وقال :

ـ أنا مسرور جداً ، لأننا عثرنا على بغيتنا في شخصيكما الكريمين أليس كذلك يا بروفسور شاين .

قال شاين : لم نكن نحلم بتطوع عبقريين مثلكما للذهاب في رحلة الى بيئة بدائية .

غالي ـ هل نستطيع أن نأخذ فكرة عن المكان الذي سنقيم فيه تحت الاختبار .

شاين ـ سترسلان الى جزيرة نائية .

غالي ـ ما رأيك يا فهيمة بعد كل هذا التعب سنعاد الى منزلنا .

فهيمة ـ لا يا غالي كنا في جزيرة شبه مقطوعة عن العالم ، أما الآن فسنقيم في جزيرة مقطوعة تماماً .

تساءل غالي « هل نفرح أم نحزن » فردت فهيمة مبتسمة « ألم تشكوا يا غالي من مضايقات الجيران في عيشنا السابق » فقال شاين مبتسماً : « اطمئن ، لن تجد أحداً يضايقك في تلك الجزيرة » . وضحك جمعهم من الدعابة التي صورت واقع الحال وآنئذ فضل الدكتور برهام أن ينتهي الحوار عند هذه النقطة فاقترح أن يوصلهم الى الفندق ليرتاحوا من عناء الرحلة ويتابعوا غداً مناقشة مخطط الميني شوز .

3 — انزل الدكتور برهام المتطوعين أمام باب الفندق الفخم وابتعد ملوحاً بيده نظر غالي الى الفندق ثم الى وجه زوجته وقد ذهلت أمام روعة المنظر فقالت :

ـ اسمع يا زوجي ، يبدو أننا فهمنا مشروع مراجعة الحاجات بالمقلوب . . يبدو أنه تفسيح حاجات ، ماكسي شوز وليس ميني شوز .

رد غالي فوراً :
- اضبطي أعصابك ، وسيري أمامنا بخطوات واثقة حتى نبدو معتادين على مثل هذا الفندق .

سارا بثقة ولكنهما ما كادا يدخلان قاعة الفندق الرئيسية حتى ارتبكا بشدة فقد كانت أغراضهما مفروشة في طرف القاعة خلف عدد من رجال الأمن فقال غالي :

- انظري يا فهيمة كيف فتحت احدى الحقائب ونشرت أغراضها ، نستغرب بقاء أمتعتنا في القاعة .
هل قدرت العلة ؟ نظن العلة في المتاع يا فهيمة ، متاعنا لا يليق بفندق من الدرجة الممتازة ، لا بد وأن مدير الفندق رفض ادخال متاع كهذا الى فندقه

بلعت فهيمة ريقها وهمست : ماذا تقصدون يا غالي ؟
- كيف تتصرفين تجاه متاع مفرداته سلة وكيس وقبقاب خشبي وابريق تنك وطاس حمام وطاسة رعبة .
- زوجتكم فهيمة أخذت موافقتكم قبل توضيب الأغراض .
- أخطأنا .
- اقسم براس أمي ، انني فصلت الكيس من ثوب جدتي المصنوع من الدمقس الأرجواني ، وقصصت البقجة من ثوبها البروكار الذي زُفّت به .
- نكاد نذوب خجلاً .
- أتجدون من الأفضل أن ننكر ملكية الأغراض يا غالي ؟ ، لنقبل نزلاء في هذا الفندق من غير حرج .
- نعم نخشى أن يفرض واقع الحال علينا ، أن نتنازل عن الأمتعة حتى لا نطرد معها كما يخيل لنا .

جذب غالي فهيمة مبتعداً عن الأغراض ومتسللاً بهدوء نحو
ب الاستعلامات حين فوجىء بمدير الفندق يلحق به ويسأل بأدب
: هل أنت متطوع الميني شوز التابع للمعهد التقني يا سيد غالي .
اب غالي :
- نعم . . انما لِمَ تذكر اسمنا باستغراب ؟
قال المدير : هل أنت المتطوعة يا سيدة فهيمة ؟
- نعم أنا الزوجة .
ثم همست في أذن زوجها : يبدو أن تحقيقاً عسيراً ينتظرنا
الي .
فهمس غالي : تماسكي يا عزيزتنا واياك أن تعترفي بملكية
ع ، انكري كل شيء .
قال المدير : سيدتي سيدي . . أنا مدير الفندق .
رد غالي :تشرفنا . . ونحن نقدر وضع الفندق الذي اختاره
هد التقني ليمدا ستيسان لاقامتنا انسجاماً مع مستوياتنا العالية .
تابع المدير مرتبكاً : ثق يا سيدي إن فندقنا من الدرجة
تازة ، وأؤكد لك أنه لم يحدث بتاريخ الفندق أننا فتحنا أمتعة أحد
النزلاء ، لا علاقة للادارة بالفضيحة ولم تكن لنا يد في وقوعها .
ساير غالي المدير متنصلاً : تتصور نزاهة الادارة . . الادارة
سمة في مواجهة البهدلة والشرشحة ضرورية .
وتابع المدير وما زال مرتبكاً : أجبرنا الظرف الذي تم في لحظات
ابقاء الأمتعة في مدخل الفندق .
قال غالي بحزم : أقدر وضعكم ، فندق موثوق من الدرجة
تازة يتصرف تجاه تلك الأمتعة بالسلوك ذاته ، سلوك لا غبار عليه .

ابتسم المدير وقال : اذن أنت غير غاضب لأننا عرضنا أمتعتكم في قاعة الفندق نعم يا سيدي . . حين رأى نزلاء الفندق تلك الروائع تجمعوا حولها لمشاهدتها ولا سيما وقد فتحت الحقيبة وسقطت منها التحف النحاسية النادرة تلك الفنون اليدوية التي لا مثيل لها « آرتيزان تريه جوليه تريه مانيفيك » .

همست فهيمة : احذروا يا غالي هذا المدير ماكر جداً ، انه يستنطقكم بأسلوب خبيث .

لم يفهم المدير الهمس ولكنه التفت نحو فهيمة وقال : لقد عجزنا يا سيدتي عن ابعاد الناس عن أمتعتكم وخشينا أن يندس اللصوص بينهم فاستقدمنا فوراً حماية سرية على أعلى المستويات .

تابعت فهيمة الهمس : هذا مقلب يا غالي . . انه يحاول اغراءكم على الاعتراف بحيازتها ليطردنا فوراً .

نظر غالي محتاراً من تطور الموقف وسأل المدير : أرأيتها بنفسك ؟ .

تنهد المدير حسرة وقال : أغبطكما على حيازة متاع كهذا ، تأملتها ملياً ، يا لجمال تلك السلة المزينة بالخرز الأزرق والياقوت الأحمر ، أضعت ساعة وأنا أتلمس بأصابعي الحفر البديع على حوافي الطاس ووسطه ثم نقلت بصري نحو المعجزتين بقجة البروكار وكيس الدمقس الأرجواني الامبراطوري ، ذلك الحرير الذي غزلته دودة القز ووشاه فنان ماهر ، ولم يعد أحد يرى مثيلاً له منذ سقوط أباطرة روما .

عاودت فهيمة الهمس : أتظنونه مصاباً بلوثة في عقله يا غالي . ترى ماذا كان يقول لو أنني جلبت معي لباس جدتي المشغول بالابرة ، بخيوط « الأوياه » .

فقال غالي : اصمتي يا فهيمة حتى نصل الى مدى اعجابه .

استرسل المدير : لا تلمني يا سيدي ، لأنني حلمت بتعليق
لة في مطعم الفندق لتجميله والى جانبه الطاس الأصفر المحمر ،
طاسة الثانية ذات الرموز والنقوش والخلاليل .

قال غالي : تقصد طاسة الرعبة ، (لا كوب دوبور) .

أجاب المدير : نعم أهنئك يا دكتور غالي على حيازة تلك
جموعة النادرة من القطع الفولكلورية الأرتيستيك .

قالت فهيمة : أخبروه يا غالي بوجود كثير من تلك الأباريق في
نا ، ويستعمل بعضها لنقل المازوت أو لأغراض أخس .

قال غالي متجاهلاً ملاحظة زوجته : نفهم من كلامك حضرة
ير . . انك لا تمانع في نقل تلك الأمتعة الى جناحنا .

قال المدير : آسف ليس فوراً ، لأنني وعدت نزلاء الفندق
مة معرض لتلك الروائع لمدة ثلاثة أيام كما وعدت مصوراً تلفزيونياً
ساح الفرصة له ليصور المعرض .

سأل غالي زوجته بكبرياء : ما رأيك يا فهيمة ؟ ؟ هل تسمحين
رض مجموعتك النادرة من التحف لمدة ثلاثة أيام .

قالت فهيمة بكبرياء : لا مانع عندي على أن ترسل بقية
قائب الى جناحنا فوراً .

انحنى المدير باحترام بالغ وهو يقول : في الحال يا سيدي في
ال .

* * *

لم تكد فهيمة تضع قدميها في مدخل الجناح الفضي الذي حجز
ويتبعها غالي حتى صرخت من فرط اعجابها : يا للروعة . . ماذا
ى ؟ ؟ أيوجد فندق في عالم الواقع بمثل هذه الفخامة لم أنتم صامتون
غالي .

ـ انسطلنا بروعة المشهد يا فهيمة .

ـ أهذا سقف مضاء بالأنوار، أم قطعة من السماء حشدت بالنجوم والكواكب أي كريستال هذا الذي يبرق بهذا الصفاء .

دخلا الحمام فوجداه غرفة فسيحة وفي وسطها بركة صغيرة تتسع لعدة أشخاص وينزل الى قاعه بدرج قصير وقد صفت الأدوات اللازمة للاستحمام حوله على مصطبة رخامية وكلها فضية اللون حسب اسم الجناح .

قال غالي : سنغتسل ونتناول عشاء فخماً ثم ننام . .

وفكر قليلاً ثم قال : لم نر أسرة ولا خزائن في الجناح تعالي نبحث عنها .

بحثا عن الأسرة فلم يجداها ، فاقترح غالي أن يستدعي الجرسون فرفضت فهيمة وقررت أن تكتشف السر بنفسها ، فأخذت تقرع باصبعها واضعة كفها على الجدار كالأطباء فقال غالي مازحاً : أنجلب لك سماعة حتى تكتشفي موضع السرير ولكن فهيمة سرعان ما عثرت على لوحة أزرار كهربائية لا مثيل لها كأنها مخصصة لادارة برنامج فضائي ، فضغطت واحداً منها وكانت النتيجة أن اختفى غالي تحت المقعد الكبير الذي ظهر من أرض الغرفة وانقلب فوقه ، فصرخت فهيمة : أين اختفيتم يا غالي . فجاءها صوتا مكتوماً : صرنا تحت المقعد الذي انقلب علينا من أرضية الجناح .

ـ ويلاه ماذا أفعل .

ـ اضغطي الزر الذي يقابله .

ضغطت فهيمة زراً آخر ، فصدحت موسيقى الجاز في أركان الغرفة وسألت زوجها : هل تحسنت الحال يا غالي .

ـ انقذينا يا فهيمة نكاد نفطس تحت المقعد اضغطي زرين أو
ر .
راحت فهيمة تجرب الأزرار واحداً بعد الآخر ، فبدأت الستائر
فع ، وانفتحت النوافذ وكانا في الطابق العشرين ، فدخلت رياح
يدة المكان وعصفت بالثريات التي صارت تهتز ، بينما ارتفع المقعد
غالي ودفعته الرياح ليصبح تحت السرير وهو يصرخ : انقذينا
هيمة . لقد نشطت الرياح في الجناح ، تدبري الأمر لأن الهواء
ديد يمنعنا من التنفس سنصاب باغماء المرتفعات . .
ردت فهيمة : اصبر قليلاً سأعيد ضغطها بالترتيب .
أغلقت النوافذ واسدلت الستائر وصار الجو معقولاً ولكن شاشة
هائية كبيرة جداً ظهرت في الجناح وظهر عليها صور مجموعة من
تيات العراة ينتظرن مجموعة من الفتيان يخلعون ثيابهم فقالت
مة : واخجلتاه . . من هذه المناظر الرخيصة الفاسقة ، كيف
حون عرض مثل هذه الأفلام في فندق من الدرجة الممتازة .
رد غالي قائلاً : هي الدرجة الممتازة التي تتعمق عادة في هذا
ون من المواضيع لأن نزلاءها من المصابين بالتخمة من الأثرياء
سياسيين ، ولا يحصلون على هضم مريح الا بعد مشاهدة هذه
فلام ، أديري وجهك الى الحائط أو انزلي تحت اللحاف يا فهيمة ،
ت زوجتنا العزيزة ويجب أن نصونك من رؤية الأفلام المنحطة .
ـ وأنتم يا غالي .
ـ نحن سنتابع الفلم كدراسة تاريخية لمعرفة المستوى الذي وصل
ه سقوط الحضارة الغربية بالأذن من الفيلسوف شبنغلر .
ـ فشرتم يا غالي . . اللوحة بين يدي وانا أديرها .

ضغطت فهيمة الزر ، فاختفت الشاشة التلفزيونية فقال غالي بخيبة أمل واضحة : أضعت علينا دراسة قيمة .

ابتسمت فهيمة وكانت مستلقية على السرير ، فرفعت ساقيها في الهواء قائلة .

ـ ساعوضكم عن الدراسة النظرية باختبار عملي في وقت قريب .

قال غالي : حفظناك يا حرمنا عن ظهر قلب ، نريد ثقافة جديدة .

امسكت فهيمة بحذائها ورمته مغتاظة في اتجاه غالي الذي أسرع ضاحكاً في اتجاه اللوحة وضغط زراً أطاح بالسرير وألقى بفهيمة على الأرض .

نهضت فهيمة بسرعة متجهة نحو اللوحة وتجاذبا اللوحة وضغط أزرارها وهما يضحكان .

♦ ♦ ♦

الفصل الخامس

1 - أنقذ وصول المتطوعين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة برنامج المعهد التقني الاذاعي من الركود الذي وقع فيه زمناً طويلاً ، فجدد البرنامج نشاطه وعاد صوت المذيع ورفيقته يلعلعان من اذاعة « مونت ماربيا » مؤكدين على أن مشروع مراجعة الحاجات قد وضع موضع التنفيذ من أجل حضارة جديدة خالية من التلوث والاجرام وقد استمع الدكتور غالي والدكتورة فهيمة الى البرنامج وهما في بركة الحمام في الجناح الفضي في الفندق الفخم .

وكان غالي يراقب بشرة زوجته تحت الأمواه المعطرة والأضواء الملونة التي تتغير مع رعشات الموسيقى ، وكانت بشرتها تختفي أحياناً وراء الرغوة المتطايرة فتزيد في اثارة المنظر ، مما جعل فهيمة تقول لغالي : لقد فعلنا خيراً بانضمامنا الى مشروع مراجعة الحاجات ، هل أنا اجمل أم مارلين مونرو .

لم يجب الدكتور غالي لأنه كان مشغولاً بمتابعة نشوته الفيزيولوجية ، فتابعت فهيمة قائلة : ليتنا نلتقط صوراً للرحلة ونرسلها الى أصدقائنا في ثانوية طرطوس وخاصة الى زميلك الذي سخف الانضمام الى الرحلة وجعله معادلاً لخيانة الوطن .

حرص الدكتور غالي على ألا يضيع متعة واحدة من النشاوى

التي بعيشها فوضع كفّه على فم فهيمة ، وأغلق المذياع الذي كان يردد شعارات مراجعة الحاجات وترك الموسيقى الحالمة المتدفقة مع المياه من قنطرة في جدار البركة وشغل كفه الثانية في مداعبة بشرة فهيمة ، وحين تأكد من بقاء زوجته صامتة ، حرر أصابع الكف الأولى لتقوم بواجبها في السياق العام .

* * *

روبير رودان واحد من الذين أدمنوا سماع برنامج الميني شورز ، لا حباً ولا اعجاباً به ، بل خوفاً من أن يصل مشروع مراجعة الحاجات إلى منتجاته فيعطل مجموعة المصانع التابعة له ، وحين سمع بوصول متطوعين ، أدرك بثاقب رأيه أن المشروع تجاوز حدود الكلام والنظريات إلى التطبيق ، فأغلق المذياع واتجه فوراً إلى منزل البروفسور شاين .

قرع جرس الباب وأعجب باللحن الذي انطلق من الجرس ، وكان البروفسور شاين قد اختار لحن القدر يقرع الباب لهذا الأسبوع .

فتح شاين الباب ودخل روبير دون استئذان فتبعه شاين غاضباً ليقول له : اسمع أيها الرجل ، لن يتم لقاء بيننا دون موعد ، ستنصرف الآن وسأحدد لك موعداً .

نظر روبير بدون اكتراث وأجاب : اعتدت أن أحدد المواعيد للآخرين ، يجب أن نتحدث سوية في موضوع هام ، ولن أجد وقتاً لزيارتك مرة ثانية .

ـ انتبه الى تصرفاتك يا سيد . . أنت هنا في منزلي دون معرفة .

ـ أنا روبير رودان . . ألست البروفسور شاين .

ـ نعم أنا شاين ولكني لا أعرفك . . من أنت ؟ .

ـ جهلك اياي نقص معيب في ثقافتك ، هل تعتقد نفسك أكثر شهرة مني .

ـ أنا لم أنافس أحداً في حياتي على الشهرة ، ولم أسمع بك وأرجو أن تنصرف حالاً من منزلي .

تقدم روبير في اتجاه شاين وحدق في وجهه وقال : أرجو أن تسمعني وستبدل رأيك في الحال ، شهرتك يا بروفسور محصورة بين عدد محدود من زملائك وركن صغير في مكتبة ثقافية تعرض مؤلفاتك ونظرياتك لقلة من الطلاب النجباء . . بينما اسمي معروض في واجهات المخازن كلها ، موجود في حقائب النساء ملصوق على ملابسهن الداخلية ، مصمود في غرف نومهن ، يكاد لا يخلو متر مكعب في مدينة حضارية من اسمي أو شعاري ، لأنني ماركة مسجلة معروفة في جميع أنحاء العالم ، أراهن أن اسمي موجود الآن في حمامك ، أين حمامك ؟ أتسمح لي بالبحث .

قال روبير رودان هذا الكلام واتجه يبحث عن حمام البروفسور شاين ، وكأنه لم يعتد على التراجع في أمر جزم القيام به . فتبعه شاين محتداً وهو يقول : أسمح لك بالانصراف ، قف في مكانك ، ولا تتعدى حدود اللياقة .

دخل روبير حمام شاين غير عابىء بملاحظته وبالبروفسور نفسه ومد يده تعبث بلوازم الحمام وهو يقول : أرني مزيل الشعر الذي تستخدمه لأريك اسمي مكتوباً على غلافه ، أين فرشاة أسنانك لأريك شعاري محفوراً في صلبها ، فمن منا أكثر شهرة يا بروفسور .

عارض البروفسور روبير بجسده مبعداً اياه عن حوائجه ودفعه نحو باب الحمام وقال : لا تهمني شهرتك كمزيل للشعر ولا تسمح لك

أن تعتدي على حرية الآخرين على هذا الشكل الوقح ، انصرف حالاً من منزلي قبل أن ألجأ الى القانون .

خرج روبير من حمام البروفسور وسار أمامه قليلاً وهو يضحك وأجاب : من أوهمك أن القانون يطبق على روبير رودان . . روبير رودان يضع القوانين مع كبار السياسيين بنفوذه عليهم ، روبير رودان يحدد الناس الذين سيطبق عليهم القانون . . هل فهمت يا بروفسور شاين وقدرت موقفك .

ـ لا يهمني مركزك ولا يخيفني ، قل لي ماذا تريد باختصار وانصرف .

ـ مرحى لك . . اجلس لنتحدث .

جلسا متجاورين وقال روبير : جئت اليك بكل تواضع دون مرافقة ، حتى لا تشعر باحراج ، لأعرض عليك راتباً تحدد أرقامه بنفسك مقابل العمل في مخابري .

ابتسم شاين ونظر الى روبير باحتقار وقال له : عرضك مرفوض ، بيننا خلاف فكري واضح .

رد روبير فوراً : اذا كنت عالماً يا بروفسور ، فروبير رودان فيلسوف الصناعة الحديثة ، أنا مصنع ومنتج وفيلسوف ، آمنت بنظرية فرويد في الجنس وطبقتها ، احترمت الدافع الجنسي في الحياة ، فبهرجت المرأة وزينتها ، فكرت في رد في المرأة وبطنها فأوجدت المشد والجربتير ، حلمت بأهدابها فصنعت لها الريف اللاصق ، وجدتها باهتة أحياناً ، فأضفت بريق الذهب الى مستحضرات تجميلها لتلمع لتشع لتبهر في العتمة . افهمني جيداً يا بروفسور شاين ، لقد استوحى عدد كبير من الشعراء قصائدهم من منتجاتي ، ألم تقرأ قصيدة الدانتيل

الأسود ألم تقرأ فستان التفتا .

أمس انتهى . . فستاني التفتا .

أرأيت فستاني ، حققت فيه جميع ما شئتا .

وشياً وغنمة . . وطرائفاً شتى .

كنت آمل أن يقام لي تمثال من الدانتيل والريكامو لأنني أوجدت كل جميل في عالم المرأة ، لا أن يظهر شخص مثلك في حياتي يهددني بالدمار بمراجعة الحاجات قل لي بصراحة ما رأيك بمنتجاتي .

ـ أنثى الحيوان تزداد بهاء في أيام مخصوصات هي أيام الاخصاب ، والمرأة مثلها تهبها الطبيعة رونقاً في أيام معدودات في كل شهر ، فيكفي أن تغسل وجهها بالماء لتصبح نجمة مشعة ، تشع أنساً وظرفاً واغراء ، دون حاجة الى مستحضراتك .

ـ أنت تعترف اذن بكل وضوح وتعرب عن موقفك المضاد تجاه مستحضراتي .

قال شاين مازحاً : سمعت عن شاب قبل حبيبته ، فعلقت أهدابها الاصطناعية فوق عينيه ، وكان لشاب آخر ولع بتقبيل شعر خطيبته ، حتى ملصت بروكتها بيده فغادرها دون رجعة .

وقف روبير رودان مضطرباً ثم تمالك نفسه وقال بانتصار : سأدفع لك يا بروفسور مائة مليون مقابل اهمالك مشروع الميني شوز .

وقف شاين قبالته وقال بحدة : انصرف من منزلي يا سيد روبير قبل أن أصفعك ازداد اضطراب روبير فانقلب الى الاستعطاف وقال : أرجوك يا بروفسور ، سأدفع المائة مليون للمعهد التقني ، لتواصل أبحاثك على مستوى عال ، على شرط ألا يتعرض مشروعك مراجعة الحاجات لمنتجاتي ، هي عالمي الذي أتمتع بوجودي عن طريقه ،

تصور أنني وظفت مجدداً ملايين في قطع الاكسسوار للنساء ، تصور أنني فكرت بتجميل بطة ساق المرأة بلؤلؤتين تعلقان واحدة على كل ساق وتوجد لؤلؤة ثالثة تعلق عند العانة كأنها بيضة حمامة في عش ، ستربحني هذه الموضة أكثر من المائة مليون التي سأدفعها لك أو للمعهد ، عندي مشاريع لا تنضب لسحب الأموال من النساء ، كن رحيماً بملاييني يا بروفسور شاين .

قال شاين : ثق يا سيد روبير رودان أننا سنمضي في دراستنا للحياة الانسانية ولحاجاتها الضرورية دون تحيز ، ودون توجه سابق ، وآمل أن تكون مستحضراتك من أهم الأغراض التي سيفكر المتطوعون في الحصول عليها في البيئة البدائية التي ستختبر توجهاتهم وسعادتهم .

انصرف روبير رودان خائباً ازاء اصرار البروفسور ، ولكنه تمهل عند الباب قبل أن يخرج وقال : تذكر يا بروفسور في المستقبل أنك رفضت التعاون معي ، واحذر عداوتي من الآن ، سأعمل على تدميرك وتدمير مشروعك كما تعمل على تدميري وتدمير مشاريعي ، سأحرض اتحاد الصناعات ضد المعهد التقني ، وسنقتل اذا لزم الأمر ، وسنحرق . . سنلهب معارك ضارية حتى النصر .

2 – وقف روبير رودان في مكتبه حانقاً وأمامه كبير مرافقيه السيد وطواط وشعر وطواط بالألم الذي يحز في نفس سيده وكان يردد : ستندم يا بروفسور شاين على موقفك الرافض عروضي المغرية ، أنا روبير رودان ماركة مسجلة (ر.ر) .

قال وطواط : أنا في انتظار أوامرك .

ـ هل تقتل يا وطواط من أجلي .

- اقتل .

- هل تدمر اذا أمرتك .

- أدمر .

- اذهب الى الفندق الكبير .

- حلمي أن أنام ليلة واحدة فيه .

- لن تنام . ستهدد المتطوعين الشهمين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة وتخيفهما حتى يرحلا عن المدينة فوراً . . هددهما بالقتل واغرهما بالمال بأي مبلغ حتى يقبلا بالعودة الى بلدهما دون نقاش .

- هذه ليست مهمة ، هذه نزهة ازاء مواهبي في القتل والتدمير .

- انصرف بسرعة ونفذ ما قلته لك ، أرهبهما ولا تصبهما بأذى .

* * *

اكتشف الدكتور غالي وجود بار في الجناح الفضي ، فصب قدحاً له وجلس ينتظر خروج زوجته من الحمام ليقدم لها كأساً ، فرفضت متمنعة وأصرت على تجنب المنكر حتى وهما في بلاد الغربة ، واكتفت بتناول زجاجة من الكولا المبردة سأل غالي زوجته : هل استمعت الى خبر وصولنا لقد وصفنا المذيع بالمتطوعين الشهمين العظيمين .

ابتسمت فهيمة وقالت : طالما أنه وصفنا بالشهمين العظيمين فهو يقصد غيرنا .

رد غالي : سمعناه بأذنينا ، الا نستحق لقب شهمين ؟ .

قالت فهيمة : طبعاً لا . . لأننا لم نفعل شيئاً حتى الآن سوى الاقامة في فندق من الدرجة الممتازة .

قال غالي : هذه هي حال الدنيا ، معظم الذين يوصفون

بالشهامة لا يفعلون شيئاً سوى الاقامة في الفنادق الممتازة .

3 – ما كاد الدكتور برهام يعلم من سكرتيرته في المعهد بخبر اتصال البروفسور شاين حتى أسرع اليه فوراًحسب طلبه ، فوجده مضطرباً قلقاً من مقابلة روبير رودان فقال فوراً : لم لم تطلب البوليس له فوراً .

قال شاين : أخبرته باني سألجأ الى القانون ، فضحك وقال أن القوانين لا تطبق عليه وأنه يشترك في وضعها مع كبار السياسيين ، ويحدد الناس الذين تطبق عليهم القوانين . . هل كان علي أن أطلب البوليس له بعد هذا الكلام .

رد برهام ببرود : كان عليك أن تطلب له قدحاً من الويسكي وتسايره وتفهم مراده . اخطأت يا صاحبي في التعامل معه والا لما أقلق راحتك .

ـ أنت تعلم يا دكتور برهام . . انني قلما أخالط الناس وقد فوجئت بأسلوبه في التحدث والتصرف فارتبكت بعض الشيء .

ـ يهز العلماء الدنيا من مخابرهم ولكنهم كالأطفال لا يعرفون الا القليل عن مخالطة الناس في مجتمعاتهم . . وهذه هي نقطة ضعفهم . . ولكن امرأة تتقن السهر تبرز في المجتمع ، وتبدو أقدر على تصريف الأمور من أي عالم ، لأنها لا تتجاهل أصحاب النفوذ ، كم مرة نصحتك يا بروفسور شاين أن ترتاد الحفلات العامة وأن تساهر علية القوم .

ـ هددني روبير رودان أكثر من مرة بالتدمير والحرق والمعارك فهل هو صادق وهل هو قادر .

ـ كنت أفضل خصماً آخر ، لأن روبير رودان الماركة المسجلة (ر.ر) عنيد وكريم وذو صلات حسنة مع النساء وخاصة زوجات

المسؤولين . من حسن حظنا أننا لم نبدأ تنفيذ المشروع على الصعيد العملي فلا يوجد ما نخاف عليه في الوقت الحاضر .

ـ يوجد يا دكتور برهام . . أغلى ما في مشروعنا تحت الخطر الآن المتطوعان غالي وفهيمة ، وهما غريبان في هذه المدينة ، ولن يثير اختفاؤهما جدلاً كبيراً .

ـ كلامك صحيح ، يجب أن نحذرهما ، ونؤمن حمايتهما . ولا سيما أن خبر اقامتهما في الفندق الكبير أذيع مراراً من برنامج مراجعة الحاجات .

• •

قليل من الخمر يفرح قلب الانسان ، وصار غالي فرحاً نتيجة لتناوله عدة أقداح من الويسكي ، فوقف وحاضر على زوجته ، ما أسهل أن يدور الانسان في هذا العصر نصف دورة ليدير ظهره الى هدف كان يسعى اليه طوال عمره . . نحن نعيش عصراً عجيباً ، تتبدل قراراته قبل البدء بتنفيذها .

ودوى صوت اطلاق الرصاص قريباً من جناحها فقالت فهيمة : غالي . . انصت قليلاً اسمع صوت طلقات نارية .

ـ أنت واهمة . . دعينا مستغرقين في التفكير بعيداً عن توافه العالم الخارجي .

تسلل وطواط الى الفندق ، وقام باطلاق الرصاص قرب جناح المتطوعين وكرر الاطلاق قبل الدخول من الباب ليرعبهما حسب الأوامر . فقالت فهيمة : اقترب صوت اطلاق الرصاص من جناحنا .

ـ سمعناه يا فهيمة ونظنه احتفاء بوصولنا كمتطوعين شهمين عظيمين .

قال ذلك واتجه نحو الباب وفتحه مرحباً بالمحتفين ، فدخل وطواط مدججاً بالسلاح وأغلق الباب خلفه ودفع غالي الى الأمام .

فقال غالي : لم هذه المعاملة القاسية يا حامل الرشاش واسمك الآن منادى مضاف كيا طالع الجبل ، ألم تأت للاحتفاء بنا .

قال وطواط بقسوة مقطباً وجهه : ارفع يديك . وهز الرشاش في وجه غالي الذي التفت الى فهيمة قائلاً : طوال عمرنا كانت لنا ثقة شديدة بالمنطق كأفضل وسيلة لدراسة الوقائع . . انما لم تكن لدينا ثقة بالأسلحة التي تعطل المنطق حتى لو كانت بأيدي أصدقائنا وأقربائنا . . وأبناء وطننا .

كرر وطواط عبارته داعياً الزوجين الى رفع أيديهما ، فرفع الزوجان أيديهما ولم يعجب وضعها وطواط فطلب أن يرفعاها الى الأعلى وصار يصرخ :

اعلى اعلى . رفعت فهيمة ذراعيها عالياً ، ولكن غالي اختل توازنه ووقع على الأرض ورفع قدميه الى الأعلى .

قال وطواط : قلت لك ارفع يديك لا قدميك .

أجاب غالي : لا تشغل بالك نحن مرتاحون في هذا الوضع .

قال وطواط : اياك أن تخالف أوامري ، أنا مرعب الناس أنا قاتل أنا أعظم مجرم في هذه المدينة .

رد غالي : لن نخالف لك أمراً ، ولكن بقاءنا مستلقون على الأرض يجعلنا في مستوى أخفض من فوهة رشاشك وفي هذا راحة نفسية لنا .

قال وطواط : ابق حيث أنت سأجلس على المقعد وأضع فوهة الرشاش على صدرك وأعلمك ماذا تفعل لتحافظ على حياتك وحياة زوجتك .

ضحك غالي مسروراً من فكرة وطواط ، ونظر نحو زوجته غامزاً بعينه مذكراً اياها بلائحة الأزرار التي تحرك الأثاث في الجناح فهزت رأسها وراحت تقترب من مكان اللائحة قرب الحائط بينما كان غالي يقول لوطواط : تفضل يا فتى تفضل واجلس لا يوجد اطرى من هذا المقعد في كل العالم ، جربه قبل أن تفوتك الفرصة .

جلس وطواط على المقعد ووضع الرشاش على صدر غالي وقال : مقعد مريح لشد ما حلمت بالاقامة في هذا الفندق ليلة واحدة . فأجابه غالي فوراً : خذ راحتك وتمدد . . ابق في الجناح هذه الليلة .

قال وطواط : اياك أن تتحرك . . وأنت أيضاً قفي في مكانك .

ردت فهيمة : لن اتحرك وساضع يدي على الحائط لتصبح أكثر اطمئناناً .

أدارت فهيمة ظهرها لتضع يديها على الحائط ، فضغطت زر المقعد بسرعة فانقلب المقعد فوق وطواط الذي أفلت الرشاش ، فتلقفه غالي ، ولم تكد تهرع قرب زوجها لتقول له : ما العمل الآن . حتى سمعت صوت صياح الدكتور برهام والبروفسور شاين وصوت طرق شديد على الباب . . ثم فتح الباب ودخل لفيف من عمال الفندق معهم . وسأل الدكتور برهام : ما هي الأحوال لديكما ؟ ؟

أجاب غالي : على أحسن ما يرام ، انما أغمضوا عيونكم ، ريثما تنسحب حرمنا المصون لتبدل ثوب النوم وترتدي ثوباً محتشماً . . هيا يا فهيمة اخلعي هذا اللباس الشفاف قبل أن تدب الغيرة في قلبنا .

♦ ♦ ♦

الفصل الخامس

1 – « دكتور غالي . . . دكتورة فهيمة . . بصفتي الرسمية كمدير للمعهد التقني ليمداستيسان ، وباسمي الشخصي أرفع اليكما آيات الاعجاب لأنكما قبضتما بسهولة على المتسلل الذي هاجمكما » .

افتتح المستر توم بهذه العبارة لقاءه مع المتطوعين الشهمين ، ذلك اللقاء الذي تم في اليوم الثاني والذي لا بد منه ، واسترسل متسائلاً : قل لي يا دكتور غالي هل توصلتما الى سبب الهجوم على جناحكما ؟ .

قال غالي : انت أدرى بخصومات المعهد التقني حضرة المدير واعرف منا بالأسباب .

ابتسم المدير وقال : لاتتفاءل ، المدير في المؤسسة كالزوج المخدوع آخر من يعلم .

سالت فهيمة : هل سيذاع خبر محاولة الاعتداء علينا من اذاعة مونت ماريبا .

المستر توم : طبعاً طبعاً . . سيذاع الخبر مراراً حتى تاخذ العدالة مجراها . . الحق يعلو ولا يعلى عليه ، سأفتح المذياع فقد حان موعد نشرة أخبار المعهد التقني .

أدار المستر توم زر المذياع واسترسل قائلاً : ستسمعان كيف

سيطالب المعهد بانزال القصاص العادل على المتسلل ليتعظ أمثاله من المجرمين .

جلسوا ثلاثتهم يشربون القهوة ويتحدثون عن المدينة ، وكان المستر توم يؤكد على معاقبة الجناة . حين بدأ المذيع يقول : اذاعة المعهد التقني ليمداستيسان تبدأ بث برامجها لهذا اليوم بالخبر الهام التالي . نفى مدير المعهد التقني نفياً قاطعاً نبأ الاعتداء على المتطوعين الشهمين الدكتور غالي وقرينته ، وأكد أن غاية المتسلل بريئة لأنها زيارة ودية لابداء اعجابه بالمتطوعين العظيمين والحصول على توقيعهما في دفتره ، ولا سيما أن المتسلل الى الفندق ويدعى وطواط هو من كبار موظفي مؤسسة (ر. ر) الشهيرة في صناعة الألبسة الداخلية ومستحضرات التجميل العائدة للسيد روبير رودان . واليكم هذه الأغنية قبل اذاعة الخبر التالي .

أغلق المدير المذياع وقال : اخفتني دون مبرر يا دكتور غالي ، تسلل المسكين الى جناحكما لقصد شريف . كان يسعى للحصول على توقيعيكما في دفتره .

قالت فهيمة ساخرة : كنا مخطئين يا غالي . . لقد سعى المسكين الينا شاهراً رشاشه من أجل التوقيع . ترى لو رام أرواحنا ماذا كان يشهر علينا ؟

سخر غالي بدوره قائلاً : يا له من عصر ذهبي للتواقيع تؤخذ فيه بالرشاشات صارت مجاميع التواقيع أغلى في هذا العصر من مجموعات الطوابع ، وماذا كان سبب اطلاق الرصاص في رأيك الفصيح الصريح يا حضرة المدير . ؟

رد المدير ببساطة : السبب واضح ضمن منطق الأحداث ،

طالما كان المتسلل معجباً فاطلاق الرصاص حفاوة بكما دلالة على الاعجاب .

قال غالي : أعاننا الله في المستقبل على كثرة المعجبين يا فهيمة أتريدين أن نتابع الرحلة أم ننكص على أعقابنا ؟

ردت فهيمة : لا أدري بدأت الأمور تتعقد اختاروا ما ترونه مناسباً يا غالي .

قال المدير : لن أسمح لكما بمغادرة المعهد التقني ، حتى يصل الدكتور برهام والبروفسور شاين ، سنقوم فوراً بجولة في المعهد اكراماً لكما ، ونتناول الطعام في مقصفه .

● ● ●

زار الدكتور برهام مؤسسة (ر . ر) بعد اذاعة الخبر وطلب مقابلة روبير رودان الذي وقف مرتبكاً خلف طاولته ثم تمالك نفسه وتقدم مرحباً : زيارتك يا دكتور برهام تواضع كبير من مشروع الميني شوز ، فصافحه برهام بحرارة وأجاب : جئت أعيد اليك أمانة ، عثرنا عليها في جناح المتطوعين الشهمين وهي تخصك .

سأل روبير بامتعاض : أيها وطواط أم رشاشه ؟

ـ الاثنان معاً .

ـ لِمَ لَمْ تسلم وطواط الى البوليس ؟

ـ هل يعقل أن أسلم معجباً بالمتطوعين الشهمين ، يسعى للحصول على توقيعيهما ، الى البوليس .

ـ سمعت نفي خبر الاعتداء على لسان مدير المعهد التقني من الاذاعة قبل قدومك وقدرت خوفك .

ـ ليس خوفاً ، ولكني لم أسلمه للبوليس لعلمي أن البوليس

للناس العاديين يا سيد روبير رودان ، للسرقات التافهة والاعتداءات الشخصية ، أما السرقات الكبرى فلا يحقق البوليس فيها كما تعلم ، نحن في هذا الاعتداء نتعامل مع مؤسسة اقتصادية عالمية تفوق موازنتها موازنة المعهد التقني .

- عرضت مائة مليون كدفعة أولى مقابل تراجعكم عن مشروع مراجعة الحاجات وعندما رفض البروفسور شاين رصدتها لتدمير مشروعكم على الرغم منكم .

- ولكنك في عرف المستمعين الذين استمعوا الى الخبر موافق على مشروع الميني شوز .

- أأنت مجنون يا دكتور برهام ؟ ؟

- أنا عاقل جداً ، حتى تكذب الخبر الذي أذيع عن ارسال كبير موظفيك وطواط للترحيب بمتطوعي مشروع الميني شوز ، وآنئذ عليك أن تبرز سبب وجوده في الفندق هل أنت قاتل يا سيد روبير روادن ؟ ؟ هل تحب العنف ؟ هل أنت ضد العلم .

- فهمت خطتك ،قلبت موقفي المضاد لمشروع تقصير الحاجات ، الى موقف معاضد ، لست مجنوناً يا دكتور ولكنك ماكر .

- سيدي روبير روادن ، مؤسستك العظيمة لا ترحب بالناس عادة دون أن تعلن عن تبرعات سخية ، أنا في انتظار اريحيتك في دعم المشروع .

- أتتوقع مني أن أتبرع أيضاً للمشروع الذي يعمل ضدي .

- أنا لا أتوقع ، ولكن الناس الذين سمعوا خبر ترحيبك بالمتطوعين ، يتوقعون أن نذيع عليهم أخبار منحك السخية ، ولا تنسى قيمة هذا الاعلان ومردوده على نشاط مبيعاتك .

ـ صرت أفضل التعامل مع البروفسور شاين لأنه عدو واضح وانسان عظيم .

ـ على رسلك تستطيع أن تبلغه أرقام تبرعك .

ـ سأتبرع بعشرة ملايين ولكن لا تتفاءل ، سأواصل جهودي لافشال مشروع مراجعة الحاجات .

ـ انما بحذر بعد اليوم ، حتى لا تدفع تبرعات جديدة الى مشروع تكرهه ، هل توقع لي الشيك فوراً ؟ ؟

• • •

2 – كان أول سؤال وجهه البروفسور شاين للدكتور برهام حين التقيا في المعهد التقني هو : هل الحادث الذي وقع في الفندق الكبير وفي جناح المتطوعين صحيح أم مفتعل ؟ . . فرد برهام : أي حادث ؟ . . فوضع شاين كفه على رأسه وصرخ غاضباً : ويلاه من هذا العصر . . ألم تذهب سوية خوفاً على المتطوعين ووصلنا بعد وقوع محاولة الاعتداء عليهما مباشرة .

جلس برهام بهدوء وطلب من شاين أن يجلس بهدوء وقال : اسمعني ملياً يا بروفسور . . وقع الحادث كأي حادث يقع في العالم ، ولم يكن لنا خيار في وقوعه بعدما وقع . انما كان لنا خيار في تفسيره ونحن فضلنا أن نفسره بحادث ترحيب بدلاً من حادث اعتداء ، وبهذه التسمية تفادينا الدخول في مشاكل معقدة مع مؤسسة روبير رودان التي أقدمت على فعله . وأكرمنا المتطوعين وأجبرنا الطرف المعتدي على قبول تفسيرنا .

ـ هل وافقت مؤسسة روبير رودان على تسمية الحادث ترحيباً وحفاوة ؟

ـ وافقت وتبرعت بمبلغ عشرة ملايين لمشروع مراجعة الحاجات لقد ضمنا تأييدها العلني على أقل تقدير وهو أمر له أهميته أمام بقية المؤسسات الصناعية .

ـ مكرت بهم يا دكتور برهام ، ولكنك ضحيت بالحقيقة .

ـ ما زال الحادث موجوداً في سجل التاريخ .

ـ أنت باطني يا دكتور برهام وهذه هي الباطنية عبر التاريخ .

ضحك برهام وقال : انصرف يا بروفسور الى العلم ، ودع لي مجابهة الطوارئ، سنقيم الليلة حفلة ساهرة على شرف المتطوعين أرجو أن تجد فراغاً لحضورها .

تململ شاين وقال : أعدنا الى اقامة الحفلات وصرف الأموال هباء .

ـ صار اقامة الحفلة ضرورياً بمناسبة تأييد مؤسسة رودان لمشروع تقصير الحاجات ، سنعلن في الحفلة عن تبرع السيد روبير السخي .

أخرج برهام الشيك الموقع من روبير رودان والذي يحمل شعاره (ر . ر) ولوح به أمام عيني شاين وقال : أين المتطوعان . . قال شاين : أوصلتهما الى المعهد التقني وتركتهما بصحبة مدير المعهد ليتعرف عليهما .

اندفع برهام خارجاً وهو يقول : سأذهب اليهما قبل أن يقتلهما الملل بصحبة المدير .

* * *

اذاعة المعهد التقني للدراسات الانسانية والبحوث الاجتماعية ومراقبة التطور الحضاري . ليمداستيسان تواصل برنامجها من اذاعة مونت ماريا . . تناشدكم أيها الناس الاغتسال للحصول على الطهارة بالاشتراك في رحلات الميني شوز .

وبعد فاصل موسيقي قصير . . تطوعوا في مسيرة الخلاص مسيرة مراجعة الحاجات حيث لا تلوث ولا تسلح ولا اجرام .

وبعد أغنية أيضاً قال المذيع : سيقيم المعهد التقني حفلة ساهرة في الفندق الكبير على شرف المتطوعين الشهمين غالي وفهيمة ، وبمناسبة تبرع المحسن الكبير روبير رودان بعشرة ملايين لمشروع مراجعة الحاجات .

استقبل روبير كبير مرافقيه بالغفران لثقته بولائه ، وكانا يستمعان الى البرنامج ، فوقف روبير وضرب بيده على الطاولة وقال : برهام داهية ويجب ألا نغفل مهارة المتطوعين القادمين من العالم الثالث ، انهم متخلفون كشعوب ، ولكنهم أذكى منا كأفراد ، فكر معي يا وطواط فكر معي بأسلوب يستميل المتطوعين رد وطواط : أنا خادمكم المطيع يا سيدي ، لا تعذبني بالتفكير ، أرفق بحالي .

ـ سادس عميلاً لي في مشروع الميني شوز ، يقلب برنامج مراجعة الحاجات رأساً على عقب .

ـ أرجوك اختر غيري . . أنا أستطيع أن أقتل بسهولة ، انما لا أستطيع أن أكذب ، عندما أكذب أرتبك وأفضح نفسي .

ـ اطمئن يا وطواط لن أكلفك بدور العميل ، اتصل فوراً بالسيدة روزا .

ـ روزا مسافرة للاشتراك في مسابقة جمال العالم .

ـ اتصل بها حتى لو كانت مسافرة الى المريخ ، ما تزال لدينا عدة ساعات قبل موعد الحفلة ، استقدمها بأسرع نفاثة ، أريد أن أظهر الليلة برفقة عارضة أزيائي .

امتعض وطواط ووقف حَرِناً فاستغرب روبير عصيان أوامره

وسأل وطواط عن السبب فأجاب : فهمت مرادك . . ستكلف روزا بقتل المتطوعين . . أنا أحتج .

ابتسم روبير وقال : استقدم روزا بسرعة وسيعرف المعهد التقني مكر روبير رودان .

3 - وقفت فهيمة أمام المرآة تزين جسمها ووجهها ، بينما كان غالي يدور في دائرة صغيرة من ملل الانتظار . .ثم قال : من يصدق أننا نزلاء في الفندق نفسه حيث الحفل ونصل متأخرين عن موعد الحفل الساهر المقام تكريماً لنا .

- لحظات يا غالي وأصبح جاهزة للعرض دون خجل . . ساعدوني في رفع السحاب ،لقد عجزت عن اقفال ثوبي .

تقدم غالي وراء زوجته وقال : تأخير الزوج صفة معروفة في طبع كل زوجة . وأمسك بطرف السحاب وحاول رفعه فلم يتقدم واستعصى فقال : ضمي ردفيك يا فهيمة . . من غير المعقول أن تدخلي في فستان ضيق مع وجود هذه الشرائح من الهبر الطازج غير المقدد .

- حاولوا يا غالي . . احشروني في الفستان بدون رحمة ولا شفقة .

- لم تكلفين نفسك فوق طاقتك ؟

- حتى تبدو زوجتكم المصون جميلة ونحيفة في أعين الحضور يا غالي ، كنت أظن بدانتي معقولة ، ولكني أبدو كبقرة أمام نحافة الباريزيات ، لا تحمل واحدتهن عشرين كيلو غراماً من اللحم على بدنها تحت سكين أمهر لحام من حي النيرب .

- لا تشغلي بالك . . نحن مقتنعون بجمال شرائحك اللحمية .

ـ ألم تنتهوا بعد يا غالي من رفع السحاب .

ـ استعصى علينا ثانية بعد الخصر ، لوجود غلاصم في الجهتين افرغي صدركِ من الهواء لعله يتحرك ثانية .

افرغت فهيمة صدرها بزفير طويل ، فارتفع السحاب أخيراً حتى نهاية الثوب ولكن فهيمة ظهرت مضغوطة فقال غالي : ضاق صدرك وتكور وصار مغرياً يا مضروبة ولكني أشك في مقدرة رئتيك على استيعاب الهواء اللازم لبقائك حية تسعى .

قالت فهيمة بصوت خافت : سأتنفس تنفساً متلاحِقاً وقصيراً . فتابع غالي منبهاً زوجته : احذري أشد الحذر من أن يلزمك حاجة فيزيولوجية من حاجات البدن . . اياك أن تسعلي أو تعطسي أو غير ذلك ، والا انفجر ثوبك واندلق لحمك من شقوقه .

نزل المتطوعان من جناحهما الى قاعة الاحتفالات في الفندق ووقفا عند عتبة القاعة مبهورين بمنظر القاعة وبالحضور من رجال ونساء فقالت فهيمة في أذن زوجها : يا لها من حفلة رائعة تفوق الأحلام ، تنسموا يا غالي عطورها الغالية ومتعوا أنظاركم بمعرض اللحم دون نوايا سيئة .

شد غالي فهيمة من يدها متقدماً فقد رأى برهام وشابن في جهة ووطواط في جهة قريبة وقدر وجود المستر توم معهما . ورأتهما فهيمة فقالت : أيعقل أن يتم الصلح بين المعهد ومؤسسة رودان على تسليمنا لقمة سائغة الى وطواط .

ـ نشك في هذا الاحتمال هذه هدنة موقتة ، يتقابل فيها الخصوم دون وجود حل .

رأى مدير المعهد المتطوعين في الحفل فاتجه الى منصة الأوركسترا خلف الميكرفون ليلقي كلمة الترحيب ، فقال غالي : انتبهي يا فهيمة سنصبح محط الأنظار بعد قليل .

قال المدير : حضرات المدعوين الأكارم ، أرحب بكم باسم المعهد التقني في هذا الحفل الجميل الذي ضمنا مع ضيوف الشرف المتطوعين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة اللذين سيسافران بعد عدة أيام في أول رحلة من رحلات العودة الى ماضي الانسان وذلك ضمن برنامج المعهد الذي وضعه البروفسور شاين وسماه مشروع مراجعة الحاجات أو الميني شوز .

ويهمني في هذه المناسبة التاريخية ، أن أشير الى أهمية الرحلة التي يتطوع اثنان فيها لممارسة حضارة بدائية ، من أجل خلق حضارة خالية من التلوث والتسلح والاجرام ، أحيي المتطوعين وايمانهما العميق بانقاذ الانسانية من سقطاتها وعيوبها أحيي باعجاب شديد الدكتور غالي والدكتورة فهيمة .

أشار المدير في اتجاه المتطوعين ، فأصبحا فوراً في بقعة الضوء ودوى التصفيق والهتاف بحياة المتطوعين الشهمين ورفع الحضور الكؤوس تحية لهما ، فقال غالي هامساً انحني يا فهيمة للمدعوين . . انحني .

انحنى غالي محيياً وقالت فهيمة : لا أستطيع يا غالي . . أخشى أن يتمزق الفستان ، فأسيل من شقوقه ، انحنوا مرتين بدلاً من زوجتكم يا غالي . وانحنى غالي مجدداً بينما رفعت فهيمة يديها محيية المدعوين كما يفعل الرؤساء .

وتابع المستر توم خطابه فانتقل الضوء اليه وقال : أتوجه بالشكر

الى مؤسسة روبير رودان لتبرعها بمبلغ عشرة ملايين دعماً لمشروع الميني شوز وتحية للذين لبوا الدعوة والسلام عليكم .

نزل المستر توم من المنصة وتابعت الاوركسترا عزف الالحان ، فابتعد شاين الى ركن قصي في القاعة فتبعه برهام ليطمئن على شعوره فسأله : لم انت واجم وحدك في هذا المكان . اجاب شاين : كنت افضل ان ابقى في مختبري وعلمي ولااحضر هذا الحفل حتى لا تتقزز نفسي من التملق الكاذب .

ـ نحن مجبرون على اتباع هذا الاسلوب لنطيل في عمر مشروعنا ما أمكننا .

ـ ستتلوث نحن انفسنا ، قبل أن نزيل عن هذا العصر شيئاً من تلوثه . افضل ان اعلن فشلي منذ الآن ، على ان اداري اعداء لنا يبيتون النوايا الخبيثة .

ـ اهدأ يابروفسور شاين ، وامسك اعصابك يظهر انك غير معتاد على الحرب الباردة .

ـ انا معتاد على البحث عن الحقيقة واعلانها .

التفت شاين وبرهام في اتجاه الصوت الذي كان يقول : اجتمع العلم والمكر وكان صوت روبير رودان الذي استرسل قائلاً : اصفحا عن تدخلي في مناجاتكما انما اريد ان اسألك يا بروفسور شاين لم ابتعدت حين ذكر مدير المعهد اسم مؤسستي .

اجاب شاين بقسوة : لانني لااتقن التملق ، وسابتعد عنك فوراً . وانصرف . فقال روبير لبرهام : شاين رجل صلب . . احمد حظي على وجود رجل مرن مثلك يا دكتور برهام . لذا أحضرت معي عارضة ازيائي روزا ذات الجمال الساحر لتعرض امام الحضور بمجموعة

من اثواب الاستحمام والالبسة الداخلية من منتجات (ر . ر) ستتيح لمدعويك عرضاً رائعاً .

شعر برهام بان روبير قد رد عليه بضربة مفاجئة لايمكن تجاهلها ، وادرك ان الخلاف سيزداد بينه وبين شاين ، فنظر ببرود محاولاً أن يجد سبباً يساعده على الاعتذار ، ولكن صوت روبير رودان جاء آمراً بشدة : هيا اعلن عن عرض الازياء وبصوتك يا دكتور برهام حتى لا يبقى مجال للشك في اننا على اتفاق ، المعهد التقني ومؤسسة روبير رودان . ثم املى عليه ما سيقوله للمدعوين .

صعد برهام الى المنصة وقال خلف الميكرفون : سيداتي آنساتي سادتي مفاجأة سارة اعدتها لكم مؤسسة روبير رودان ، وهي عارضة ازيائها الشهيرة روزا التي قطعت مشاركتها في مسابقة انتخاب ملكة جمال العالم وعادت لتشارك في الاحتفاء بالمتطوعين الشهيرين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة ، بتقديم مجموعة من التصاميم الاخيرة لمؤسسة (ر . ر) من عالم الاناقة .

دوى التصفيق الحاد في القاعة ، وعزفت الاوركسترا اللحن المناسب لظهور روزا ، ونزل برهام عن المنصة ، وصعد روبير رودان بدلاً عنه ، وحين شاهد شاين هذا التهريج وضع الكأس الذي كان يشربه على صينية اقرب جرسون له واندفع خارجاً من القاعة . بينما اعلن روبير مبتسماً بفخر :روزا في ثوب استحمام بديع للشاطىء .

وظهرت روزا ، وكانت امرأة جميلة وجذابة كوردة ندية ، وسارت تحت الاضواء بقوامها الممشوق وتثنت بقدّها وماست ورنت بعينيها في الوجوه المحدقة فيها وقد احتبست الانفاس في الصدور وتابعتها النظرات اينما اتجهت وسرحت تحت ابطها وعند تكويرة نهدها

ثم اختفت فتنفس الحضور الصعداء .

نطق غالي بالعامية وبلهجة الشاغور : ياحبيبي شوهاد شي بيملخ العقل . وعادت الموسيقى تصدح واعلن روبير رودان من جديد : روزا في ثوب خاص للنوم في شهر العسل . وظهرت روزا بالثوب الزهري الشفاف ، فقال غالي : رائع رائع . . يكاد الانسجام يخنقنا افتحوا النوافذ ، صار الجو حاراً . وقد ظهر جبينه مبللاً بالعرق فمسحه بمنديله ، وحدجته زوجته شزراً من الغيظ وقالت : اضبضبوا يا غالي ، لا تظهروا فجعكم للنساء امام الاغراب .

قال غالي : لاتعتبي علينا يافهيمة ، دعينا نتابع المشهد الذي يصبي الحليم ويبكي العين احياناً .

واعلن روبير رودان من جديد : روزا خلف قطع من الاكسوار وظهرت روزا عارية كما ولدتها امها ، تضع فردتي حلق في اذنيها وتضع قلادة كبيرة على صدرها تتدلى فوق نهديها ، وزناراً من الزئبق الرجراج المثبت في ثقوب صغيرة فكان الزئبق ينفلت بالحركة من ثقوبه ويتجمع على طرفي الحلية ليسقط في الثقوب مرة ثانية ، فيبدو النهدان أو بعض منهما وتبدو عانتها او شيء منها ، ثم يختفي المنظر وراء الزئبق الرجراج ، أو بعض منه .

قالت فهيمة وقد أكلتها الغيرة : أغمضوا أعينكم عن الفسق والفجور ، والا عطست فمزقت ثوبي الضيق ، وأظهرت مفاتني . فرد غالي : لا تضحكينا بمفاتنك أأنت أنثى وهذه أنثى .

لكزت فهيمة زوجها في خاصرته بشدة وقالت : قطع الله لسانكم ، اخرسوا قبل أن أجعل ليلتكم سوداء . لم يصمت غالي بل قال متحدياً : انظري هذه بدون شرائح ولا غلاصم ، كأنها سمكة

من دون حسك . سبحان الخلاق العظيم على أجمل مخلوقاته فوق الأرض .

ازداد حرج الموقف بين غالي وفهيمة ، حين أعلن روبير رودان : ستكرم روزا الرحال الأول في مشروع مراجعة الحاجات بقبلة تعارف .

قالت فهيمة لزوجها : رباه ليتني لم أفارق منزلي من أين طلعت لي هذه المصيبة ، هذا فسق وفجور لن أسمح به . قال غالي لزوجته : لا تقطعي بنصيبي يا فهيمة ، أنا مرزوق .

اتجهت روزا نحو المتطوعين بين هتاف الحضور وشهقات الاعجاب بينما حاولت فهيمة شد زوجها وهي تقول : انجروا أمامي فوراً الى الجناح قبل أن أطيح بوجاهتكم .

حاول غالي أن يفهم زوجته أن القبلة في هذه البلاد كالمصافحة فردت عليه مستنكرة : من قال لكم ، انني سأسمح لكم بلمس أناملها .

قال غالي : لا تظهري متخلفة أمامهم . .كوني متسامحة ، نرجوك يا فهيمة هي مجرد قبلة عرفها الأطباء بأنها تلامس مخاطيات الفم بين المقبِّل والمقبَّل .

وصلت روزا ووقفت أمام غالي تتابع الشقاق الذي دب بين فهيمة وزوجها وقالت مبتسمة وبرقة بالغة ، أنا منتظرة أيها الرَّحال الشهم . ثم أغمضت عينيها وقالت : هيت لك .

قال غالي مستعطفاً زوجته : اشفقي عليها يا فهيمة هي منتظرة ونحن متلهفون .

التفتت فهيمة الى روزا وقالت : ابعدي عن زوجي ، وروحي

انستري أما فاجرة .

فتحت روزا ذراعيها قائلة : تعال أيها الرجل العظيم لأضمك بين ذراعي وامنحك قبلاتي . . قبلات التعارف الحارة .

حشرج الصوت في حلق غالي ليقول : عزيزتنا فهيمة ، فهيمتنا عزيزة ، هذه فرصة العمر ، قدري موقفنا . ردت فهيمة : عين الطراقة يا فهيمة ، على هذه الوقعة السوداء ، ما كان أغناك عن هذه الرحلة المشؤومة ، من أين طلعت عليك هذه الحية المقشورة .

لم تنتظر روزا موافقة فهيمة بل حضنت غالي بين يديها ووضعت فمها على فمه وقبلته بعمق شفتيها ، قبلة اشتهاء كتمت فيها أنفاس غالي الذي كان يغمغم وتنهدت روزا قليلاً وركزت لسانها بين شفتيها وعانقت غالي مرة ثانية وهي تقول : هذه قبلة وداد . وصار غالي يغلي فضمها بدوره آخذاً لسانها بين شفتيه تاركاً لرغبة الرجل بامرأة مثلها أن تظهر دون خجل ، وصفق الحضور ضاحكين وانهالت عدسات الصحفيين تلتقط عشرات الصور لهما حتى ابتعدت بشفتها الأعلى وبقي شفتها الأخر بين يديه لم يحول وقالت : فتنني هذا الرحّال العظيم ولذا قررت أن أتطوع الى جانبه في رحلات الميني شورز .

حدجت فهيمة منافستها وقالت : تتطوعين وترحلين معنا «مافشرقي» سيغمى علي يا غالي . رد غالي مبتسماً : اغماء مناسب تمتعي به ريثما يتم التعارف مع رفيقتنا في الرحلة قالت فهيمة متوسلة : ضمني يا غالي لأنني ساعطس ويتمزق ثوبي الضيق وتظهر مفاتني أمام الحضور .

بقي غالي ضاماً خصر روزا بين يديه وقال : ليتنا كنا نملك أربعة اذرع أو اكثر كالأخطبوط لما بخلنا عليك .

ردت فهيمة : اللعنة عليكم يا غالي أبعتم زوجتكم وكنتم تغارون علي من النسيم قلت لكم سأعطس وأخشى أن يتمزق ثوبي من جنبيه . وعطست فهيمة وتمزق ثوبها وبقي غالي مشغولاً بروزا ، فهجمت بحيوية بنات حي النيرب وجذبته من بين يدي روزا وهي تقول : سأمحق لكم هذا الرأس الفارغ اجروا أمامي . . العمى ما أسرع فساد رجالنا في مدينة غربية .

سار غالي صاغراً أمام زوجته وهو يقول : اخجلي يا فهيمة نحن في حفلة تكريم أضعت وجاهتنا .

◆ ◆ ◆

الفصل السابع

1 - نقل البرنامج المخصص لمشروع المعهد التقني فقرات مبتورة ، من حفل التكريم الذي أقيم للمتطوعين الشهمين ، ولكنه لم يستطع تجاهل الفتنة التي أثارتها روزا بالقبل التي تبادلتها مع غالي بحضور زوجته ، لأن صورهما نشرت في معظم الصحف ، ولأن روزا أعلنت عن انضمامها الى الرحلة بوضوح وظهر السؤال المحرج هل تقبل الدكتورة فهيمة بمرافقة عارضة أزياء مؤسسة روبير رودان الى المكان الذي سيخصص لمشروع مراجعة الحاجات في جزيرة مقطوعة عن المدنية ، وما هو موقف الدكتور غالي عندما تبدأ المشاكل بين زوجته وعارضة الأزياء .

* * *

بادر برهام الى زيارة البروفسور في منزله ليزيل الأثر السيء الذي خلفه حفل التكريم ، فوجد شاين متعباً ، لأنه شرب عدة أقداح بعد عودته الى المنزل فسأله : ما الذي أزعجك ؟ أعرض الأزياء أم خبر تطوع روزا في مشروع مراجعة الحاجات .

كان شاين يعاني من الصداع ، فحاول أن يمسك أعصابه وأن يظل صامتاً ولكن برهام استمر في حديثه فقال : الا يحق لروبير أن يستثمر الاحتفال بعدما تبرع بعشرة ملايين الى مشروعنا ؟ .

رد شاين بعنف لا أريد ملايينه ولا أريده في مشروع المبني

شوز . أفضل مشروعاً متوسط الحال نزيها على مشاريع ثرية فاسدة افهمني يادكتور برهام إن فساد هذا العصر أخطبوط ضخم يسيطر على كل المنظمات في العالم ويستدرج الانسان الى نكران مثله العليا لوجود بيوض ذلك الأخطبوط في جسد كل انسان .

- منذ بدأت أعمل معك ، وأنا أشعر بلعبتك الخطرة في مواجهة أعنف وأفسد عصر شهدته الانسانية ، حتى صرت أسأل نفسي مراراً ، بم يأمل البروفسور شاين بعد تنفيذ مشروعه ؟ .

- لا آمل كثيراً . . هدفي أن الجم العصر قليلاً لأبعد شبح الكارثة التي تبدو بوضوح أمام عيني ، حين تضرب القارات بعضها بعضاً دون رحمة ولا شفقة ، لا من أجل مبدأ أو عقيدة ، بل من أجل مزيد من الرفاه في عالم الاستهلاك أنت عالم يا برهام ، وتعرف كم يكلف البذخ الذي نعيشه الآن ولا طائل من ورائه ولا علاقة له بسعادة الناس ، كم يكلف البشر تعباً ومشقة وكداً وتكاليف باهظة ، وكم يعود عليهم بفضلات تلوث الجو والبحر لتشوه سلالاتهم في المستقبل .

علينا أن نعمل بسرعة وبإيمان شديد ، لنخلق المناخ الانساني الرائع في مكان ما من الأرض ونوسع هذا المكان ليحج اليه كل مشتاق الى الاغتسال من الجشع والطمع .

- أحذرك بدوري ، لن يتركك أصحاب المصالح والنفوذ تحرر الانسان من بين أيديهم بسهولة ، لأن ازدياد حاجات الانسان هو السبيل الوحيد لابقائه بين أيديهم ، وهو السبيل لابقاء الانسان أكثر طواعية وعبودية .

- أأنت معي أم ضدي يا دكتور برهام ؟ ؟

ـ أنا الى جانبك ، انما لي أسلوبي في العمل ، لا ضمن لك نجاح مشروعك بغرس نبتة صالحة في ركن قصي ، لابقاء شعلة مهما كانت ضئيلة ، لاطلاق صرخة مسموعة في وجه العصر .

ومد برهام يده داعياً شاين الى مصافحته فابتسم شاين .

* * *

جلست روزا في مكتب روبير رودان وسألته : هل كنت راضياً عن منجزاتي في الحفل الساهرابتسم روبير وقال : مرحى يا روزا مرحى لك ، أنا في غاية السرور لأنك فعلت الكثير في اجتماع واحد . . وكان الاعلان عن تطوعك مفاجأة أذهلت الصحف فعلقت عليها متنبئة بفشل المشروع .

ـ هل تطوعي دعاية للمؤسسة أم حقيقة ؟

ـ ستسافرين يا روزا في الرحلة لتبعدي فهيمة الى بلدها وتنفردي مع غالي في اختيار الحوائج اللازمة لسعادتكما .

ـ لا اظن انني سأكون مفيدة لمشروع مراجعة الحاجات .

ـ نحن نريد أن تكوني مضرة لا مفيدة .

نظرت روزا بعينيها الناعستين نحو روبير رودان ووضعت ساقا فوق ساق لتبرز مفاتن فخذيها عبر ملابسها الداخلية وخراطتها القصيرة وقالت بدلع : أليست مفاتني أفتك من الأسلحة البيولوجية ، لأنها أسلحة بسيكولوجية ، تعطل العقل وتشل الارادة ، وغير مدرجة في قائمة الأسلحة الممنوعة دولياً في قرارات هيئة الأمم . اذا أمرتني مون باترون ، جعلت الدكتور غالي يقتل الدكتورة فهيمة أو يقتل نفسه بيده أو تقتله زوجته ، دون اللجوء الى القتلة والسفاحين ، وكل هذه الأفعال غير خاضعة لقانون العقوبات .

تقدم روبير من روزا وأنهضها عن المقعد وطبع قبلة على ثغرها وقال مبتسماً : روزا أنت أهم ثروة بين يدي مؤسسة روبير رودان ، سأجعل صورك في جيب المراهقين والرجال والكهول ، وأدفع لك مرتباً خيالياً ، هيا اتصلي بالفندق وتحدثي مع غالي .

رن جرس الهاتف مراراً قبل أن يستطيع غالي النهوض من فراشه ويرفع سماعة الهاتف ليسمع الصوت المثير يقول له بدلع : آلو حبيبي ، نور عيني أنا مشتاقة لعينيك .

عرف غالي صوت روزا على الفور فارتبك خشية أن تنتبه فهيمة ، فنظر باحثاً عنها بعينيه قبل أن يجيب على الهاتف بحرية ، فلم يرها في الجناح ، وكانت روزا تقول : أنا روزا يا غالي . . أنا روزا الولهانة ، أريد لقاء عاجلاً دون زوجتك .

كان خدر النشوة التي حصل عليها في الليلة الفائتة ما يزال في شفتيه وتحسس شفته بأصابعه ، وتذكر ليونة بدنها حين طوقها بذراعيه ، فقال : أنا تحت تصرفك . وانتبه أنه تحدث بالمفرد لأول مرة فحاول أن يصلح عبارته ولكن روزا قالت : هل آتي للقائك في الفندق .

نظر حوله خائفاً وقال بسرعة : لا اياك أن تأتي الى الفندق ، سأنتظرك خلال دقائق خارج الفندق لنذهب الى مكان آخر .

ضحكت ضحكة رنانة وقالت : يلزمني نصف ساعة حتى أصل قرب الفندق الى اللقاء . وضعت السماعة وما زالت ضحكتها في أذني غالي الذي وضع السماعة بدوره ، ووقف حالماً باللقاء المثير ، ولكنه عاد وتذكر زوجته فهيمة ، وقرر أن يلبس بسرعة ويترك لها رقعة من الورق يطلب فيها بقاءها في الفندق حتى عودته .

تقدم خطوات فوجد عدداً من الصحف ممزقة ومرمية على الأرض ، أمسك صفحة منها ، فرأى صورته منشورة وهو يقبل روزا ، فشعر بامتعاض لأن زوجته شاهدت الصحيفة ومزقتها ، وخطر له أن زوجته غادرت الفندق فاضطرب واندفع يبحث عنها في الجناح ، ودخل الحمام أيضاً ولم يجد أثراً لها .

لبس ثيابه بسرعة ، ونزل يسأل عن زوجته ، فأخبره الموظف : لقد خرجت زوجتك منذ ساعة ، ولم تترك لك رسالة .

صار على غالي أن يقرر سلوكه ، فهو اما أن يلتقي بروزا ، أو يسعى خلف حرمه المصون فهيمة ، في مدينة صاخبة كباريز ، لا تعرف زوجته مسالكها ، ولا تعرف أحداً فيها سوى البروفسور شاين والدكتور برهام والمستر توم ووطواط ، وحين تذكر وطواط أدرك الخطر الذي يهدد حياتها ، فقد تقتل أو تخطف ، ولم يستبعد أن تكون روزا مشتركة في الخطة . فحدث نفسه : لقد وضعتنا غبيتنا فهيمة ، أو فهيمتنا غبية في موقف حرج ، ولعل المشكلة في الموضوع هي أننا نحبها على الرغم من غلاصمها وشرائحها اللحمية .

اتصل غالي بالبروفسور شاين واعلمه عن غياب زوجته فهيمة عن الفندق دون أن تترك خبراً ، فطلب شاين من غالي أن يوافيه الى المنزل فوراً .

* * *

خرجت فهيمة من الفندق مضطربة ، وما تزال صور ليلة الأمس في ذهنها وما زالت كلمات غالي قاسية تحز في قلبها ، وسارت في الشارع على غير هدى وحين رأت مقهى على الرصيف ، ركنت اليه ، وطلبت فنجاناً من القهوة ، وكانت تشعر بحسرة بالغة لأنها لم تعرف غالي على حقيقته .

جاء رجل وجلس الى طاولتها ، وحين التقت نظراتها ، ابتسم محيياً ، فردت التحية ببسمة خفيفة ، وارتبكت لأنها لم تبسم لغريب طوال عمرها ، وخشيت أن يتحدث اليها ، فوقفت فجأة وغادرت المقهى ، ثم استقلت سيارة أجرة وطلبت منه أن يوصلها الى عنوان البروفسور شاين .

قرعت الجرس وانتظرت حتى فتح شاين الباب ، وكانت قد فقدت قدرتها على التماسك فاندفعت الى الصالون وجلست على المقعد وأخفت وجهها بين يديها ، وأجهشت ثم بكت .

جلس شاين صامتاً تاركاً لها الوقت الكافي لتفريغ قهرها بالدموع الغزيرة التي سالت على وجهها وشوهت زينتها ، حتى تماسكت نفسها قليلاً وقالت : الخائن ابن الخائن . . الغدار . . بعد عشرتي الطويلة معه واخلاصي له وتعبي في الحياة من أجل راحته ، تصور يا بروفسور شاين ، كم مرة غسلت له قمصانه اذا كان يبدل قميصين في كل أسبوع وأحياناً أكثر من ذلك ، تصور كم مرة غسلت له جواربه النتنة اذ كان يغير جورباً واحداً في كل يوم ، كم طبخت له « زهرمان بخاري » اذ كان يأكل ثلاث وجبات يومياً . . وبعد كل هذا التعب فاجأني بالاهمال وقصر اهتمامه على عاهرة .

خرج شاين عن صمته وقال : هذا وضع خطير ، سيؤثر على وجودكما معاً في مشروع الميني شوز .

عادت فهيمة الى البكاء انما أقل حدة من قبل ثم قالت : جئت أسحب تطوعي لن تذهب رجلي مع رجل زوجي في رحلة بعد اليوم ، لن أشترك معع ذلك الغدار في عمل بتاتاً . بعدما غرق في هوى تلك المفعوصة عارضة أزياء روبير رودان .

ابتسم شاين ملاطفاً وقال : أقدر ألمك يا دكتورة ، وأظنها لعبة من روبير رودان فهو لم يقصد جلب عارضة أزيائه من أجل الدعاية وحدها بل هدف الى تدمير العلاقة المتينة بينك وبين زوجك .

ـ ما العمل الآن ؟ ؟

ـ حدثني زوجك على الهاتف قبل قدومك وطلبت منه أن يأتي في الحال لنهتم بغيابك عن الفندق ، وكان مضطرباً ، أظنها نزوة عابرة لا تحتمل أن نطيل الوقوف عندها كثيراً .

ـ أتظنون هذا يا بروفسور ، وقد أعلنت عن تطوعها وستذهب معنا في الرحلة .

ـ سنعالج الموقف بعدما يتضح ، لا تخشي شيئاً .

قرع الجرس فذهب شاين ليفتح الباب ، واذ بغالي يدخل بسرعة ويخاطب شاين قائلاً : هيا يا بروفسور نبحث عنها في كل مكان نحن خائفون من أن تصاب حرمنا المصون بأذى .

قال شاين : زوجتك عندي انها في الصالون .

تابع غالي دخوله بسرعة وكلم زوجته بقسوة : نريد أن نعرف فوراً ما سبب تصرفك الأرعن ، كيف تغادرين الفندق دون علمنا ودون اذن .

سمع شاين كلام غالي فنصحه بالهدوء وطلب منه أن يقدر ظروفها فقال غالي : نحن نقدر ظروفها ولكنها لم تقف حتى الآن وترمي السلام ببشاشة .

شاين ـ قفي يا دكتورة فهيمة وسلمي على زوجك .

فهيمة ـ لا علاقة لي به بعد اليوم .

غالي ـ دعوى كاذبة ما زلت على عصمتنا يا فهيمة .

فهيمة ـ اذهبوا الى عشيقتكم روزا ، أتمنى أن تعاشروا تلك السرنوة . الممصوصة لتدركوا قيمة زوجتكم فهيمة ، هل تجدون من يخاطبكم باحترام مثلي ، هل تجدون من يحبكم مثلي يا لحظي السيء!

وبدأت فهيمة البكاء بحضور زوجها فقال لها : اضبطي أعصابك ألا تخجلين من البكاء أمام عالم كالبروفسور شاين وأنت دكتورة عالمة .

شاين ـ دعها يا دكتور غالي تنفث عن كربها ، البكاء مفيد في هذه الحالات .

غالي ـ مفيد لها وممغص لنا ، سنصاب بمغص نفسي شديد .

فهيمة ـ كنا في سعادة قبل أن تهبط علينا تلك المصيبة فتعكر صفو سعادتنا .

غالي ـ لا تنفخي في النار التي بدأت تهمد على عادة النساء ، سنلف المشاكل الطارئة أمام جلال الرحيل في ماضي الانسان .

فهيمة ـ أنا غير موافقة حتى أسمع منكم بصراحة كيف ستنظم الرحلة .

شاين ـ سؤالك في محله يا دكتورة فهيمة ، هل تصر يا دكتور غالي على اصطحاب أحد غير زوجتك في البعثة الأولى .

غالي ـ نصر على السفر وحدنا اذا أمكن ذلك .

شاين ـ أجبني بصراحة ، نحن غير موافقين على وجود متطوع ثالث في مرحلة الدراسات الأولى ، فهل تقبل الرحيل مع زوجتك .

غالي ـ نقبل أعاننا الله على تجاربها .

شاين ـ اذن سنرسلكما سراً الى المكان الذي سنختاره سأتصل بالدكتور برهام لنرتب خطة الرحلة ، سنعجل بالقرار خوفاً عليكما

وتحقيقاً للمشروع .

اتجه شاين الى الهاتف في مكتبه ، بينما امتدت يد غالي تداعب نقرة فهيمة فدفعت يده وتمنعت وهي راغبة ، ثم نظرت اليه بدلع وابتسمت فانحنى على نقرتها وقبلها . قالت فهيمة : احرصوا يا غالي سيرانا شاين .

قال غالي وهو يضمها : اعتدنا على التقبيل أمام الناس ، لا تهتمي .

2 — حين وصلت روزا الى الفندق لم تجد غالي في انتظارها ، وعلمت أن غالي خرج مسرعاً دون أن يترك خبراً ، فشق عليها هذا الاهمال ، وعادت غاضبة الى مكتب روبير رودان وقالت :

ـ سمعت مراراً عن اهمال الشرقيين مواعيدهم ، الا مع النساء فهم حريصون على القدوم قبل ساعة أو أكثر من الموعد ، فكيف اهمل غالي موعدي معه مون باترون .

سكت روبير حانقاً يتأمل روزا ثم قال : وثقت كثيراً بنفسك فافشلت الخطة ، ليتك اقتحمت غرفته دون انذار ، واعتديت على عفافه ، لو فعلت ذلك لاستسلم لك دون قيد ولا شرط . غاليت في تقدير مفاتنك يا روزا .

جلست روزا حانقة مظهرة مفاتن فخذيها متحدية نظرات روبير وابتسمت باغراء وقالت : لا تحكم يا سيد روبير قبل أن انفرد به مرة واحدة حتى تتأكد من النتائج .

ضرب روبير بقبضة يده على الطاولة وقال : لم لم تفعلي حتى الآن ؟ .

اجابت روزا: لأنه ليس وحيداً ، خلفه امرأة تحميه .

ـ هل تنتظرين ياروزا أن أخطفه لك لتنفردي معه ، أستطيع أن أقتله آنئذ دون وساطتك .

ـ قل لي أين أعثر عليه وسأنهي الخطة بنجاح .

ـ افتحي الراديو . حتى نستمع الى اذاعة المعهد التقني ليمداستيسان لعلها تساعدنا على معرفة مكانه .

أعلن المذيع عن أحدث أغنية ، ثم قال : تم فحص الملوخية المصادرة في مطار أورلي والتي كانت بحوزة المتطوعين الرائدين ، وظهر نتيجة تحليلها في مخابر المعهد التقني أنها تحوي على نسبة من المعادن ، وخاصة الحديد الذي يفيد في حالات فقر الدم بالاضافة الى مادة هلامية فعالة جداً في زلط المواد عبر أنابيب الأمعاء ، مما يجعلها غذاءً صحياً ، وقد أعيد كيس الملوخية مع التقرير الى جمارك المطار ليفرج عنه ويسلم الى المتطوعين مع الاعتذار لهما بسبب الازعاج الذي سببته ادارة المطار لهما لجهلها بالملوخية .

قال روبير : اللعنة على الملوخية وعلى المتطوعين بدأ صبري ينفد .

قالت روزا : هل أذهب حالاً الى المطار .

رد روبير : انتظري حتى نسمع خبراً أوضح من هذا الخبر .

تابع المذيع بعد أغنية قائلاً : مستمعي الأكارم ، جاءنا الآن هذا الخبر الهام سيعقد المعهد التقني جلسة مناقشة بعد قليل ، مخصصة لوضع تفاصيل أول رحلة في ماضي الانسان ، تنفيذاً لمشروع الميني شوز ، وسيحضر الجلسة المتطوعان الرائدان غالي وفهيمة .

سر روبير بالخبر ، ولمعت عيناه بنظرات التحدي وقال : يجب أن تذهبي الى المعهد يا روزا .

ردت روزا بسرعة : لو لم أهرب من المعهد في صغري لما صرت عارضة أزياء في مؤسستك ، أعجزت والدي في صباي فهل أذهب بعد تحرري من أبي الى المعهد ، أفضل أن أذهب الى الديسكو بدل المعهد .

ـ اسمعي يا روزا ، أنت متطوعة في رحلة الميني شوز ، ويجب عليك أن تحضري جلسة المناقشة حتى ترافقي المتطوعين في الرحلة .

ـ لم أدع حتى الآن مون باترون الى الجلسة ولا أعلم موعدها بدقة .

ـ بدأ أعداؤنا يتصرفون بسرعة وبدون حذر ، سأوصلك الى منزل مدير المعهد المستر توم ، لتجبريه على اصطحابك الى جلسة المناقشة باعتبارك متطوعة ، حاولي معه كل الخطط . . احتجي طالبي بحقك ابكي قبليه اذا لزم .

ـ لم لا أبداً بالقبل ستكون النتيجة مضمونة مون باترون .

جذب روبير روزا من يدها بسرعة ، يستعجلها قبل خروج المستر توم من منزله ، وأسرع بسيارته يجتاز الشوارع حتى وصل أمام منزل مدير المعهد واطمأن لرؤية سيارته واقفة أمام منزله ، فدفع روزا خارج السيارة ، ثم ناداها ثانية وأعطاها جهاز تنصت لتبقى على اتصال به ونصحها أن تضعه في عبها . وقال مشجعاً : هيا روزا ، شدي عزائمك وتذكري أن مستقبل مستحضرات التجميل والسوتيانات معلقة بمفاتنك .

ابتسمت ولوحت بيدها مبتعدة وهي تقول : كم بوماً أحجزه لك في منزله .

مشت روزا نحو باب المنزل ، وقرعت الجرس وكان المستر توم

يقطن في « فيلا » صغيرة ومسورة . شعر المستر توم بحرج عند سماعه رنين الجرس لأنه كان يتعد للخروج من المنزل من أجل جلسة المناقشة .

فتح الباب متأففاً ، وكاد يعتذر عن استقبال زائر دون موعد سابق ، لولا أنه شاهد روزا منتصبة أمام الباب وهو وحده في المنزل فأفسح الطريق لدخول الفاتنة التي ما كادت تعبر المدخل حتى فتحت ذراعيها قائلة : كم أنت رائع أيها اللّيث الكهل . حلمي الكبير أن يعشقني رجل في حكمتك .

لم يتوقع المستر توم هذا الاندفاع من السيدة روزا ففتح ذراعيه واندفع مظهراً لهفة أشد من لهفتها ، فاصطدما سوية ، فشعر بألم في صدره فقال : أصدرك من معدن صلب يا روزا ؟ .

اجابت روزا : لم تصف صدري خطأ مستر توم .

رد توم : وصفي صحيح ، ضممتك الى صدري بشدة ، فشعرت بألم ، أتوجد نهود حديدية تبديل أم وَصَل المعدنُ في صرعات العصر الى نسيج السوتيان .

مد توم يده الى صدر روزا باحثاً عن السبب ، فأمسكت روزا يده وقادتها بدلع الى وركها ليتحسس ردفها الجميل قائلة : كانت سلسلة مفاتيحي ، وفيها مفتاح صندوق مجوهراتي النفيسة ، احفظها في صدري خوفاً عليها من الضياع .

عجل توم بالانتقال الى غرفة الجلوس حيث انتشرت المقاعد الفخمة المريحة ، وجلس وأجلس روزا على ركبتيه ، فضمته روزا ووضعت رأسه بين نهديها وشدت عليه فأصبح في وضع غير مريح ، ولكنه أخذ ينصت الى صدرها ، وكان جهاز التنصت قد أصيب

بعطل ، فصار يفكر في مصدر تلك الأصوات العجيبة ، وحين افلتت روزا رأسه سألها بمودة : آأنت مريضة سيدة روزا

- لا .. لم تسأل هذا السؤال ؟؟

- سمعت ما يشبه الصفير أو أصوات جهاز « الفليبرز » في صدرك .

شعرت روزا بحرج وعلقت قائلة : لا يوجد اجمل من صدري ، وسأراجع طبيبي بعد فراقنا ، تعال الى شفتي . ووضعت فمها على فمه وقبلته قبلات متلاحقة ، فبدأ المستر توم يرتعش من النشوة ويتنهد من اللذة .

• • •

نظر روبير الى ساعته ، واستنزف الوقت أعصابه ، فقال محدثاً نفسه : حتام سأبقى أستمع الى هذا الحوار السخيف بينها ، بينها ثروات المصنعين الكبار في خطر في الدقائق القادمة ليتني أستطيع أن أقتحم المنزل وأجرهما معاً بالقوة الى جلسة المناقشة في المعهد التقني ، أنا نفسي أكاد أبكي غماً وكمداً ، فكيف بأعضاء المعهد العلماء .

نقل البروفسور شاين غالي وفهيمة الى غرفة مريحة في المعهد التقني ، ريثما يقوم مع برهام بتقدير الموقف وترتيب خطة الرحيل ، وحين دخل برهام بعد ساعات الى غرفتها ، وجد الدكتورة فهيمة جالسة على طرف السرير ، بينما جلس غالي على مقعد قرب النافذة ، فبادرهما بالسؤال : هل ينقصكما شيء ؟ .

نظرت فهيمة ببرود وقالت : نعم انا بحاجة الى سنارتين وصوف لأحيك كنزة لزوجي وأقيم في هذه الغرفة حتى انتهاء الكنزة . ورمق غالي برهام شزرا وقال : نشعر بالملل ، ويكاد السأم يقتلنا ، ونحن في

أضيق حال ، متى ستعقد جلسة المناقشة .

ابتسم برهام قائلاً : عقدت الجلسة وانتهى النقاش .

وقف غالي ونظر متعجباً وقال : ألسنا مدعوين بقصد حضور الجلسة ؟

ابتسم برهام ثانية وقال : نعم أنتما مدعوان الى حضور الجلسة التي سيلتئم جمعها بعد قليل .

وقفت فهيمة بدورها وقالت : ألم تقل عقدت الجلسة وانتهى النقاش ، أم أنني سمعت خطأ ؟ ؟ . أكد برهام لفهيمة أن سمعها سليم فتابعت قولها : حيرتنا يادكتور برهام ، تبلغنا بخبر انتهاء الجلسة وتدعونا من جهة ثانية الى حضور الجلسة .

ابتسم برهام ثالثة وقال : سأوضح لكما بصراحة تامة ، انتهت الجلسة الهامة التي أحرص عليها قبل الاجتماع العلني ، والتي نتوصل فيها عادة الى الاتفاق على خطة موحدة وقرارات معينة ، وبقيت جلسة تلاوة القرارات والتصفيق التي قد تحضرانها بعد قليل هل فهمتما واقع الأمر .

فهيمة ـ لم تتعب نفسك بعقد جلسة سابقة وجلسة لاحقة .

برهام ـ سأعطيك صورة أوضح ، يوجد في كل اجتماع أشخاص أساسيون أكبر من حجمهم ، وأشخاص ثانويون أصغر من حجمهم ، ولا اهمية لقبول الثانويين أو رفضهم لذلك يكفي أن أضمن موافقة الأشخاص الأساسيين واتفق معهم حتى أحصل على موافقة الأشخاص الثانويين ؟ ؟

غالي ـ عندنا سؤال يادكتور برهام ، من هم الأشخاص الأساسيون ومن هم الأشخاص الثانويون ؟ ؟

برهام ـ معظم الأشخاص الأساسيين من مدراء الأقسام ، كمدير قسم أمن المعهد ، ومدير قسم المواصلات ، ومدير تجهيزات المعهد وغيرهم .

غالي ـ وهل هؤلاء المدراء من العلماء كالبروفسور شاين .

برهام ـ يحتقر العلماء أمثال هذه المناصب لأنها تشغلهم عن البحث العلمي فيفسح المجال لغير العلماء ، بينما يحضر العلماء كأشخاص ثانويين اجتماعات المعهد التقني .

غالي ـ شكراً لصراحتك هل نتوجه الى الاجتماع الآن ؟

برهام ـ سندخل حال وصول مدير المعهد .

فهيمة ـ ألم يحضر مدير المعهد الجلسة الهامة التي تم فيها الاتفاق ؟

شعر برهام بحرج ، وامتنع عن اعطاء الجواب واتجه نحو الباب قائلا : ابقيا في الغرفة سأتصل بالمستر توم لأعرف سبب تأخره عن الوصول لحضور الجلسة .

خرج برهام فنظرت فهيمة الى زوجها حسرة وقالت ساخرة : لا تغضبوا ياغالي لعدم حضوركم الجلسة الهامة فالمدير مثلنا سيحضر الجلسة العلنية فقط .

بقي المستر توم مع النحلة روزا في منزله ، يتنقلان من مكان الى آخر ، وكانت تشوقه بالقبل ليلحق بها ، فصار يرشف عسلها ، ونسي موعد جلسة المعهد وجرته الى الرقص على أنغام البوب وقامت بحركات خليعة وقام المستر توم بحركات غليظة مقرفة ، ولكنه وقد تجاوز الخمسين من عمره ، تعب سريعاً فجلس على الأرض ، فوضعت روزا قدمها في صدره ودفعته ليستلقي ووقفت عند رأسه

تحدثه فقالت : ألا تخاف من زوجتك مستر توم ؟

رد توم ـ نعم أخاف كأي متزوج . . من قال انني لا أخاف .

ـ قدرت عدم خوفك منها ، لأنك استقبلتني بجرأة في منزلك ، وهانحن نمرح ونضحك بحرية تامة .

ـ لا تنخدعي بالمظاهر ، فكري مرتاح ، لأن زوجتي مسافرة عند أهلها ، وأنا انصح كل المتزوجين أن يقطنوا بعيداً عن أهل زوجاتهم في مدن أخرى ليحصلوا على عدة اجازات سنوياً .

ـ ماذا يحدث لو وصلت زوجتك في هذه اللحظة وشاهدتنا نمرح معاً .

وقف المستر توم خائفاً وقال : دعينا من هذا الكابوس والا فقدت مرحي .

تابعت روزا قائلة : هل أنت مسرور بصحبتي ؟

ـ لم اضحك من قلبي كما ضحكت في هذا اللقاء القصير ، تعالي لأريك غرفة زوجتي .

اتجها نحو غرفة النوم فرن جرس الهاتف فامتعض المستر توم وقال : ينسى الانسان واقعه لحظات قصيرة ليتمتع بالصفاء الخالي من هموم الدنيا ، فيعيده جرس الهاتف الى الواقع الذي قرمنه بكل مشاكله وواجباته .

امسك توم الهاتف فوصله صوت الدكتور برهام يستغرب بقاءه في المنزل بينما حضر أعضاء المعهد منذ وقت ، فأحرج المستر توم وارتبك وقال : لم أنس الاجتماع ولكني روحت عن نفسي قليلاً قبل القدوم الى مراسم الجلسات المملة ، سآتي حالاً .

وضع السماعة وقال لروزا : حبيبتي روزا ، أنا مضطر الى

الذهاب الى المعهد لحضور جلسة المناقشة .

قالت روزا ـ أقدر موقفك وواجبك في الحضور وقد أتيت لمرافقتك الى الجلسة .

نظر توم مستغرباً وقال ـ هل أنت حريصة على حضور مناقشة جافة يا روزا كنت أفكر بدعوتك الى حفل ساهر هذا المساء .

ـ أنسيت حضرة المدير أنني المتطوعة الثالثة في مشروع الميني شوز .

ـ غرب موضوع تطوعك عن بالي ، وكنت أتساءل عن سبب زيارتك لي في منزلي .

ـ لجأت اليك ، لأني شعرت باهانة بالغة ، كيف يحضر المتطوعان غالي وفهيمة المناقشة ولا تحضره المتطوعة الثالثة روزا ، صديقتك الودود .

نظرت بعينين ناعستين وابتسمت فقال المستر توم : حبيبتي . . أنت على حق اعتبري نفسك مدعوة من قبلي وسنحضر الجلسة معاً . انما عجلي .

ـ ألديك مانع في أن تصطحبني حتى لا نتأخر ؟

ـ أرحب يا روزا . . لنخرج حالاً .

قبّلت روزا المستر توم قبلة حارة ، ثم خرجا معاً الى السيارة ، وركبا وانطلقا . وتبعهما روبير رودان بسيارته وهو مغتبط جداً لتطورات الموقف الذي كان يرقبه عن بعد .

3 ـ سمعت الدكتورة فهيمة صوت طائرة مروحية ، فأسرعت ووقفت عند النافذة فقال الدكتور غالي : لِمَ وقفت أمامنا يا فهيمة كاشارة التعجب في عبارة ناقصة . .

تساءلت فهيمة عمن قدم بالطائرة فلم يجب غالي ، فعمدت الى مناقشة الأمر بصوت عال فقالت : ذكر الدكتور برهام بأنه سيتصل بمدير المعهد ليعرف سبب تأخره ويطلب منه الحضور بأسرع ما يمكن ، فظهرت الطائرة المروحية ، ثم هبطت على أرض المعهد وهذا ما يجعلنا نستنتج أن الطائرة وصلت من أجل رحيلنا في ماضي الانسان .

استمع غالي الى منطق فهيمة فلم يستطيع أن يبقى صامتاً وتساءل : أي لون من المحاكمة والاستنتاج هذا الذي سمعناه يا فهيمة ، أهذا منطق أرسطو ، أم منطق أفلاطون أم منطق علمي قائم على التجربة والبرهان ؟ قلت إن الدكتور برهام سيتصل بالمدير المتأخر ويستعجله على الحضور ثم استنتجت أن الطائرة وصلت من أجل رحيلنا .

ضحكت فهيمة وقالت : هذا منطق زوجتكم فهيمة ، وأنصحكم ألا تحاولوا تحليل المنطق النسائي ومعرفة قواعده لأنه فوق التحليل لأنه قائم على الحدس . . هذه الطائرة لنا .

- لنفترض أننا أعجبنا بالمنطق النسائي وأحببنا أن نمارسه في الحياة ، كيف يتسنى لنا أن نتعلمه ونتقنه يا حرمنا المصون ؟

- ستعجزون حتى تنقلبوا الى امرأة ، تغمزون الكون بعيون ناعسة وتنطقون بصوت دلع ، شرطه الأول والأخير أن يصدر عن امرأة ، حتى يكون صحيحاً يدعمه ظرفها ودلها وضحكها الرّنان .

واتبعت فهيمة عبارتها بضحكتها الشهيرة الرنانة المتميزة في المدارس الثانوية الرسمية والخاصة فضحك غالي وقال : اذن هو منطق ذاتي ، يبدأ بالمشاهدة غير الدقيقة بطرف كحيل ، ثم ينتشر كاحساس ابتداء من أنامل مدهونة بالأكلادور وانتهاء بعقد عصبية موزعة على

سطح الجلد . . ثم يستقر في القلب فينطق اللسان بحسب الأهواء المتقلبة ، والأمزجة الوقتية ، ما رأيك بهذا الوصف الدقيق للمنطق النسائي غير الدقيق .

اقتربت فهيمة من غالي ووضعت رأسها على صدره وقالت : اهملتم أمراً هاماً يا غالي ، ألا وهو وحي المرأة النابع من طبيعتها المرهفة في الظرف العصيب .

رفع غالي وجه زوجته بأنامله ولثم ثغرها ، وأحسا بحركة قرب الباب ، فابتعدت فهيمة خجلة عن غالي ، ودخل البروفسور شاين والدكتور برهام ، فبادرتهما فهيمة بالسلام محيية بيدها بينما تقدم غالي نحوهما متسائلاً : نكاد ننفجر سأماً ومللاً أنحن مسجونون ؟

قال برهام ـ لن تنتظرا بعد الآن دقيقة واحدة .

قالت فهيمة ـ توقعت قرب رحيلنا حال وصول الطائرة .

استغرب برهام كيف حزرت فهيمة ؟ فشرح غالي كيف استنتجت زوجته بمنطق مضحك خال من المنطق ودهش حين تقدم برهام وصافحها مهنئاً براعتها في التوقع ، فسأل غالي : هل سنرحل بعد الاجتماع مباشرة يا دكتور برهام .

قال برهام ـ سترحلان فوراً قبل الاجتماع ، ستنقلكما الطائرة الى المركب الذي ستسافران على ظهره الى جزيرة الميني شوز . وقد اصطحبت البروفسور شاين ليحضر هذه اللحظة التاريخية ويشاهد بنفسه أول خطوة عملية في تنفيذ المشروع .

وقف شاين صامتاً وبدا على وجهه أنه فوجىء بالقرار كغالي وفهيمة ، وأن برهام قد دبر الخطة وحده دون اعلام أحد . فقالت فهيمة : كيف نرحل على هذه الصورة المبتورة ؟ ماذا سيحدث لنا في

ذلك المكان ؟ ؟ ونحن دون متاع .

قال شاين ـ هدف الرحلة هو أن تسافرا دون متاع لتحددا الحوائج الضرورية ولن يحدث شيء خطير ، لأننا سنراقبكما بواسطة الأقمار الصناعية ، وسنخف الى نجدتكما خلال دقائق على أبعد تقدير .

نظرت فهيمة بخوف الى غالي تستطلعه رأيه في ما آل اليه الحال فقال غالي : بدأنا نشعر بخوف من الحياة التي سننتقل اليها ، فهمنا الآن لِمَ كان يطلق علينا لقب المتطوعين الشهمين والرائدين العظيمين في نشرات الأخبار . ان الأمور بخواتيمها .

تقدم برهام وصافح غالي وقال له «أنت رجل عظيم» ثم التفت الى الدكتورة فهيمة وصافحها وقال : وجودك في المشروع يا دكتورة فهيمة يثلج صدري لأنكما ستتعاونان معاً في الحياة الجديدة ، وستكون الحضارة التي تعملان على خلقها في تلك البيئة ، ثمرة فكرين اثنين ، فكرك . . فكر المرأة العالمة ، وفكر زوجك . . فكر الرجل المثقف ، ستعيشان في عالم يخصكما معاً ، يخصك بقدر ما يخص زوجك ولن يفرض الموروث ولا المكتسب حالة واحدة .

قالت فهيمة : لكني ساكون بحاجة الى طاسة الرعبة ، هل أستطيع تحصيلها من الفندق .

استنكر برهام قولها ودعاها الى الاستغناء عنها حتى لا تكرس العالم الجديد بطاسة الرعبة ، لكن الدكتورة فهيمة عبرت بوضوح عن شعورها فقالت : أشعر بارتياح بعد الخوف كلما شربت منها .

قال شاين : أنا شخصياً ، أقدر الحالة النفسية التي تحصل عند شربك منها وأقدر أثرها على تسكين خوفك ، واعتقد أن تمديد الدم

فوراً بالسوائل بعد الخوف ، يخفف من تركيز سموم الهرمونات التي أفرزتها الغدد بسبب الخوف ، ولكن لِمَ لا نجعلها ابريقاً للرعبة في العالم الجديد ، هل من الضروري أن تبقى طاسة رعبة . ؟

سأل غالي : هل سنجد ابريقاً في ذلك المكان ؟

رد شاين : لا أحب أن أكذب عليكما ، لن تجدا شيئاً ، ايجاد الأشياء منوط بكما وحدكما ، وكذلك طرازه ومواصفاته .

استدارت فهيمة وابتعدت وقالت : هذه رحلة محرجة ، قولوا شيئاً يا غالي .

ولكن غالي استدار وابتعد وقال : اللعنة على من دفعنا في هذا المأزق .

قال شاين برجاء : تنتظر الأجيال منكما بناء مستقبلها يا دكتور غالي ويا دكتورة فهيمة .

واجه غالي البروفسور شاين وقال : نقدر مشروعك ، لكننا نخشى أن نورط الأجيال بمصير أسوأ بكثير من المصير الذي نعيشه الآن .

قال شاين متحسراً : لا يا دكتور غالي . . لن يوجد أسوأ من المصير الذي ينتظر الأجيال المقبلة على الكرة الأرضية ، اذا لم ننقذها بمراجعة الحاجات ، نحن مسرعون الى الهلاك ، نحن في عصر السرعة نهدر الطاقة ، نلوث البيئة ، نختزن أفتك الأسلحة ، نزيد في الاجرام ، ونشوه صفاء الانسان . . نمنح الجرائيم امكانات جديدة ، نعمل على دمار البشرية وندفعها دفعاً الى المأساة التي تنتظرها ، مقابل مظاهر براقة كاذبة خادعة تستهوي النفوس الضعيفة بينها نترك ملايين البشر جياعاً في العالم .

أطرق غالي رأسه وهو يستمع الى شاين ثم قال فجأة وبحدة : لا تحمسنا كثيراً ونحن في هذا المكان ، لأن حماستنا ستفش عند الانتقال الى الطائرة ، ويعاودنا الخوف حبذا لو ننتقل أولاً قرب الطائرة ، ثم نستمع ثانياً الى خطبتك فنقفز ثالثاً الى الطائرة .

فرح برهام بكلام غالي فقال : اقتراح معقول دعونا نترك الغرفة فوراً .

* * *

خرج الجميع من الغرفة ، وأسرع برهام يستدعي الطيار ، ومشت فهيمة مع غالي متأبطة ذراعه ، بينما سار شاين خلفهما على الممر المؤدي الى الطائرة القريبة من المبنى .

قالت فهيمة : أميزتابوتا ضخماً في مواجهتنا أهذه هي الطائرة التي تنتظرنا .

قال غالي : يجب أن تكون هي ذاتها ، اقتربي دون خوف ،

كانت عتمة المساء قد بدأت تخيم على المعهد ، ولم يكن هناك ضوء واحد قد أنير خارج المباني ، ويبدو أنها تعليمات الدكتور برهام الذي سار بخطته بحذر وسرعة حتى لا تقع مشاكل جديدة مع المتطوعين .

وصل المتطوعان قرب الطائرة ، وأنار الطيار أضواء الطائرة ، فسأل غالي الدكتور برهام : كيف نتصل بكما اذا لزمتنا حاجة ضرورية .

قال برهام : يفترض المشروع أن تبقيا مقطوعين عن الاتصال بأي انسان ، حتى نتصل بكما .

قال غالي مازحاً : هيا اصعدي يا فهيمة ، واطمئني بالاً ، لن

تزورك حماتك في حياتك بعد الآن . وساعد زوجته على الصعود فصعدت ، وصعد بدوره فاقترب شاين وشد على يد غالي وقال : أشكركما من أعماق قلبي على تلبيتكما دعوة المعهد التقني ، وعلى تطوعكما البالغ الأهمية ، وأتمنى لكما السعادة والهناء في رحلتكما في ماضي الانسان .

رد غالي مازحاً : شكر الله سعيكم . ثم التفت الى الدكتور برهام وسأله : أتريد أن تضيف شيئاً يا دكتور برهام . فقال برهام : وصيتي لكما ألا تهتما بتوافه الأمور وزيف المظاهر وكذبها ، جربا أن تعيشا بصفاء الانسان الأصيل ، فتشا دائماً عن سعادتكما حتى نقتبس عنكما سر سعادة الانسان . .

تابع غالي سخريته قائلاً : شكراً على وصيتك ، ونوصيك بدورنا بارسال حوائجنا الى أهلنا بعد وفاتنا ، وقل لهم نحن بخير ، طمئنونا عنكم .

دار محرك الطائرة ، ولوحت فهيمة بيدها وقالت : الوداع يا دكتور برهام الوداع يا بروفسور شاين .

صرخ برهام : لا تقولي الوداع يا دكتورة فهيمة لأننا سنلتقي كثيراً في المستقبل قولي الى اللقاء .

● ● ●

بدأت الطائرة ترتفع وما زالت الأيدي تلوح معربة عن العواطف التي ربطتها في زمن قصير ، ولكنها عميقة ومكثفة فظهر الحزن على البروفسور شاين وحين دخلا مكتب برهام ، رأى برهام وجه شاين فسأله : هل أنت حزين على فراقها ؟ .

ـ أحببتها يا دكتور برهام وكأني اعرفها منذ طفولتي ، أحببتها

على قلة لقائي بهما ، انني لم أرَ انسانين بمثل هذا الصفاء .

ـ أنا مثلك شعرت بأسف على فراقهما لحظة الوداع ، قلما نصادف في الحياة أشخاصاً بمثل هذه الطيبة ، ما زلت أذكر جرأته في تحدي ضابطة الجمارك في مطار أورلي هو وزوجته تحديا كل القوى الموجودة لأنهما يعتبران نفسيهما فوق الشبهات .

ـ انهما من شعب عريق في الحضارة ، أفعلنا خيراً بارسالهما الى جزيرة الميني شوز ؟ .

ـ أتفكر في اعادتهما ؟ .

ـ لن أفعل في الوقت الحاضر ولكن طبيعة الانسان تملي عليه هذا السؤال حين يخطو اول خطوة في الأعمال الجليلة .

ـ انس الموضوع ليلة واحدة ، وسنلتقي بهما عن طريق الأقمار الصناعية غداً .

• • •

4 – ظهرت أنوار سيارة المدير وهي تقطع ساحة المعهد متجهة نحو بناء الادارة حيث ستعقد جلسة المناقشة في القبو غير المعد للاجتماع - وقفت السيارة ونزلت روزا منها وأظهرت عدم ارتياحها بعدم وجود أنوار مشعة في كل مكان فتابعت قائلة : كنت أفضل المعهد مشعاً ، لأنني لم أعتد على حضور حفلات خالية من الأضواء الباهرة ، حتى لا يحرم الحضور من متابعة مفاتني .

نزل المدير من السيارة وقال : راقبي كلامك ياروزا ، ستكونين ضمن مناقشة علمية لا في برنامج ترفيهي .

ضحكت روزا وسألت : أيوجد لدينا وقت كاف حتى أبدل فستاني بثوب ملائم لسهرة علمية ؟ .

أمسك المستر توم بزند روزا وشدها قائلا : تأخرنا كثيراً هيا تقدمي :

وقف برهام في أعلى الدرج ينتظر قدوم المدير فرآه مقبلاً مع روزا وقال المدير : أظنك تذكر روزا عارضة أزياء روبير رودان المتطوعة الثالثة في مشروع الميني شوز .

مد برهام يده مصافحاً روزا وقال : لقد أعجبنا جميعاً بروزا في حفلة المعهد .

فتركت روزا كفها في كف برهام وابتسمت بدلع وقالت : دكتور برهام ، أنا زعلانة ، لِمَ لَمْ تتصل بي وتدعوني الى جلسة المناقشة بوصفك أمين السر ، كما دعوت المتطوعين غالي وفهيمة . ارتبك برهام وقال : قدرت عدم اهتمامك بنقاش علمي ، فاجلت دعوتك الى مناسبة اليق بمفاتنك .

روزا ـ فعلت خيراً ولكنك لم تترك لي الخيار .

برهام ـ سأحرص على استشارتك في المرات القادمة .

مدت روزا عنقها الى الأمام كأنها تعطي خدها لقبلة وقالت : دكتور برهام أنا التي ستستشيرك ، عندي زائدة لحمية وقد نصحني الأطباء بازالتها ، فهل تدلني على عنوان عيادتك لأحضر غداً عندك .

شاهد المدير مناورة روزا فامتعض قائلاً : الدكتور برهام ، دكتور في العلوم وليس دكتوراً في الطب . فابتسمت روزا وردت فوراً : أفضل دكتور علوم لجراحة زائدتي اللحمية . فزاد امتعاض المدير وشدها من زندها وهو يقول : أضعنا وقتاً كافياً ، وما زال المجتمعون في انتظارنا . وهبط الدرج متأبطاً ذراعها وتبعهما برهام .

• • •

اتجهت روزا الى أول مقعد شاغر في الصف الأمامي ، وجلس المدير خلف المنصة ووقف الى جانبه برهام الذي بدأ الجلسة فوراً دون أن يحصي الحضور فقال : حضرات الزملاء الأكارم . . افتتح جلسة المعهد التقني لمناقشة برامج مراجعة الحاجات ، ولا يسعني في بدء الجلسة الا أن أرحب بالمتطوعة الثالثة وهي عارضة أزياء روبير رودان الشهيرة السيدة روزا .

وقفت روزا وحيت الحضور ، فدوى التصفيق والتصفير فصاحت « شكراً شكراً » وصاح صوتٌ قائلاً « صار مشروع الميني شوز رائعاً . . سجلوا اسمي المتطوع الرابع » وضج الحضور بالضحك ، واستمرت الضجة مما جعل المستر توم يضرب بيده على الطاولة مراراً ثم صاح « أرجو الهدوء من السادة الزملاء » ، فعاد الهدوء ، وتابع برهام قوله « وأنقل اليكم اعتذار الرائدين عن حضور الجلسة لأنهما فضلا البقاء في الفندق طلباً للراحة ، استعداداً لسفرهما في أقرب وقت » .

وتابع برهام كلامه : أيها السادة . . نجابه اليوم تطوراً حضارياً غير واضح المعالم والأهداف ، يسير بالبشرية نحو أخطار بدأت تلوح في الأفق ، وصار من واجبنا أن نعيد النظر في مدنية العصر تفادياً لتلك الأخطار الناجمة عن التلوث والأجرام المتزايد والتسلح المدمر ومن أجل هذا طرحنا مشروع مراجعة الحاجات وآمل من الزملاء أن يقدموا لنا مطالعاتهم في هذا الصدد فمن يريد أن يتكلم ؟

طلب أحد الأعضاء الكلام ووقف وقال : الحضارة تعبير جميل عن معطيات الانسان الرائعة وهو تعبير يخص الانسان وحده ويفصح عن انسانيته ، ووجوده البشري الهام ، ولكنه والأسف يملأ قلوبنا ، لاحظنا اساءة استعمال هذا التعبير في مؤلفات كثيرة ، حتى شوه بعض

المؤرخين تعبير الحضارة ، وأساء إليه الديماغوجيون حتى أفرغوه من مضامينه الانسانية من هو الرجل الحضاري ومن هو الرجل المتخلف ؟ ؟

يبدو أي ثري يسوق سيارته الفخمة ، ويرتدي صرعات الأزياء ويربط عنقه بعقدة تحمل لؤلؤة ثمينة ، يبدو هذا الثري في عرف العصر أكثر حضارة من أي عالم يصرف وقته في البحث العلمي ، أو أي مدرس يلم بأبحاث كثيرة ولكنه يرتدي ثياباً قديمة أو يجهل كيف يربط عقدة عنقه ، وقس على ذلك أموراً كثيرة . ان أية امرأة متحذلقة في صالون عصري في عرف هذا العصر أقرب الى مفهوم الحضارة ، من سيدة متواضعة ، تهتم بشؤون بيتها ، ونظافته وتقوم على تربية أطفالها والعناية بصحتهم وثقافتهم فهل هذا حق .

صفق الحضور وغمز المدير الدكتور برهام لكي يطلب من المحاضر أن يختصر فأشار اليه برهام اشارة واضحة ، فاختصر المحاضر منهياً كلمته : انني أؤيد مشروع الميني شوز ، وأترك للمشروع أن يختار ما يجده مناسباً للحياة الجديدة على ضوء تجربة الرائدين حتى نتوصل الى تصحيح المفاهيم وتثبيت القيم .

وقفت روزا وصاحت قبل أن يأذن برهام لها بالكلام : أنا ضد المشروع أنا ضد مشروع الميني شوز لأنه مشروع تافه ، لا يفسح المجال لحفلات عرض الأزياء الفخمة في المستقبل .

صفق الحضور وصفر وتعالت الأصوات واعرضي يا روزا . . اعرضي . . ولا تخافي من أحد، وساد الهرج والمرج مما جعل المدير ينبه من جديد الى ضرورة الهدوء وعدم التكلم دون اذن ، فتدخل برهام وحسم الموضوع فقال : لقد ناقشنا الأمور الخطرة وسنصوت عليها في

الجلسة المقبلة في الأسبوع القادم . وبذلك ننهي جلسة هذا المساء .

خرجت روزا بصحبة المدير الذي أوصلها أمام مكتب روبير روادان ، فصعدت بسرعة الى المكتب ، فوجدت روبير قد سبقها ومعه تسجيل كامل لحوارها مع من قابلتهم طوال الساعات الأخيرة .

دخلت روزا المكتب ونظرت الى روبير كالمنتصرة ففاجأها صمته فقالت : ألست راضياً مون باترون على خطواتي الرشيقة .

- لسنا الآن في عرض أزياء ، نحن في عمل خطير .

- ألست راضياً على تقدمي السريع ، بعدما انتقلت من منزل المدير العام الى المعهد برفقته ، ووثقت صلتي مع أمين السر الدكتور برهام ، اذا نسيت فاستمع الى الشريط .

- شعرت بعجزك خلال جلسة المناقشة ، وشعرت بانهم مكروا بنا حضرت انت الجلسة وغاب المتطوعان عنها .

- لم هذا الانتقاد الجارح ، بينما كان فستاني رائعاً وكنت رائعة ، قرأت الاعجاب في عيون زملائي العلماء حتى صفروا وصفقوا لي طويلاً .

- روزا . . ان العلماء أذكياء وأنت طعم مفضوح ، اخشى أن يلتهموا الطعم ويهملوا السنارة ، أخطأت ياروزا لانك فضحت موقفنا من المشروع .

- أخذتني الحماسة من أجل مؤسستك بعد ما تبين لي مشروع مراجعة الحاجات بوضوح ، وظننت أن الذين أعجبوا بي سيصوتون الى جانبي .

- كانت لعبتي قائمة على ارسالك في المشروع كمتطوعة لتطالبي هناك بفساتين جميلة ومستحضرات تجميل غالية وتقنعي الدكتور غالي

بالمطالبة بها ، فتعتمد مستحضراتي في العالم الجديد ، وتحتل المركز الأول على شاشات التلفيزيون .

- الا تظهر منتجاتك يومياً في برامج الدعاية ، لدرجة أن طلاب المدارس حفظوا أسماءها أكثر من جدول الضرب .

- بروفسور شاين غير مقتنع بضرورتها ، ويريد أن يقنع الناس بالابتعاد عن استهلاكها ، ولو ظهرت كحاجة ماسة في البيئة البدائية لفشل البروفسور شاين وفشل مشروعه ، هل فهمت خطتي يا روزا ؟ ؟

- ليتك شرحت لي كل هذه الملابسات قبل ذهابي ، على كل حال ما زلت بين يديك ، وما زلت على علاقة بمدير المعهد ، متى شئت أستطيع أن أغريه على اصطحابي الى جزيرة الميني شوز .

- ابقي على علاقتك بالمستر توم من أجل المستقبل ، ولكني لن انتظر وصول المتطوعين الى الجزيرة ، سأقتلها قبل مغادرتها الفندق ، انها من العالم الثالث ولن تهتم المحافل الدولية بقتيلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ من العالم الثالث .

جزم روبير أمره على تنفيذ القتل ، فطلب وطواط للحضور بين يديه فوراً . دخل وطواط حانقاً وقدم استقالته وقال : اذا استمر الحال على هذا المنوال فلن أقابل من يرتعب مني في المستقبل ، صار مستقبلي في خطر ، انظر الى وجهي وقد راق منظره كوجوه أطفال المدارس الابتدائية .

رد روبير : اسحب استقالتك فوراً .

تابع وطواط : لن أسحبها حتى تأمرني بسحب مسدسي معها .

تقدم روبير رودان من وطواط وقال بلهجة ضابط عسكري

يعطي اشارة البدء للمعركة : اقتل الدكتور غالي والدكتورة فهيمة دون نقاش ، اقتلهما بالرصاص بالقنابل بالطريقة التي تلائمك سأجعلهما عبرة لمتطوعي الميني شوز في جميع أنحاء العالم . . اقتل كل متطوع دون مراجعتي .

سحب وطواط مسدسه ووجهه الى رأس روزا التي قفزت خائفة خلف روبير وصاحت : ماذا تفعل أيها المجنون ؟

قال وطواط : ألست المتطوعة الثالثة .

أبعد روبير مسدس وطواط وقال : سحبت روزا تطوعها من مشروع الميني شوز هيا بسرعة تسلل الى جناح المتطوعين مع رشاشك ومع حزام من القنابل المدمرة ، ولا تنسى أن تحمل جهاز التنصت لتسمعني احتفال الموت .

ـ سأتصل بك حالما أبدأ بالقتل .

● ● ●

خرج وطواط فرحاً ، وجلست روزا صامتة ، وأخرج روبير زجاجة الويسكي وصب قدحين ، وقدم واحداً لرزوا التي نظرت ملياً قبل أن تتناول القدح ، فسألها روبير : لم أنت حزينة ؟ ؟

ـ اقشعر بدني مون باترون من المشهد المفجع حين سيطلق وطواط الرصاص ثم ينسف المكان بالقنابل .

ـ لا تبتئسي . . سأدفنهما باحتفالات مهيبة ، سأرسل لهما مجموعة من الأكاليل فهما يستحقان احترامنا كشهيدين .

ـ قلبك رقيق مون باترون ، انما أفضل أسلوبي في الاغواء لأنه يتيح المتعة ويحقق النتيجة المطلوبة ، فها هو مدير المعهد بين أيدينا .

ـ سنحتاج الى مدير المعهد في المستقبل ، انما هذه خطوة جانبية

على الهامش ، كان لا بد من ارهاب أعضاء المعهد التقني لايقاف مكرهم وارهاب المتطوعين .

اتصل وطواط بروبير وقال : سيدي . . تسللت الى جناحهما بسهولة ولكني لم أجدهما في الجناح بل سمعت صوتيهما في الحمام يتكلمان عن مشاريع مراجعة الحاجات ، ابتسم روبير وقال : اطلق رشاشك عبر باب الحمام في كل الاتجاهات ، ثم فرغ قنابلك في داخل الحمام وعُدْ فوراً .

قال وطواط : حاضر سيدي . وبدأ وطواط يطلق رشاشه ، فتناثر زجاج الحمام وتطايرت شظايا من الباب ، ثم ألقى بمجموعة القنابل التي كانت في حزامه ، فانفجر الحمام انفجاراً عنيفاً . وأسرع وطواط متسللاً من الجناح ، هارباً عبر الطوابق ، حتى خرج من الفندق وامتطى سيارته عائداً الى مكتب الشركة .

سمع روبير رودان دوي الطلقات من مجموعة الأجهزة الموجودة في مكتبه ، فضحك كضابط عسكري انتصر على عدو متمترس وشعر بزهو ، وسمعت روزا الطلقات فاختلج جسمها كأنها كانت هدفاً للطلقات ، وحين انفجر حزام القنابل هتف روبير : مرحى يا وطواط مرحى انتهت حكاية المتطوعين الشهمين ، استحقا لقب الشهمين العظيمين الآن عن جدارة كما استحق الشكر بدوري لأنني أدخلتهما التاريخ كأول شهيدين في حركة الميني شوز ، ولم يبق الا أن انهي حكاية مشروع مراجعة الحاجات . . أو نسيطر عليه لمصلحتنا .

أما روزا فقد انهمرت عبراتها سخية على وجهها وراحت تبكي

فسألها روبير : أتتحسرين على المتطوعين يا روزا ؟

أجابت روزا من خلال دموعها : أبكي حسرة على حظي المنكود

في هذه الدنيا أبكي على آمالي الضائعة . حلمت طوال حياتي أن أموت مع شخص يحبني وأحبه ، أن أموت كميتة المتطوعين الرائعة ، يدي في يده وعيني في كفيه . . في قدميه .

قال روبير : لم تحلمين بالموت مع حبيبك ولا تحلمين بالعيش معه ؟

مسحت روزا عبراتها وقالت : أنا غير واثقة من ثبات عواطفي اذا طالت قصة حبنا .

وصل وطواط مزهواً بقتل المتطوعين وقال : شاهدت خيالها عبر الزجاج فأطلقت رشاشي على الخيال ثم ألقيت الحزام الناسف عبر الزجاج المحطم ، فشاهدت أكثر من نصف الحمام يتطاير ويخرج من الباب .

أفرغ روبير رودان قدحه في حلقه وقال : هيا نحتفل بسهرة تليق بهذه المناسبة .

♦ ♦ ♦

الجزء الثاني

الفصل الأول

1 - حين ارتفعت الطائرة المروحية في سماء باريز ، نظرت فهيمة من النافذة فشاهدت المدينة الرائعة من الجو وقالت متحسرة : وصلنا باريز واقمنا فيها ولكننا لم نر شيئاًمن معالمها . فأجاب غالي : لا تتحسري يا فهيمة نحن نعمل في مشروع يدل على أن المقيمين فيها متضايقون من البقاء فيها .

صرخت فجأة : انظروا ياغالي . . هذا هو الفندق الذي اقمنا فيه ، عرفته من انواره المشعة .

نظر غالي وقال : ما زالت امتعتنا هناك ، هل سترسل إلينا أم سنعود لأخذها . وابتعدت الطائرة عن باريز في اتجاه الساحل فقالت فهيمة : هل ستطول رحلتنا بالطائرة حتى نصل إلى المركب الذي ينتظرنا .

أجاب غالي : ارجح ذلك لأن الساحل الفرنسي بعيد عن العاصمة .

وواصلت الطائرة رحلتها في اتجاه الساحل المطل على الأطلسي .

• • •

صدرت الصحف الصباحية تحمل خبر وقوع انفجار شديد في حمام المتطوعين الرائدين وتتساءل عن مصيرهما . فحمل برهام

الصحيفة ودخل مكتب البروفسور شاين وهو يضحك ، فسأله البروفسور : كيف اخطأ المجرمون ونسفوا حماماً فارغاً .

ـ لم يخطئوا عن غباء باصاحبي ، لقد سجلت مقابلة اذاعية مع المتطوعين اجابا فيها عن اهداف مشروع الميني شوز وعن حماستهما واملهما في بناء الحياة السعيدة ، فوضعت نسخة عن الشريط مع مسجلة تعمل وتقف تلقائياً بجهاز انذار كلما اقترب احد من باب الحمام ، واغلقت الباب باحكام ، حتى يضطر القتلة إلى استخدام اسلحتهم من خارج الباب . لقد انطلت الحيلة على وطواط ، وظن الدكتور غالي والدكتورة فهيمة موجودين في الحمام ، فنسفه وانصرف .

ـ اكنت تتوقع ضربة عنيفة من مؤسسة روبير رودان بعد فشل روزا في استمالة الدكتور غالي .

ـ اتوقع كل شيء في هذا العصر الجشع ، لذا حرصت على سفرهما سراً قبل الجلسة ، وتركت لخصومنا أن يضربوا في المكان الفارغ .

ـ اهنئك من قلبي على خطتك الأخيرة ، لقد انقذت المتطوعين بفطنتك انت خير مخباط ثقيل لغسيل هذا العصر الوسخ .

ـ حاول روبير تهديد المتطوعين في المرة الاولى ، ولكنه اصدر امره بالقتل في هذه المرة . لقد صار تنفيذ مشروعنا صعباً وشاقاً .

ـ هل انت خائف ؟

ـ لن يجرؤ روبير على الاعتداء علينا مباشرة لانه يخاف على حياته . حياتنا مقابل حياته ، سيواصل احراج المتطوعين .

ـ هل نظل صامتين بعد كل اعتداء ؟

ـ لن تفيدنا الطرق القانونية ، سنحرجه قليلاً وسيتنصل من .

حادث الاعتداء ويلقيه على رجل مغمور من رجاله . لا يوجد سوى النضال المستمر والصبر والتضحية حتى ينتصر المشروع وتنتصر الانسانية به . هيا نستعد لمراقبتها بواسطة الاقمار الصناعية .

• • •

بدأ برنامج المعهد التقني من اذاعة مونت ماريا بث الشعارات متلاحقة عن السعادة والصفاء النفسي في حياة مراجعة الحاجات . ثم قطع المذيع الشعارات ليعلن عن خبر هام متجاهلاً ما نشرته الصحف فقال : وقع حادث مؤسف في حمام الجناح الذي كان ينزل فيه المتطوعان غالي وفهيمة ، في الفندق الكبير ، وذلك نتيجة حدوث تماس بين شريطين كهربائيين أدى إلى نشوب حريق ، ولم يصب المتطوعان بأذى لانهما كانا خارج الحمام وهما يستعدان في هذه اللحظة للرحيل ، حفظهما الله من عيون الحاسدين .

صرخ روبير رودان كالمجنون في مكتبه « اكاذيب . . اكاذيب . . هذه الاذاعة تكذب » ومد يده واغلق الجهاز وتابع صراخه كوحش جريح « كيف يمكن معرفة الحقيقة في هذه الأيام . . اين وطواط . . اريد وطواطاً في الحال » .

كانت روزا جالسة على المقعد في مكتبه تستمع إلى الخبر معه ، فنهضت مسرعة ووضعت رأسه على صدرها وقالت : هدىء اعصابك مون باترون . . ارجوك ان تهدىء اعصابك . دفع روبير روزا وواصل سيره في المكتب وتساءل : هل قتل وطواط المتطوعين أم فشلنا كالعادة ؟

ـ هل تكلفني بالبحث عن حقيقة الموضوع أم تفضل الاعتماد على وطواط ؟

ـ اللعنة عليكم وعلى وطواط، لم احصد من عملكما غير الفشل .

غضبت روزا وقالت : اعتبرني مستقيلة من مؤسستك منذ الآن .

اجاب روبير : استقالتك مرفوضة . . اجلسي امامي واتصلي بمدير المعهد التقني فوراً ، واطلبي حضوره إليك في الحال ، اريد أن احدثه بنفسي .

طلبت روزا المدير على الهاتف وجلس روبير يستمع من الجهاز إلى حوارهما .

روزا ـ الو . . الو .

توم ـ أروزا اسمع . . ياللصوت الدافىء المثير؟

روزا ـ تذكرتك فاشتد شوقي إلى لقياك .

توم ـ روزا صدقيني . . لم تغب صورتك عن بالي ، انما ارجوك الا تتصلي بي بعد اليوم لأن زوجتي اعلمتني بقدومها هذا اليوم من اجازتها عند اهلها .

روزا ـ اطمئن ساتصل بك في المعهد ، ولكني اريد لقاء عاجلاً لتطفىء نار كبدي الحرى . واياك أن تتأخر لأنني أخشى على نفسي التلف من اللهيب الذي يشتعل في قلبي .

توم ـ ساصل اليك بسرعة رجال المطافىء .

روزا ـ انا في مؤسسة (ر . ر) تذكرتك وانا اجرب مجموعة من السوتيانات فصعب علي أن اجربها دون حضورك لتعطيني رأيك فيها .

توم ـ مرحى لك ، سأساعدك في لبسها وخلعها ، سآتي قبل أن تضعي سماعة الهاتف .

● ● ●

2 – حطت الطائرة قرب الساحل بعد رحلة طويلة ، قطعها الطيار على مراحل وكان المتطوعان يقطعان المرحلة الأخيرة حين سمعا من مذياع الطائرة خبر الحادث المؤسف الذي وقع في الحمام فقال غالي لفهيمة : هل عرفت ما هو المقصود من الحادث المؤسف ؟ . ردت فهيمة : هذه هي المحاولة الثانية للخلاص منّا .ثم استرسلت : اتعتقدون يا غالي . .في كل مرة ستسلم الجرة .

- يقول المثل « الثالثة ثباتة » .

- سنموت في الاعتداء الثالث ، انا خائفة يا غالي ، لم لا ننكص على اعقابنا وننسحب من مشروع مراجعة الحاجات .

-لسبب بسيط لاننا لا نملك مالاً ، وصرنا في مكان نجهله وسيسلمنا الطيار إلى ربان المركب .

فتح الطيار باب الطيارة ، ودعاهما إلى النزول بادب جم . نزلا فشاهدا المركب واقفاً قرب مجموعة من الزوارق الصغيرة . قال الطيار : هذا هو مركبكما وها هو الربان في انتظاركما . ارجو لكما رحلة ممتعة .

اقلع الطيار بطائرته ملوحاً بيده للمتطوعين الشهمين اللذين بقيا ينظران بخوف من التقدم خطوة واضحة في اتجاه المركب . ثم قطع غالي الصمت قائلاً : انه مقدور من الله ، هيا يا حرمنا المصون لنتكل على الله .

سار غالي وتبعته زوجته حتى قطعا الممشى الخشبي الممتد لساناً طويلاً في البحر ، ثم صعدا إلى المركب فتقدم الربان محيياً وقدم نفسه : انا الربان طوني احسن ربان في الأطلسي .

قال غالي : انا الدكتور غالي وهذه هي حرمنا المصون الدكتورة

فهيمة . فمد الربان يده مصافحاً غالي ثم صافح يد فهيمة وقال : دعيني اقبل يدك سيدتي . ابتسمت فهيمة بينما قطب غالي وسأله : ما المناسبة حضرة الربان .

تابع الربان مبتسماً : احتراماً لاول سيدة تصعد على مركبي ، فهذه هي المرة الأولى التي اقل سيدة على ظهر مركبي .

خاطب غالي زوجته بالعربية : احذري يا فهيمة ، هذا ربان فجعان . وردت فهيمة : لا تظهروا متخلفين يا غالي امام الربان هي مجرّد صوت يصدر من الشفاه على بشرة اليد .

رفع الربان يد فهيمة الى فمه وقال وهو يقبلها : يالها من يد كريمة ناعمة . فقال غالي : اسحبي يدك ، قلت لك انه ربان فجعان . فتابعت فهيمة ابتسامتها وقالت : كونوا لبقين يا غالي . . احترام السيدات عادة لديهم .

قال الربان وما زال ممسكاً بيد فهيمة : دعيني اطبع قبلة ثانية على يدك .

عبس غالي وقال بحدة : مامناسبة القبلة الثانية ايضاً حضرة الربان ؟! . اجاب الربان ببساطة : لانني اعجبت بزوجتك إلى حد يفوق الوصف .

قال غالي : وقعنا في حرج وانت كالمصطولة ، قلت لك اسحبي يدك من يده .

قالت فهيمة : ماسبب اعجابك حضرة الربان .

رد الربان : انا معجب بجرأتك على مرافقة زوجك في اخطر رحلة واقدس رحلة عرفها الانسان .

قال غالي : هل ستبقي يد حرمنا المصون بين يديك حتى تنتهي

من التعبير عن اعجابك مستر طوني .

ابتسم الربان وقال : لاطبعاً . . ابقيتها لاطبع عليها القبلة الثانية فحسب ، وطبع قبلة ثانية ، ثم قال : تفضلا اجلسا على ظهر المركب ، ريثما اعد لكما شراباً لذيذاً ، ساعد لكما قدحين من الجامايكا ، انا امهر من يعد هذا الشراب .

جلست فهيمة وقالت : لِمَ بَوّزْتم فمكم يا غالي ، وكشرتم وجهكم .

- ارجو الا نصادف ربانا آخر في رحلتنا .

أغرتم من قبلتين على ظاهر يدي ؟ ونسيتم قبلات ترحيب وتكريم السيدة روزا على فمكم يا غالي . لم امانع حتى لا اظهر متخلفة على رايكم .

- لاادري ماذا ينتظرنا في نهاية الرحلة ، بعد التعب الشاق والمخاطرة الجسيمة آمل ألا انفجر غماً وكمدا .

* * *

حضرات المستمعين الاكارم . اذاعة المعهد التقني ليمداستيسان تقدم لكم وصفاً حياً للحظات الوداع الاخيرة التي تمت بين المتطوعين الشهمين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة واعضاء المعهد .

حضر الدكتور برهام والبروفسور شاين وعدد من العلماء حفلة وداع المتطوعين في الساعة المحددة لسفرهما ، وقد شكر الحضور المتطوعين على اريحيتهما ، وقدموا لهما باقة جميلة ، ثم تقدم الدكتور غالي وقرينته وصعدا السّيارة المخصصة لنقلهما إلى المركب الذي سيوصلهما إلى جزيرة الميني شوز .

وقد سار الموكب حتى حدود المدينة ، حيث جرى هناك تبادل التحيات والتمنيات الطيبة للمتطوعين بمستقبل سعيد في حياتهما البدائية على ظهر اول جزيرة خصصت لانسان العصر المقبل خالية من التسلح والتلوث والاجرام .

صار المنظر مضحكاً جداً في مكتب مؤسسة (ر . ر) بعد اذاعة الخبر ، فبينما كان وطواط يؤكد مقتل المتطوعين . كان المذيع يؤكد سفرهما الى جزيرة الميني شوز . . وانقلب وجه وطواط . فمالت عينه عن موضعها وارتفع فمه إلى الاعلى من جهة واحدة فضحكت روزا وازداد ضحكها حين سمعت الحوار بين روبير ووطواط .

روبير ـ هل تعرف الجغرافيا ياوطواط .

وطواط ـ اتريد أن أقتل الجغرافيا . . سأقتلها فوراً .

روبير ـ اسألك عن الجغرافيا . . هل تعرف شيئاً عنها .

وطواط ـ عرفني عليها ودع الباقي لي .

روبير ـ اريد أن اسألك اين توجد جزيرة الميني شوز .

وطواط ـ توجد في البحر سيدي .

روبير ـ وطواط . .

وطواط ـ نعم سيدي .

روبير ـ اخرس قليلاً . . لا أدري لا أدري كيف فاتك الوصول إلى رئاسة الاركان . .

ثم التفت روبير رودان إلى روزا وسألها : هل تعرفين اين تقع جزيرة الميني شوز .

صمتت روزا عن الضحك وقالت ـ امر سهل يا روبير سنعرف مكان وجودها على الخارطة حال وصول مدير المعهد التقني .

روبير ـ رأيك صحيح ، سنعرف من مدير المعهد مكان الجزيرة ، ثم نلحق بها ونقتلها . اسمع ياوطواط اريد منك أن تستأجر طائرات حربية وزوارق سريعة مسلحة، تعاون مع المنظمات الارهابية في العالم ، تعاون مع الموساد إذا لزم الأمر ، الموساد منظمة ارهابية جيدة ، نفذت عمليات قتل جماعية ولها تاريخ عريق في الاجرام انها ربيبة أربع عصابات ، آراغون وشتيرن والهاجانا وزفاي ليومي . هيا تصرف بسرعة واتصل بي .

● ● ●

صنع الربان طوني الشراب وتقدم به معجباً بنفسه وقال : تفضلي وذوقي سيدتي الجميلة وقولي رأيك بصراحة .

قلد غالي لهجة الربان ساخراً : تفضلي وذوقي سيدته الجميلة .
فقالت فهيمة بالعربية : الزموا ادبكم يا غالي ، هذا ادب جم من الربان . وذاقت فهيمة الشراب وكان مذاقه رائعاً فأطْرَت عمله وتلمظت مراراً وهي تشربه .

قال الربان ـ عندي لك سر بالغ الأهمية ، ارجو الا تبوحي به لأحد .

شرق غالي بالشراب وتكدر للسر الذي سيدلي به الربان إلى زوجته ، ونظر اليها شزراً ، وكانت زوجته تبتسم وقالت : اطمئن حضرة الربان على سرك ، لن اخبر احداً على ظهر الجزيرة ، إلا اذا كنت تعتبر زوجي احداً ، لا يجوز ان ابوح له بالسر .

الربان : لاطبعاً . .سيعرف زوجك السر عاجلاً أم آجلاً .

غالي ـ قل سرك لعلنا نصل الى آخر المطاف قبل ان نرحل .

الربان ـ أقنعتني دعاية مشروع مراجعة الحاجات ، بالانضمام

إلى المشروع ، تستطيعان أن تعتبراني متطوعاً منذ الآن إلى جانبكما ، وساهبط على الجزيرة في اقرب وقت حين يسمح لي المعهد التقني بالانضمام ، وسأبقى الآن حارساً للشواطىء .

غالي ـ كمل النقل بالزعرور .

فهيمة ـ زوجي يحب المزاح كثيراً . . اهلاً وسهلاً بك حضرة الربان ، ستنزل ضيفاً علينا .

الربان ـ لايوجد مضيف وضيف في جزيرة الميني شوز ، كلنا متطوعون سنعمل جنباً إلى جنب في مكان واحد انا وانتم من أجل بناء الحضارة الجديدة .

غالي ـ اهلاً وسهلاً على الرحب والسعة ، سنصبح ثلاثة ، رجلين وامرأة ، في جزيرة مقطوعة ، سيزداد سرورنا كثيراً بحضور الأخ الكريم يا فهيمة .

لاحظت فهيمة أن غالي سينشق غيظاً من الربان فقررت أن تبدل الموضوع ، فقالت : متى سنبحر حضرة الربان . فرد الربان قائلاً : نستطيع أن نبحر متى شئنا هل انتم على عجلة للوصول إلى تلك الجزيرة المقطوعة في مياه الأطلسي .

قال غالي : نريد أن نعرف هل هي بعيدة عن مكاننا هذا .

قال الربان : تعالا معي إلى غرفة القيادة وستريان كل شيء بوضوح .

* * *

3 — اعلنت السكرتيرة في مكتب روبير عن وصول مدير المعهد ، ففتح روبير باب مكتبه مستقبلاً مدير المعهد التقني ببشاشة : اهلا بك مستر توم في مؤسسة روبير روردان . . هل تذكرني حضرة المدير ؟ ؟ .

اجاب مستر توم : كيف انساك وكنت مع عارضة ازيائك المع نجمين في سهرة المعهد التقني .

صافح روبير مستر توم بحرارة وجذبه إلى مكتبه ، فنهضت روزا واقفة واقتربت من المستر توم وطوقت كتفه بزندها العارية وقادته إلى مقعد عريض لتجالسه عليه ملتصقة به وقالت بدلع : هل تفضل أن اقوم بعرض الازياء الآن أم بعد غداء شهي بدعوة من مسيو روبير رودان ؟ .

قال توم : انا موافق على كل ما يسرك دون تردد .

قال روبير : اذن هيا بنا في الحال لنتحدث ملياً على الغداء .

• • •

وقف الربان خلف طاولة صغيرة يشرح للمتطوعين الشهمين ، فاشار إلى دائرة حمراء تضم نقطة سوداء وقال : هذه هي جزيرة الميني شوز ، وهي جزيرة صغيرة في الأطلسي تعتبر امتداداً لجزر الكناري ، كان المعهد التقني قد اجرى فيها عدة دراسات وقد رافقت علماء المعهد مراراً إلى تلك الجزيرة .

سأل غالي : الطريق قصيرة على الخارطة ، ولكن متى نصل إليها اذا ابحرنا الآن .

اجاب القبطان : لن نبحر الآن ، سنعد الآن وجبة غداء جيدة وننتظر ميلان الشمس ثم نبحر في المساء ، افضل الابحار ليلاً لاستمتع بالبحر والليل ونجوم السماء ، فنصل قبل طلوع الفجر الى الجزيرة ، ونتناول الافطار ثم تنزلان على الجزيرة .

• • •

كان المطعم الذي اختاره روبير واصطحب اليه مدير المعهد

وروزا ، واحداً من المطاعم الفخمة ، يفتح الشهية للأكل ، ويفتح النفس للغزل ، فأخذ توم بجو المطعم الهادىء والجلسة الحالمة برفقة روزا ، فمال على اذنها وهمس قائلاً : الطعام لذيذ في هذا المطعم والابتعاد عن الزوجة الذ بكثير .

ضحكت روزا وزادت التصاقاً بالسيد توم ، بينما كان روبير متلهفاً الى الحديث مع مدير المعهد ، فسأله بصراحة : ما رأيك حضرة المدير بمشروع المبني شوز ؟ .

- مشروع فاشل لم اتحمس له على الاطلاق .

- كيف تقول مثل هذا الكلام ، ألم توقع على تنفيذه كمدير للمعهد التقني .

- عرفت بوجود اكثرية تؤيده ، فوافقت بدوري ، ولكني لم أوله أي اهتمام .

- أنا شخصياً اخشى نجاحه ، واشعر بخطره على منتجاتي واني مصمم على افشاله .

- سيفشل دون وساطتك ، طبائع الناس اصعب مراساً من أن تقاد بمخطط واحد .

تدخلت روزا في الحديث قائلة : كلامك حكم رائعة يا حضرة المدير ، ولكن ما يمنعنا من التعجيل بفشله .

فاجاب المدير مبتسماً : لن يمنعنا احد . . مري يا روزا وساعمل على افشاله في كل مناسبة .

طبعت روزا قبلة امتنان على خد المستر توم وقالت : يا لك من حبيب كريم .

فرح روبير بتضامن مدير المعهد فتابع اسئلته : كم رصد المعهد

التقني لانجاح المشروع .

قال توم : مائة مليون وتبرعت مؤسستك بعشرة ملايين .

اجاب روبير فوراً : سارصد مائة مليون مقابل افشال المشروع .

قال توم : لاتغريني بالمال يامسيو روبير ، مواردي اضخم من نفقاتي ونفقات زوجتي ، ولا أولاد لدينا .

تدخلت روزا ثانية لتقول : ساغريك بصداقتي ووداي حضرة المدير .

التفت المدير إلى روزا بكليته ، وامسك كفها وراح يقبله بنهم وقال : صداقتك ووداك أغلى من ممتلكات الدنيا كلها ، انت نفسك ياقوته غالية ، درة رائعة .

تركت روزا يدها بين يدي توم وقالت مشجعة : ما اظرف كلامك لم اسمع مثله من شباب مراهقين .

ـ دعك من الشباب ، انا وحدي اقدر قيمتك الفنية الكبيرة ، واضعك في المكان اللائق بك .

قطع روبير الانسجام بينهما قائلاً : اجلا الغزل إلى وقت اكثر ملاءمة ، وقل لي يا مستر توم ، هل يمكن اقناع البروفسور شاين بالتخلي عن مشروعه أو الانحراف عنه .

ـ لاتتعب نفسك مع البروفسور شاين لانه عالم صعب المراس ، لا يأتيه الباطل من امامه ولا من خلفه ، ولا يتصرف إلا بوحي من عقيدته .

ـ ما رأيك بالدكتور برهام .

ـ الدكتور برهام ماكر قوي الشخصية ، تحدثه فتثق به ، كأنه

صارحك بالتفاصيل ثم يتبين لك ، انه لا يسلم سره لأحد ، ويتقن ادارة اللعب حتى النهاية .

ـ أتظنه يقبل رشوة كمعظم الناس في هذه الأيام وخاصة إذا كانت بالملايين .

ـ يرفض الدكتور برهام الرشوة ، لانه يسيطر ببساطة على قرارات الصرف في كل مشروع يقوم به المعهد .

ـ ألا تستطيع باعتبارك مديراً للمعهد ، أن تحاسبه بدقة وتتهمه وتضعه في مركز حرج ، وتحمله مسؤولية ضياع اموال المعهد .

ـ سأشرح لك الصورة لتدرك اوضاع المعهد ، ان علاقات الدكتور برهام العامة هي وسيلتنا للحصول على موارد جيدة لمشاريع المعهد ، الم يجبرك على التبرع إلى مشروع الميني شوز بعشرة ملايين ، على الرغم من كرهك الشديد لمشروع مراجعة الحاجات .

ـ اشكرك على توضيحك لي علاقات المعهد ، حدثني الآن عن الجزيرة التي اختارها المعهد لتنفيذ تجارب مراجعة الحاجات ، ماذا تعرف عن تلك الجزيرة ؟ .

ـ هي جزيرة يحيط بها الماء من كل جانب ، ولو لم يحط الماء بها لما دعيت جزيرة .

ـ اريد ان اعرف اين تقع جغرافيا .

ـ لاتسألني في هذا الموضوع ؟ لأنني اكره كل الاشياء التي تقع جغرافياً ، وخاصة اذاوقعت في البحر . انني لا اميز يميني من يساري إلا بصعوبة .

ضحكت روزا من تعليق المدير وقالت وهي تغمز بعينها : اين تحب أن تقع الاشياء سيد توم .

ـ ماأجملها عندما تقع في الحب ، حيث لا يمين ولا يسار ، انا واقع في بحر هواك يا روزا من رأسي حتى أخمص قدمي ، ومحاط بامواجك وتياراتك الرائعة .

امتعض روبير من تبديل الموضوع وقال : انتبه إلي قليلاً ، اين مكان الجزيرة على الخارطة ، وماذا كان اسمها قبل ان يطلق عليها المعهد اسم جزيرة الميني شوز .

ـ لم اهتم بمعرفة اسمها ولابمكانها يا سيد روبير .

ـ انا مهتم بمعرفة اوسع التفاصيل عن جزيرة الميني شوز من اجل افشال مشروع مراجعة الحاجات .

ـ هذا أمر بسيط لا تشغل بالك به ، سازودك بخارطة توضح مكانها بدقة .

ـ غمرتني بمساعدتك الكريمة التي لا ادري كيف ارد جميلها لك .

ـ سترد روزا الجميل عنك يا مسيو روبير .

ضحكت روزا وقالت : سانتظرك في منزلي حتى تأتي بالخارطة يا مستر توم .

قال توم موافقاً : هذا ما كنت افكر فيه ، ساجلب الخارطة الى منزلك ثم ننطلق من هناك إلى مكتب المسيو روبير .

• • •

4 ـ ابحر الربان بالمركب متجهاً نحو جزيرة الميني شوز ، وصار غالي سوداوي المزاج وتملكته الغيرة على زوجته فهيمة ، لأن القبطان لم يترك مناسبة للحديث معها إلا واستغلها مبديا اعجابه بها وبثقافتها ، وحين سألها غالي : لا ادري كيف يعجب بك رجل فرنسي وعهدي برجال

فرنسا يحبون الأجسام النحيلة . اجابت فهيمة : ان الربان طوني هولندي وليس فرنسيا ، وقد اخبرني وهو يطري جمالي أن ربابنة السفن يفضلون المرأة الممتلئة .

وقف غالي حانقاً وسار متبعداً عن زوجته التي سألته : إلى اين انتم ذاهبون يا غالي ؟ .

رد غالي متأففاً : ايوجد مكان غير مطعم المركب أو كابين القيادة ، اعاننا الله على نسائنا والهمنا الصبر والسلوان حتى في مكان ضيق كظهر السلحفاة ، يسألننا إلى أين انتم ذاهبون .

تمددت فهيمة على السرير الضيق ، وحاول غالي أن ينام على السرير الآخر ولكنه كان يستيقظ فجأة ، وينظر مستغرباً المنظر الذي يحيط به ، ثم يتذكر الرحلة ، فيزداد مقتاً للوضع الذي هما فيه الآن .

• • •

اخذ التعب من غالي كل مأخذ وشعر بارهاق شديد ، فغط في سبات عميق . لم يستيقظ منه إلا ويد الربان تهزه بعنف ، فتنبه من نومه وصرخ : ماذا حدث ؟ فوجد الربان يضحك في وجهه قائلاً : قم وايقظ زوجتك وتعالا لتناول الافطار معاً في مواجهة شاطىء جزيرة الميني شوز وسيبزغ الفجر عما قريب .

نهض الربان بعيداً عن طاولة الافطار وقال : تعالي انظري سيدتي الجميلة تشاهدي الجزيرة ممتدة أمام بصرك .

اقتربت فهيمة ونظرت فامتعضت وكاد يغمى عليها وصرخت : غالي ، ارى صحراء قاحلة ، كيف سنعيش وسط رمال جرداء .

نهض غالي من هول الكلام وقفز قرب زوجته وهاله منظر الكثبان الرملية فقال بدوره : لا أعطاك الله عافية يا دكتور برهام

ويا بروفسور شاين ، لم كل هذه الرحلة كنا نستطيع أن ندرس لك حياة البداوة في بلدنا دون حاجة إلى كل هذه الضجة . وتابعت فهيمة : ماذا سنفعل فوق تلك الرمال . فقال غالي : سنشوى بنارها دون هدر للطاقة .

ابتسم الربان وقال : لاتبتئسا هذا هو الجزء الشرقي من الجزيرة ، سانزلكما على شاطئها الغربي ، جزيرتكما من اجمل الجزر وافضلها مناخاً .

عاتبت فهيمة الربان : قلها من الاول ، لم تبق في عروقنا قطرة دم واحدة .

اجابها الربان : سادور حول الجزيرة ثم انزلكما ، هيا اصعدا على ظهر المركب واستمتعا بالنظر الى املاككما .

« ياله من منظر خلاب رائع ، كنت احلم به في نومي . هذه جنة يا غالي هذه جنة بعينها » .

نظر غالي إلى مدخل الخليج الذي عبره المركب متقدماً قرب حافة صخرية وانشرح صدره كزوجته واوقف الربان المركب وانضم اليهما على ظهر المركب .ثم قال : هذا مرفأ لطيف سيمكنكما من النزول إلى الأرض بسهولة وسيكون عوناً للمتطوعين الآخرين ستستوردون عن طريق هذا المرفأ وتصدرون بواسطته .

سأله غالي : هل هذا المرفأ طبيعي ؟

اجابه الربان : لا انه مرفأ من صنع الانسان ، لأن الجزيرة استخدمت قبلاً قاعدة عسكرية . لقد أوصاني الدكتور برهام بتقديم هذا الصندوق لكما ، فيه عدة بسيطة مما قد يلزمكما في حياتكما البدائية . واقدم لكما هذا المذياع هدية مني ، سيسليكما في عزلتكما .

التفت الربان نحو غالي وقال : تعال لاضمك ايها المتطوع العظيم ، ان ايمانك بالانسانية لا يتطرق اليه الشك ، اتمنى لك اقامة مريحة ، وآمل أن تنجح بتجاوز الاخطار والا تيأس وتطلب العودة سريعاً .

عانق الربان غالي وقبله على وجنتيه فسايره غالي وقال : نشكر لك لطفك ومساعدتك وابتعد الربان عن غالي ملتفتاً إلى الدكتورة وقال : تعالي اودعك يا دكتورة فهيمة . فحملق غالي وسأله : اتريد ان تعانق حرمنا المصون ايضاً ؟ ؟

ابتسم الربان وقال : لم ار احداً بعمري في مثل غيرتك . . اطمئن ساكتفي بطبع قبلة على ظاهر يدها ؟ امسك الربان بيد فهيمة وطبع قبلة عليها وقال : اشعر بالفخار كلما طبعت قبلة على يدك لانك اشجع امرأة وانبل امرأة يا سيدتي الجميلة .

ابتسمت فهيمة وقالت اسمعتم كلام الربان ،قدروا يا غالي الفخار الذي امنحكم اياه ليلاً .

ضحك القبطان بينما دفعها غالي قائلاً : قدرناه هيا انزلي . تقدمت فهيمة حاملة المذياع لتنزل وتبعها غالي حاملاً الصندوق ولوّح القبطان بيده منادياً إلى اللقاء .

◆ ◆ ◆

الفصل الثاني

1- كانت الاذاعة التي يشرف عليها المسيو شارل ، قد منحت المعهد التقني ساعة يومياً ، لاذاعة برنامج مراجعة الحاجات ، ولم يكن شارل يأمل خيراً من هذا البرنامج العلمي عندما أقدم على هذه الخطوة ، وفاء للصداقة السرية التي تربطه مع الدكتور برهام . ولكن البرنامج استطاع ان يستقطب عدداً كبيراً من المستمعين كانت رسائلهم تزداد مع استمرار البرنامج .

ولم تكد اذاعة المعهد التقني تذيع الخبر الهام التالي :

ـ تم بنجاح كبير نزول الدكتور غالي والدكتورة فهيمة على ظهر جزيرة الميني شوز ، وابتدأ مشروع مراجعة الحاجات في العالم حتى شغل المستمعون ارقام هواتف الاذاعة كلها ، مطالبين بتمديد وقت البرنامج ، ليطلعوا على اخبار المتطوعين ، ويتابعوا ما يحدث على ظهر الجزيرة طوال النهار ، وحتى الليل .

وانهالت العروض على السيد شارل من مؤسسات الاعلان ، تطلب ادراج اعلاناتها ضمن الوقت المخصص لاذاعة البرنامج ، وعرضت شركات التلفزيون مبالغ كبيرة مقابل السماح لها ببث برنامج مراجعة الحاجات .

دهش مدير الاذاعة للنجاح الكبير الذي لقيه برنامج الميني شوز

وقرر استثماره على نطاق واسع ، فاتصل فوراً بالدكتور برهام ودعاه إلى لقاء عاجل لبحث الموضوع .

هرع الدكتور برهام إلى لقاء صديقه ، وكان خائفاً ان يقدم شارل على الغاء الوقت المخصص للبرنامج في هذا الوقت العصيب ، بعدما نزل الرائدان على الجزيرة ، وصارت اذاعة اخبارهما ضرورة هامة ، يتوقف عليها نجاح المشروع ، ولكنه فوجىء بمدير الاذاعة يرحب به بحرارة ويقول له :

- طلبتك يادكتور برهام ، لاهنئك من اعماق قلبي على هذا البرنامج ، برنامجك الميني شوز برنامج ظريف وطريف ، نستطيع أن نستثمره على جميع المستويات .

- هل تعتقد ياسيد شارل ، ان برنامج مراجعة الحاجات برنامج اذاعي فحسب .

- طبعاً لا . . هو برنامج ثقافي انتقادي في الوقت نفسه ، ويفسح لنا مجال اذاعة الاعلانات ضمن فقراته ، الا ترى مثل هذا الرأي يا دكتور برهام ؟ ؟ .

- برنامجنا مشروع مراجعة الحاجات ، مشروع حقيقي ، خصصنا له مبالغ كبيرة وافردنا له عدداً من علماء المعهد .

وقف شارل وقال بحزم واحترام بالغين :

- اثبت المعهد التقني ، انه قادر على تقديم برنامج ناجح ، مهما كانت حقيقته ، وهذا ما يهمني في الموضوع ، لقد طلبت عدة محطات تلفزيونية ان تشترك في بث البرنامج مقابل ارقام مغرية ، كما أمنت لاذاعتي وللمعهد التقني عقوداً بالملايين ، مقابل اذاعة الاعلانات ضمن فقرات البرنامج ، فما رأيك يا صديقي . اسمعني موافقتك

لا تشجع على مواصلة البحث وتوقيع العقود ، واوفر للمعهد ما يتوف على خمسين مليوناً في كل سنة . . ساعدني يا دكتور برهام ، كما ساعدتك .

وقف الدكتور برهام برزانة وقال بحزم أيضاً :

- حول الدفعة الأولى الى رصيد المعهد التقني في المصرف ، وساضمن لك موافقة المعهد في القريب العاجل .

* * *

عاد الدكتور برهام مسرعاً إلى المعهد التقني ، وكان يفكر طوال الطريق في وسيلة يقنع بها البروفسور شاين ، فانفرد بزميله شاين حال وصوله وقال له بصراحة :

- اريد موافقتك يا بروفسور شاين دون تردد ، سنحصل على خمسين مليوناً سنوياً ، مقابل اذاعة عدد من الاعلانات ضمن برامج الميني شوز ، ومقابل البث التلفزيوني لبرامج مراجعة الحاجات على الجزر . فقال شاين :

- دكتور برهام . . نحن ننتصر في مشروعنا لقيم الانسان ، ولا نولي اهمية إلا للمواضيع التي تحقق القيم كالثقافة والفنون والرياضة ، وابحاث العلماء ، ونحتقر عدا ذلك كل المؤسسات القائمة على المظاهر الكاذبة ، فكيف نتعامل مع المعلنين من اجل المردود المادي ! . .

- ينظر مدير الاذاعة إلى مشروع الميني شوز ، نظرته الى برنامج اذاعي اعلامي ، ولا يصدق حقيقة ماتسعى إليه .

- مدير الاذاعة حر في نظرته ، اتشك في حقيقة مبادئنا ؟ . .

- ماذا يضير مشروعنا ، اذا اعتقد عدد كبير اعتقاد المدير نفسه ،

ألا ينقذنا اعتقادهم من تزايد اعدائنا ، ومن شراسة خصومتهم ونحن ما نزال في مرحلة التأسيس مما يتيح لنا العمل بحرية ، فنحقق مشروع الميني شوز تحت ستار برنامج اذاعي .

ـ لن تصدق مؤسسة روبير رودان هذا الاعتقاد .

ـ كلامك صحيح ، ولكنها لن تجد من يتحمس الى دعوتها ، فيقتصر صراعنا على الصدام مع مؤسسة رودان وحدها .

لم يقتنع البروفسور شاين فاقترب من زميله الدكتور برهام وقال له :

ـ مرضوعك شائك ومعقد ، كيف نبيح لانفسنا أن نضع الرائدين على شاشات التلفزيون امام اعين الملايين من الناس .

ـ اليس في هذا العرض على التلفزيون دعاية كبيرة لمشروع الميني شوز ؟ .

ـ الا تراه تطفلاً سمجاً على حرية المتطوعين ؟ ؟

ـ نحن تراقبهما بواسطة الاقمار الصناعية مع عدد كبير من الخبراء ، فما الفرق اذا زاد عدد المتفرجين؟

صمت البروفسور شاين برهة ، ثم قال :

ـ اسمع يادكتور برهام . . يحق للطبيب أن ينفرد بمريضه أو مريضته ، فيجس النبض ويعاين الصدر وغير الصدر ، ويتم الكشف احياناً بحضور طبيب آخر أو ممرض ، ويحتمل حضور عدد من طلاب الطب ، ممن سيرسب بعضهم ويبدل دراسته فيحضر المعاينة . . ولكنه لا يحق لاي شخص أن يتلصص من ثقب الباب أو يستمع عبر الحائط . فما الفرق اذا زاد عدد المتفرجين اثناء المعاينة واحداً ؟ ؟ ألا يشكل الوضع انئذ ؟ . . ثم هل يحق للطبيب أن يكشف على شخص

ما ، وهو سليم بحجة انه عاينه من قبل ، عندما كان مريضاً ، أم يأخذ فعله تفسيراً آخر ؟ .

ـ توجد مغالطة في تشبيهك يا بروفسور شاين ، لان الدكتور غالي والدكتورة فهيمة موجودان على ظهر الجزيرة ، للقيام بتجارب علمية غير سرية ، ويحق لنا أن نظهر تجاربهما لكل الناس .

فكر شاين قليلاً ثم أجاب :

ـ رأيك صحيح عندما ينشطان للعمل وطلب الرزق ، أما في حالة الراحة وفي حالة الاعتكاف ، وممارسة شؤونهما الخاصة ، فلا يحق لنا ولا لغيرنا عرضهما على شاشات التلفزيون .

أحرج رفض شاين موقف الدكتور برهام الذي ابلغ موافقته لمدير الاذاعة فتابع النقاش قائلاً :

ـ مشروعنا بحاجة إلى مئات الملايين ، وتجربتنا رائدة في هذا العصر ، تتحمل قليلاً من التساهل من اجل توفير المال اللازم ، واثارة حماسة الناس للتطوع .

رد شاين بصرامة محاولاً ان ينهي النقاش :

ـ اذا كانت الغاية من المشروع جمع المال دون التقيد بالقيم ، نستطيع أن ندخل عدسة التلفزيون في الخفاء الى اي بيت ، ونتلصص على زوجين يمارسان حياتهما اليومية في الوئام والخصام ، واؤكد لك منذ الآن ، اقبال المشاهدين على هذا البرنامج ، وتهافت المعلنين على الاعلان ضمن فقراته .

ـ انختلف ونحن مكلفان بتنفيذ المشروع ؟

ـ افضل ان نختلف ونفترق من بداية الطريق على أن نختلف في نهايته .

ـ لن اخالف رأيك ، ولن اتركك ، سابقى إلى جانبك وارجىء الارتباط بأي عقد حتى تفرضه الضرورة ، وتوافق قبلي .

• • •

2 — انزل قبطان المركب المتطوعين غالي وفهيمة على اليابسة ، وابتعد بمركبه تاركاً اياهما على الجزيرة ، يبدآن مشروع الميني شوز .

حمل غالي الصندوق ومشى خطواته الاولى على شاطىء الجزيرة ، وتبعته زوجته فهيمة مع الراديو متأخرة عنه عدة امتار ، وصار الاثنان يتأملان حسن المنظر من حولها ، ويستمعان الى شدو الطيور بين الاشجار ، فرحين مسرورين ، بالنزهة بين احضان الطبيعة ، وكان مركز الاتصالات اللاسلكية عبر الاقمار الصناعية التابع للمعهد التقني ، يراقب المتطوعين وهما يتجولان في الجزيرة عندما صرخت فهيمة متوجعة بصوت عال :

ـ آخ غالي غالي . . ردوا على زوجتكم فهيمة يا غالي .

ـ نعم ماذا تريد زوجتنا عزيزتنا ، تفضلي مري ، طلباتك اوامر يا حرمنا المصون .

ـ لم اعد اقدر على السير يا غالي .

ـ اسمعي يافهيمة ، ان عودتنا الى الحياة البدائية لا تعني ان نحملك على ظهرنا ، حتى الانسان البدائي القوي المهارس لم يعرف عنه انه كان يحمل زوجته في كيس على ظهره ، فكيف برجل عصري يكاد يحمل نفسه كرهاً بسبب اوجاعه .

ـ أنا لم اتعب من السير بعد ، انما انخلع كعبي .

ـ ابعد بالشر ، كان لنا ولع بكعبك ، احقيقة انخلع كعبك أم انه مزاح ؟ ؟

اقترب غالي وجلال من فهيمة ونظر اليها فوجدها تعتمد على قدم واحدة وتعرج على القدم الثانية ولكنها بادرته مطمئنة خوفه :

ـ قصدت كعب حذائي يا غالي .

ـ عجلي بالايضاح ، ظنناه كعب أشيل .

جلست فهيمة على صخرة لتستريح وتعالج وضعها ، بينما ساد الاهتمام كافة الموظفين الذين كان يراقبون المتطوعين في مركز الابحاث ، وهرع احدهم إلى غرفة الدكتور برهام ليعلمه بالخبر الخطير ، فاسرع الدكتور برهام واخبر البروفسور شاين الذي قال معلقاً :

ـ كان علينا ان نتوقع هذا الحادث ، لان حذاء الدكتورة مصنوع لسير رشيق في صالون عصري مغطى بالسجاد ، وليس مهيئاً للوثب على الصخور الوعرة . ليتنا زودناها بحذاء آخر تفادياً للتعليقات ، والاستنتاجات ، وما زلنا نقطع خطواتنا الاولى على ظهر الجزيرة .

وسأل الدكتور برهام الموظف :

ـ ماذا فعلت الدكتورة بعد خلع كعب حذائها ؟

اجاب الموظف :

ـ لم تفعل شيئاً حتى الآن ، استراحت ونحن في انتظار ما ستقدم عليه .

قال البروفسور شاين :

ـ آمل ان تتصرف الدكتورة فهيمة كعالمة ، لا كامرأة حريصة على المظاهر .

ـ إذا اصرت الدكتورة فهيمة على اصلاح كعب حذائها في الدقائق التالية ، فستحتفظ الاحذية بالكعوب العالية في عالم الازياء ،

وتكرس في الحضارة الجديدة اما اذا استغنت عنه ، فستختفي اول حاجة من حاجات العصر ، ولن يضيع الانسان جهداً وطاقة بعد الآن ، من اجل صناعة كعوب عالية لاحذية النساء .

ـ هل تعلم يادكتور برهام . . عدد الاشجار الباسقة التي تقطع سنوياً في جميع انحاء العالم ، أو المواد البلاستيكية اللازمة لصناعة الكعوب ، انه رقم عال حتى يوفر للمرأة زيادة في طول القامة ، ويحرمها من السير براحة ، ويشوه عمودها الفقري ويؤذي جنينها في ايام الحمل .

ـ جعلتني اشعر برهبة الدقائق القادمة ، مع كل خطوة يخطوها الرائدان في تنفيذ مشروع الميني شوز .

ـ لن يرتاح بالي حتى اتأكد من مصير كعب حذاء الدكتورة ، لأن كعوب احذية النساء مرهونة بخطوتها القادمة ، هيا الى المراقبة لنشهد اللحظة التاريخية حال وقوعها .

• • •

وقف الدكتور غالي يستحث زوجته على متابعة السير وقد رفضت قائلة :

ـ لن استطيع السير بكعب واحد خطوة واحدة .

ـ اخلعي الكعب الثانية وسيري بحذاء دون كعب .

ـ ستقصر قامتي الى جانب قامتكم المديدة .

ـ لاتهتمي . . قبلنا بك زوجة لنا ، وانتهى امرنا ، ونحن وحيدان على هذه الجزيرة .

ـ اعرف أننا وحيدان ، ولكننا مراقبان بالاقمار الصناعية .

انحنى غالي وامسك قدم زوجته ، ونزع فردة الحذاء من

قدمها ، وقال : وهو يجرب خلع الكعب الثاني :
- ماذا تعني مراقبة الاقمار الصناعية لك ؟ .
- ساتجمل كل يوم كما كنت افعل في السابق .
- لاتتعبي نفسك من اجلنا ، سنقبل بك على علاتك خلال اقامتنا في الجزيرة .
- لاتتوهموا ياغالي ، لا توجد امرأة واحدة في الكون تتجمل من اجل زوجها ، ساحرص على زينتي من اجل المراقبين في محطات الاقمار الصناعية .
- يامسكين يابروفسور شاين ، كان عليك ان تبدل دم المرأة قبل أن ترسلها في مشروع مراجعة الحاجات ، سيضيع جهدك وجهادنا سدى ، ازاء اصرار حرمنا المصون على زينتها .
- الا تسرون ياغالي عندما تسمعون همساً يشيد بجمال زوجتكم ؟ .
- نسر كثيراً عندما يطابق شكلها مضمونها ، خذي حذاءك ، وهيا واصلي السير .
نظرت فهيمة الى الحذاء الواطىء ولبسته على مضض قائلة :
- ظننتك ستثبت الكعب المخلوع في مكانه ، ولم اتوقع ان تنزع الكعب السليم .
رد غالي بعصبية شديدة :
- لم قطعنا الوف الكيلومترات ، وجئنا لنقيم في هذه الجزيرة ، بعيداً عن حضارة العصر ، اذا كنا سنحرص على كعب الحذاء العالي ، ودبوس الماس وعلبة البودرة والشعر المستعار ، وربطة العنق وغيرها .

ـ لم غضبتم ياغالي ؟ .

ـ لان مطاليبك الاولى في الجزيرة اثارت اعصابنا ، هيا امشي امامي دون نقاش .

سارت فهيمة بحذاء دون كعب ، وتبعها غالي . ومرت التجربة الاولى بسلام ، فصافح البروفسور شاين الدكتور برهام مهنئاً وقال وهو يتابع الرائدين على شاشة التلفزيون .

ـ ابشر ياصديقي ، لقد حذف الكعب العالي من حاجات الانسان ، وسيتم تصميم حذاء المستقبل بسيطاً مريحاً دون كعب ، ودون تعقيد وقد نستغني عن الاحذية ، اذا امكننا بناء طريق خشبية مصقولة في جزر الميني شوز ، ليسير الناس عليها حفاة دون حرج ولا خوف ، ونقضي آنئذ على الفكرة السخيفة التي تعتبر الحافي متخلفاً والمنتعل متحضراً .

ـ فكرة رائعة ، ان نبني طرقاً في الجزر من الخشب أو البلاستيك لا تبرد شتاء ولا تمسك الحرارة صيفاً ، فيستغني المشاة عن الاحذية في سيرهم عليها ، أو يكتفون بحذاء رقيق كالجورب ، لا يشوه القدم ولا يعمل على ابادة الاصبع الخامسة التي يتنبأ علماء الاحياء باختفائها من الجسم البشري في مستقبل الايام مما سيزيد في آلام العمود الفقري .

ـ سنوفر اثمان الاحذية الباهظة على الفقراء ، وخاصة على المتزوجين الذين تتعبهم زوجاتهم بشراء حذاء في كل شهر .

ـ صرت اتمنى أن ننجح بسرعة في تحقيق مشروعنا ، لنصل عما قريب إلى بناء جزر الميني شوز الواقعية ، جزر السعادة الانسانية دون مظاهر كاذبة .

* * *

3 – تصدر روبير رودان خلف مكتبه ، يستمع الى اخبار الرائدين من اذاعة المعهد التقني ، وكان المذيع يقول :

قام الرائدان بجولة استكشاف في الجزيرة ، استهدفت التعرف على اماكن اقامتها ، ثم استراحا قليلاً ، وقامت الدكتورة فهيمة بالتخلص من كعب حذائها العالي لعدم انسجامه مع متطلبات الحياة المنطلقة على جزر الميني شوز . ومضى الرائدان في تحقيق الحياة الجديدة خطوة إثر خطوة ، من اجل تحقيق الافضل والاجمل للاجيال المقبلة . وقد اتفق معلقو الاذاعة على اصابة الكعب العالي بنكسة بعد برامج الميني شوز . ثم استرسل المذيع قائلاً : مئات من اجهزة الكومبيوتر تعمل الآن في الاحصاء الجبار الذي سيحدّد عدد النساء في العالم ، وكم كعباً تستخدم المرأة في السنة ؟ وما هي المواد الاولية التي تصرف في صناعة الكعوب وما هو حجم الطاقة المستهلكة لانتاجها ، وما هو مقدار التلوث الحاصل .

اغلق روبير المذياع بعصبية ، ونهض وتوسط الغرفة ، وراح يخبط بيده المقاعد من حوله ويصرخ :

ـ اخشى ان تتخلص الدكتورة فهيمة في الساعات المقبلة ، من مشدها أو من الجريتيير ، فتنسف منتجاتي الفنية ، وتضع مؤسسة (ر . ر) تحت الخطر ونحن ما زلنا نضيع الوقت بخطط فاشلة ، لقد اصبح لكل ثانية قيمتها بعد الآن في معركتنا مع المعهد التقني . . انقف مكتوفي الايدي ونراقب دمارنا .

دخل وطواط مكتب روبير رودان وهو يرتدي زياً كحلياً ، ويضع رتبة جنرال على كتفيه ، وادى التحية العسكرية وقال : سيدي روبير . جيشك المسلح ينتظر أوامرك . فدهش روبير ولكنه ابتسم

وقال : اجلس وخبرني ماذا فعلت ؟ .

نظر وطواط بزهو واجاب : استأجرت لك غواصة بحالة جيدة . فسأل روبير : لم الغواصة يا وطواط ؟ . ولن ينزل الرائدان الى اعماق البحر .

بلع وطواط ريقه : اعرف ذلك ولكني اخشى من غدرهما ، واريد أن اضمن النجاح وافشل مكر المعهد التقني . صار لدينا غواصة وقاذفتان مقاتلتان واربع زوارق حربية كافية لابادة الرائدين وغيرهما من المتطوعين ، وتدمير الجزيرة .

ـ مرحى يا وطواط ، وكيف حصلت على كل هذه الأسلحة بسهولة ؟ .

ـ اتصلت بالموساد كما اشرت علي ، فاتصل الموساد بقاعدة سرية موجودة على الشاطىء الافريقي تحوي على اسلحة منسقة من الجيش الاسرائيلي ، تؤجرها وزارة الدفاع الاسرائيلية لمن يريد من ارهابيين في جميع انحاء العالم .وتم الاتفاق على هذه القطع .

ـ ومن سيقودها ؟ .

ـ يؤجرون معها عادة ضباطاً متقاعدين ، كما فعلوا مع عصابات المخدرات .

ـ برافو ياوطواط ،لقد اتقنت عملك واطمئن بالي ، ولم يبق الا ان نعرف موقع جزيرة الميني شوز ونقوم بتدميرها .

ـ اعرف مكانها ، ولدي خارطة تبين موقعها بالتفصيل .

نظر روبير باستغراب الى كلام وطواط وسأله : هل تعرف مكان الجزيرة حتى تتحرك اليها فوراً .

ضحك وطواط بثقة وقال : لم انت مستغرب يا سيدي ؟ .

ـ لانني امضيت البارحة عدة ساعات مع مدير المعهد التقني ، لاستدرجه عن موقع الجزيرة ، وتركت روزا ضحية بريئة بين يديه لتجلب منه الخارطة هذا اليوم . قل لي كيف حصلت على الخارطة بسهولة وكم كلفتك ؟

ـ قامت بعض الصحف باصدار ملاحق عن جزيرة الميني شوز ، بعدما نقلت الاقمار الصناعية صور هبوط الرائدين على الجزيرة ، واتفقت التحقيقات على ان الجزيرة قائمة في المحيط الأطلسي على مسافة من جزر مديرة ، وانها خالية من السكان لان براكينها لم تخمد الا منذ وقت قريب ، ولا تحوي إلا على بعض انواع الطيور والاسماك والحيوانات الاليفة .

ضاق خلق روبير من وطواط فقاطعه قائلاً : اعطني ملحق الجريدة وانا اعرف القراءة مثلك . فاخرج وطواط ملحق الجريدة وقدمه لروبير الذي تابع القراءة : وحجم الجزيرة متوسط ، يصلح لقيام قرى الميني شوز النموذجية ، واننا نبين هنا حسب السهم موقع الجزيرة على مسافة من جزر مديرة ، بدقة بالغة .

ابعد روبير الجريدة وقطب حاجبيه ، وقال : اشعرتني بالحسرة وولدت في اعماقي احساساً بالتفاهة . فحاول وطواط ان يسري عن روبير فقال مفاخراً : سيدي روبير روذان ، ستخفق منتجاتك رايات عالية فوق قطعك البحرية والجوية ، فهل تصدر اوامرك بغزو الجزيرة والاستلاء عليها ، وهل تريد المتطوعين اسيرين ام قتيلين ، قل كلمتك ولن تغرب شمس هذا النهار الا وتكون جزيرة الميني شوز مدمرة على رأسيهما .

سأل روبير : كم يلزمك للوصول إلى الجزيرة ؟ .

اجاب وطواط : ستقلني طائرة تابعة للموساد الى القاعدة خلال ساعتين ، حيث سأجد القطع كلها جاهزة فنتوجه فوراً باتجاه جزيرة الميني شوز ثم تتبعنا القاذفتان في الوقت المناسب .

اخذ روبير رودان قبعة وطواط ووضعها على رأسه ، وشد ظهره كقائد عسكري محنك وقال بحزم : الحقد يملأ قلبي ، والغضب يثور في صدري ، وصوت الانتقام يناديني من اعماقي ، اضرب يا وطواط اضرب دون شفقة ولا رحمة . . اقتل كل حي على ظهر الجزيرة انساناً أو حيواناً أو نباتاً ، ودمرها بقوات التدخل السريع دماراً شاملاً ، حتى لا تعود تصلح للحياة ، هيا تحرك الى جزيرة الميني شوز .

• • •

ارتفعت حرارة الشمس في جزيرة الميني شوز ، وصار الجو مرهقاً ، وجف حلق غالي من العطش فقال معاتباً زوجته : آه . . لا ندري ما ارتكبنا من ذنوب في حياتنا ، حتى عاقبنا الله فجعل قدرنا مقطوعاً عن اقدار الناس .

ابتسمت فهيمة وسألت : الستم سعدين ياغالي ؟ .

صحح غالي عبارة زوجته : يقال سعداء . . لاسعدين يا فهيمة ؟ .

ـ نعم هذا ماقصدته . . الستم سعداء بالاقامة معي وحدي ، انا وانتم وحدنا ؟ . .

قال غالي بوضوح : لسنا سعداء . . بل نحن بؤساء تعساء . .لن نحصل على شيء واحد حسب مزاجنا .

ـ ابشروا ياغالي . . لان راحتنا ومستقبلنا مضمونان .

- هل سنجد قصراً أو فندقاً كالذي اقمنا فيه بعد عدة خطوات ؟ .

- لاهذا ولاذاك ولكننا سنستعين بتجاربي السابقة في الاستفادة من الطاقة الشمسية ، ولو رافقتكم غيري لما استطاعت ان تحضر لكم قدحاً واحداً من الشاي الساخن .

- اي لغو فارغ هذا الذي تقولين يا فهيمة ؟ .

- لم لا ياغالي . . سأطهو لكم طعاماً شهياً على الرغم من انقطاعنا في هذا المكان البدائي .

- فهيمة ياحرمنا المصون . . ابحثي عن الماء قبل الحديث عن الطعام . .عطشت ، وجف حلقنا ولم ار ماء حتى الآن ، تستطيع أن تعيش اسابيع دون طعام ولكننا سنموت عاجلاً دون ماء .

- كلامكم صحيح . . نشأت الحياة على الكرة الارضية ، في الماء وقرب الماء ومن الماء وبالماء ، ولا حياة دون ماء ، ومن غير المعقول ، ان يختار المعهد التقني جزيرة خالية من الماء الصالح للشرب لاقامتنا .

- من يدري . .ان غلطة الشاطر بالف .

- يبقى امل نجدتهم لنا عند ظهور أول بادرة ضعف علينا .

- امن الضروري أن نصل الى الرمق الاخير ، ليخفوا الى نجدتنا بجرعة ماء . ما كان اغنانا عن الانتقال من منزلنا يا فهيمة ، وكانت توجد بحرة تغدق بالماء اغداقاً في وسط منزل والدي في الشاغور .

تابع الرائدان البحث عن الماء ، ومضى الوقت ، وتعبا دون طائل ، وبدأ الخوف ينتابها ، حين ظهر سرب حمام في السماء فصرخت فهيمة : انظروا يا غالي . هذا سرب حمام .فعلق غالي متأملاً

السرب : هل اشتهيت طائراً منها مشوياً أم مقلياً .

تابعت فهيمة السرب بعينيها وقالت : لا تسخروا . . وجود الحمام يعني وجود الماء .

تابع غالي السرب وقال : بارك الله بذكائك ، انما بقي ان نمسك حمامة ونسألها كيف تصل إلى الماء ؟ .

قالت فهيمة : سنراقب السرب لنعلم اين يحط معظم الوقت فنعرف مكان وجود الماء .

ـ اربكتنا ذكاؤك هل قرأت ذلك من قبل أم هو قدح من ضميرك ؟ .

تابع الرائدان سرب الحمام الذي حوم عدة مرات فاربكهما ، ثم ابتعد قليلاً وهبط واختفى خلف تلة صخرية تحجب ما خلفها فقالت فهيمة : هيا نتبع السرب خلف التلة .

◆ ◆ ◆

الفصل الثالث

1 - انزل زورق المعهد التقني الرائدين على الجزيرة في موضع قريب من نبع المياه في الجزيرة ، ولكن الرائدين ابتعدا عن النبع ، فصار عليهما أن يدورا دورة واسعة قبل أن يبلغا موضعه . وكانا مصممين على هذا الهدف الحيوي ولكن فهيمة فضلت الاستراحة قليلاًفوقفت وقالت :

ـ لم انتم مستعجلون يا غالي ؟ . . مهلاً لنحصل على قليل من الراحة . اجابها زوجها .

ـ لاراحة لمؤمن الا بلقاء وجه ربه . هيا تابعي تقدمك في الحياة على طرقها الوعرة .

جلست فهيمة غير آبهة برأي زوجها وقالت :

ـ ارتاحوا الى جانبي ياغالي . . اتنظرون الى تطوعنا في مشروع الميني شوز على انه نزهة ام غزوة ؟ .

جلس غالي مسايراً زوجته وقال :

ـ الدور على المستطعم يافهيمة ،كيف تجدين تطور اوضاعنا على الجزيرة ؟ .

ـ اشتركت والله العظيم قصد النزهة والربح ، ولم اكن اتوقع كل هذه الاهوال .

ـ تشجعي فلم يبق بيننا وبين موضع الماء حسب تقديرك ، حيث تتجمع طيور الجزيرة سوى مسافة قصيرة .

ـ اخشى ان نصل إليه فلا نجد ماء .

ـ سم بالله صار حلقنا جافاً من الظمأ .

ـ انا مثلكم عطشى .

ـ تتحمل المرأة الظمأ اكثر من الرجل .

ـ اعرف هذه الحقيقة ، فنسبة الماء في بدن المرأة اعلى من نسبته في جسم الرجل بفارق يساوي خمسة بالمائة من وزنها ، وهذا سبب طراوة بدنها ونعومة بشرتها ، وقساوة جسم الرجل ، وخشونة جلده ، ولو زادت نسبة الماء في جسم الرجل او نقصت في بدن المرأة ، كما يقع في الحالات المرضية ، او بعد شيخوخة المرأة لظهرت سمات الانوثة على الرجل ، وسمات الرجولة على المرأة .

ـ تفترض هذه الحقيقة ، ان نموت قبلك عطشاً .

ـ لاتقولوا كلاماً مقيتاً ياغالي . . لم لا نطلب النجدة منذ الآن عن طريق الاقمار الصناعية . سنكتب لهم لفظة الماء على الارض بالعشب الاخضر .

ـ اليس معيباً ان نطلب معونة المعهد التقني ، ونحن لم نصرف بعد جهداً يذكر في البحث عن الماء .

ـ كلامكم صحيح ياغالي ، سينظرون الينا نظرة استخفاف ، لاسيما إذا كان الماء قريباً منا ، سأتحامل للسير من اجلكم .

* * *

زار توم المعهد التقني ، وداوم عدة دقائق في مكتبه ، تحدث خلالها الى الدكتور برهام ، واطمأن على حسن سير العمل ، واخذ

نسخة عن خارطة جزيرة الميني شوز ، واسرع الى بيت روزا التي فرحت بالخارطة ، فضمت توم إلى صدرها وعانقته وقبلته قبلات ساخنة شاكرة فضله في الحصول على الخارطة ، ثم قالت :

ـ لن ينسى روبير رودان مساعدتك القيمة ، هيا لنزوده بالخارطة ونشاركه في وضع الخطة .

اسرع توم وروزا الى مؤسسة رورو ، ووضع توم الخارطة على طاولة روبير ووقف ينتظر ثناءه العاطر ، ولكن روبير لم يول الخارطة اي اهتمام ، فاستغرب توم بروده ونظر بحيرة إلى روزا التي قالت بحماسة :

ـ جلبنا الخارطة ، وجئنا مسرعين اليك لنفكر مع توم في وضع الخطة .

تابع روبير بروده قائلاً :

ـ لقد نشرت معظم الصحف خارطة دقيقة لجزيرة الميني شوز ، وتحرك اسطولي البحري والجوي بقيادة وطواط متوجهاً إلى جزيرة الميني شوز التي ستدمر في الساعات القادمة ، ويقع المتطوعان ضحية دمارها ، وتحترق الاشجار وتفطس الحيوانات الاليفة وغير الاليفة . . ستدمرها ونجعلها غير صالحة للسكن بعد الآن .

احس توم بالحرج ازاء برود روبير فقال :

ـ هل تسمح لي بالانصراف مع روزا ، حيث لم يبق ما نساعدك به .

استدرك روبير قائلاً :

ـ اشكر تعاونك مع مؤسستي ، وافضل بقاءكما الى جانبي حتى تصلنا اخبار النصر ، فنحتفل ثلاثتنا بهذه المناسبة الرائعة ، احتفالاً عظيماً .

• • •

تابع مركز الاتصالات اللاسلكية مراقبة الرائدين ، وهما يبحثان عن الماء ويقي الدكتور برهام والبروفسور شاين على اتصال بالمراقبين ، ليطمئنا على وصول الرائدين الى نبع المياه في الجزيرة .

صرخ غالي فرحاً بصوت عال :

ـ فهيمة . . فهيمة .

ـ لم تصرخ ؟ ألست الى جانبكم ياغالي !

ـ سمعنا صوت امواه تصل حصاها ، صليل الحلي في ايدي الغواني .

ـ اتعتقدون اننا بلغنا شعب بوان ؟ .

ـ بلغنا مثله ، ان لم يكن هو نفسه .

ركض غالي الخطوات القليلة الفاصلة بينه وبين نهاية التلة التي كانت تقوم حاجزاً يحجب الرؤية ، وتبعته زوجته ، فأطلا معاً على نبع المياه الذي كان ينبثق من مغارة في بطن التلة ، وتسيل المياه منحدرة على الصخور . كان المنظر رائعاً من بطن التلة حتى الوادي ، حيث كانت المياه تتجمع في برك متباينة السعة والعمق ، ثم تفيض المياه على حوافي البرك متشرذمة الى جداول متعددة ، ثم تضيق الارض بسبب التضاريس الكثيرة فتتجمع بعض الجداول ثانية وتتوحد زمراً وتشكل شلالات قصيرة ، تتساقط مياهها فوق الصخور ، ويتكرر المنظر الجميل في جنبات الوادي .

نزل غالي منحدراً نحو بركة الماء وقال .

ـ انظري يافهيمة ، ماأجمل هذه البركة ; كأنها مسبح مصمّم باعتناء .

خلع غالي ثيابه ، فسألته فهيمة :

ـ ماذا تفعلون ياغالي ؟ . لم تخلعون ثيابكم ؟ .

ـ نريد أن ننعش اطرافنا ، ونصب الماء على رأسنا بعد التعب .

كانت فهيمة ترتدي ثوباً صيفياً انيقاً ، ينسدل حتى منتصف ساقيها ، فامسكت بطرفيه ونفضته عن بدنها ، والقت به على صخرة قريبة ، فحملق غالي غضباً وقال :

ـ ماذا تفعلين يافهيمة ؟لم خلعت ثوبك وكشفت عن ساقيك ؟ وعن صدرك ؟

ـ احببت ان اقلدكم ، سادلي ساقي في الماء لانعشها بعد التعب .

ـ اخجلي يافهيمة ، هذا عار لا نرضاه .

ـ الا ترضون عن جمال ساقي ياغالي . . انظروا ما افتن قياسيها .

رفعت فهيمة الشلحة قليلاً فوق ركبتيها ، وضمت ساقيها ، وهي تنتظر تعليق زوجها الذي ازداد غضبه فصرخ قائلاً :

ـ اخجلي وانستري ، أنسيت الاقمار الصناعية التي تراقبنا ؟

ـ لَهْ لَهْ . . الشكر لكم لانكم ذكرتموني بوجود الاقمار الصناعية ، حتى انتبه إلى حركاتي ، فاضبطها لاظهر فاتنة أمام المراقبين .

ـ ماهذا الفجور . . ستضطرينا إلى تأديبك يا فهيمة .

ـ لم تؤدبونني ياغالي . . الا يحق لي ان اتمتع بالشعور الذي تتمتعون به قرب الماء ؟ الا يحق لي أن اسكب الماء على ساقي ، واصبه على ساعديّ ؟

- لايحق لك الا في الستر ، انتظري حتى نقيم لك خباء وننقل الماء اليه .

- لقد تخلينا في رحلتنا عن كل مظاهر العصر ، الا نتخلى عن جزء من افكاره اعتبروني في هذه الحياة البدائية ، انثى اي حيوان يعيش مثلنا على الجزيرة ، تستطيع انثى اي حيوان ان تغتسل دون تعقيد كبعلها ، ثم تستطيع ان تستلقي تحت أشعة الشمس لتدفىء بدنها ، وانا بدوري الآن انثى حيوان يدعى الانسان ، اريد ان اسلك في الجزيرة سلوكاً خالياً من القيود ، حراً بعض الشيء ، ما جوابكم يا غالي ؟

- جوابنا واضح يافهيمة . . عندما تغتسل انثى الحيوان وتستلقي تحت اشعة الشمس بحرية . يحق لاي حيوان مفترس ، ان يصطادها ، اكان الصياد حيواناً من جنسها أم كان انساناً .

امالت فهيمة رأسها وقالت :

- لم افهم قصدكم ياغالي ؟

- قصدنا يافهيمة . . اننا اذا رأينا نحن مخلوقات البرية دون تعيين ، انثى الغزال مثلاً ، واشتهينا لحمها لوقعة دسمة ، أو احببنا منظرها والاستئثار بها ، اصطدناها فوراً .

ردت فهيمة معترضة على قول زوجها :

- ماعلاقة ذلك بسلوك المرأة ؟

- سنشرح لك العلاقة . . خلق الله الانسان على أحسن تقويم ، فهو اجمل المخلوقات طرا . . وانثاه جميلة فاتنة ، تحرك الاشتهاء في القلوب ، وتدير العقول . . فهل يحق اصطيادها كأي انثى حيوان في البرية ؟ .

ـ طبعاً لا . . والا وقع اعتداء على حريتها ، وفقد الانسان مثله وقيمه .

رد غالي على زوجته بحزم :

ـ اذن تدبري قولنا واعقليه ، فرض الستر على المرأة خوفاً عليها ، حتى لا تسلب حريتها ، وتنتفي ارادتها بالاعتداء عليها دون اختيارها وارادتها . وستر مفاتنها قيد على سلوكها ، وضنك اهون عليها من بلاء الاعتداء .

هزت فهيمة رأسها مبتسمة وقالت :

ـ جوابكم معقول . . اذن ستر المرأة وتقييد سلوكها من قبيل الخوف عليها لضعفها ، ومن قبيل تفادي الشر .

ـ اكنت تظنينه انتقاماً وتشفياً يافهيمة ؟

ـ لا . . انا خيل إلي احياناً انه غيرة اصلها حب التملك عند الرجل .

ـ انت ذكية وعارفة ، ونحن لا نكذب . . وفي واقع مثل واقعك ، يختلط عندنا الشعوران ، شعور البحث عن الطمأنينة ، وشعور المحافظة على الشيء والاستئثار به ، فنغار على الاشياء التي نحبها ، اذا كانت ملكا لنا ولا نغار على سواها من ممتلكات غيرنا .

سكتت فهيمة لحظة . . ثم سألت :

ـ ماهو موقف الرجل العصري المهذب المثقف ؟ ؟ أينطبق عليه حال الرجل البدائي ؟

ـ نرجوك يافهيمة . . ألا تتفائلي بالرجل المثقف العصري ، وألا تحسني الظن به .

ـ ايعتدي على امرأة وقعت فتنتها في قلبه .

ابتسم غالي وقال : الفرق في الاسلوب بين الرجل البدائي والعصري . .ولكن النتيجة واحدة . يستخدم الرجل المهذب المثقف ، تهذيبه وثقافته ، فيستخدم اصحاب المال اموالهم ، واصحاب النفوذ نفوذهم ، من أجل الوصول الى المرأة في هذا العصر ، وكلها في النهاية اسلحة صيد ، كاسلحة الرجل البدائي غايتها الايقاع بالفريسة تأملي مآسي الاسر في هذا العصر تجديها تفوق مآسي اي عصر مضى ، تفوق احزان النساء المسبيات « السابان » .

انجز غالي كلامه ، ونظر الى ركبتي امرأته واسترسل قائلاً : استري ساقيك بسرعة يا فهيمة ، قبل أن يشاهدها احد المثقفين في محطات المراقبة فيتبعنا متطوعاً الى الجزيرة وغايته اصطيادك .

مدت فهيمة ساقيها في الماء وراحت تتأملها وقالت ضاحكة : سترتها ضمن الماء أترون طرفاً منها يا غالي ؟ ؟ .

حدق غالي مغتاظاً وقال : زادت غوايتك وانت واقفة في الماء ، نسأل المولى أن يرسل لك سرطاناً مائياً ، يعض فتنة ساقيك لتفهمي انئذ مغزى محاضرتنا الطويلة .

ضحكت فهيمة بدلع وقالت : لاتخيفوني ياغالي .

ـ والله لاتخاف المرأة من عزرائيل ، حين تروم شيئاً .

ابتعد غالي غاضباً وجلس في ظل شجرة ، ريثما تترك زوجته الماء . وكانت فهيمة قد دخلت في البركة وكانت تشمر عن فخذيها كلما لرتفع مستوى الماء بين ساقيها حتى ادخلت اطراف الشلحة في لباسها .

وبقيت فهيمة تدور في البركة ، وتضحك ضحكتها المرنانّ المشهورة في ثانويات طرطوس والتي صارت مشهورة في المعهد التقني ،

ولكن برودة الماء الشديدة أثرت على امعاء فهيمة ، فأحست بمغص شديد في اسفل بطنها ، فخرجت من البركة واتجهت نحو غالي وهي تصرخ متألمة :

- غالي غالي . . أصابني برد الماء بمغص معوي شديد ، أحس امعائي تتمزق من الألم ، ساعدوني يا غالي .

اجاب غالي :

- ارتدي ثوبك بعجلة ، جازاك الله عنا .

لبست فهيمة ثوبها وقالت :

- ماذا أفعل الآن . . انا مصابة باسهال شديد .

بحلق غالي بعينيه ، ولم يعجبه وضع زوجته وقال :

- اكتملت الفضيحة . . اسهالك والاقمار الصناعية التي تصورك ، اللعنة على اسهالك وعلى الاقمار الصناعية . . احفظناك من الشبم طوال عمرنا ، لتفضحينا في هذه الرحلة المقيتة .

دارت فهيمة عدة دورات تعبر عن المها ، وضغطت على بطنها وقالت :

- صرت في ضيق وحرج اشيروا عليّ ماذا افعل يا غالي .

رد غالي محتداً :

- انتظري بعض الوقت ، حتى نعمر لك كوخاً صغيراً يستر من الفضيحة .

- ابدؤوا بتعميره في الحال يا غالي .

اندفع غالي ليجمع أغصان الاشجار ليعمر مرحاضاً صغيراً ، ولكن زوجته قالت باستسلام واضح :

- لاتستعجلوا ياغالي .

حرصت اذاعة المعهد التقني على متابعة اخبار الرائدين ، فاذاعت الخبر قائلة :

واصل الرائدان استكشاف جزيرة الميني شوز ، بحثاً عن الماء ، الحاجة الضرورية القصوى لسعادة كل كائن حي . . واستطاعا الوصول الى منابع المياه في الجزيرة بعد عدة ساعات من وصولها . فاستراحا قرب النبع ، وشربا وتمتعا بخرير المياه ، وامضيا زمناً وهما يستمتعان بغسيل اطرافهما العلوية والسفلية بالماء البارد المنعش .

واليكم هذا البيان الهام عن الماء الذي نقلناه من كتاب معالم تاريخ الانسانية للكاتب هـ . ج . ويلز .

وجدت الحياة في بدء تكونها ، حيثما امتد سيف البحر مخترقاً البر ، وسارت تلك الحياة ، في الماء ومع الماء وعلى الماء وبجوار الماء . . وكان الماء موطنها ومثواها ووسطها الذي تعيش فيه ، وكانت حاجة الحياة الى الماء حاجة عظمى جوهرية . لا يستطيع مخلوق ان يتنفس ولا يستطيع ان يهضم طعامه بغير الماء . ونحن نتكلم عن تنفس الهواء ، على حين ان ما تفعله الكائنات الحية هو ان تستنشق الاوكسجين مذاباً في ا لماء . فالهواء الذي نستنشقه نحن انفسنا يجب ان يذاب بادىء بدىء في رطوبة رئاتنا ويجب ان يحول طعامنا الى سائل قبل ان يمكن تمثله .

تشكلت الخلية الحية الاولى في وسط مائي ، وتغذت من الوسط المائي ، وبواسطته ، ويشكل الماء نسبة عالية في تركيبها ، وتطورت هذه الخلية واعطت اشكال المخلوقات المعروفة ، او التي عرفت من آثارها ، او غيرها من المخلوقات البائدة التي يجهلها العلم لاختفاء كل اثر لها . ويقول الدكتور برهام :

وتستمر قوة الحياة في مظاهرها العديدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، بخصائص الماء وصفاته من الوجهتين الكيميائية والفيزيائية . ويرتبط قدر الانسان على سطح الكرة الارضية بقدر الماء . . فتتحكم بهما نواميس ثابتة ، تجلب للحياة الخير والاطمئنان او تصيبها بالضرر وتورثها القلق وتبعد السعادة .

مع تزايد السكان في العالم ، ومع كون الماء مفتاح غذاء الانسان في الوقت نفسه يهيب المعهد التقني ، بكل المؤسسات الرسمية والعلمية بان تولي وجود الماء ، وطرق تحويل المياه غير الصالحة الاهمية القصوى .

ويناشد المعهد التقني الناس في كل بقاع العالم ، الا يتركوا اماكنهم على ضفاف الانهار ، وحول الينابيع ، مهما كان إغراء الصناعة شديداً . تتجلى الحياة الانسانية بتوفر الماء والغذاء ، والثقافة والفنون ، وفيما عدا ذلك مظاهر خداعة ، يجب الا يستدرجنا بريقها الى المدن المكتظّة ، فنضيع اصالة الانسان ، ونستبدلها بممارسات الانسان العصري التافهة .

◆ ◆ ◆

الفصل الرابع

1 - استفاد غالي من الادوات البسيطة التي كانت في الصندوق ، فنشر خشباً ودق ركائز في الارض وصف عليها عدداً من الاحجار وقال لزوجته وهو يعمل بنشاط : لم اصبت بالجمود يا فهيمه ولدينا اعمال كثيرة من الافضل ان ننجزها منذ الآن حتى نرتاح ونستمتع عند غروب الشمس ، حاولي ان تجمعي حطباً لنوقد ناراً في الليل .

قالت فهيمة - اعاقني الاسهال اللعين الذي اصابني ، لا اتحرك حركة صغيرة إلا واشعر بآلام لا تطاق في امعائي ، انقذوا حرمكم المصون من اوجاعها يا غالي .

- كيف ننقذك دون وجود دواء ودون خبرة ولا دراية ، اظننت زوجك جالينوس ام ابو قراط .

- تفاءلت بمعرفتكم التاريخية ، لعلكم قرأتم شيئاً ، كيف عالج الرجل البدائي زوجته من الاسهال .

- أشار الشاعر اللاتيني فرجيل ، الى ان الرجل البدائي تعلم معالجة الاسهال من الخراف التي تلحس الاحجار المالحة حال اصابتها باسهالات شديدة كما تقوم حيوانات غيرها بتناول السعتر او اعشاب غير ذلك .

- ومالعمل برأيكم الآن ؟

ـ سننتظر حتى نجد خروفاً على ظهر الجزيرة ، ثم ننتظر حتى يصاب بالاسهال ثم نتبعه حتى يدلنا على الاحجار المالحة فنقدمها لك لتلعقي منها لعقة أو أكثر .

ـ اهذا وقت المزاح ؟ وزوجتكم تعاني من العذاب الشديد .

ـ تصرفي يافهيمة بحكمة بدل الغنج والدلال .

ـ أتشكون في اصابتي بالمرض ايضاً ؟ .

ـ معاذ الله . قصدنا ان تنهضي بنفسك وتبحثي عن علاجك ألست مختصة بعلم النبات والحيوان ؟ . اذن طبقي معلوماتك على الطبيعة ، الا اذا صار حالك كحال معظم الخريجات ، علومهن في واد وعيشهن بعد الدراسة في واد آخر .

ـ ماذا تريد من وراء قولكم ؟ ؟

ـ نريد أن نبين ان عدداً كبيراً من المثقفات اللواتي قرأن مثلاً عن قطع النزيف ، يرتبكن مراراً قبل أن يتوصلن الى قطع نزيف جرح أصاب طفلهن انهن يتصرفن في الحياة ، كأن علوم المدارس في واد ومعارفها موضوع آخر ، غير علوم الحياة ومعارفها . تبصري تجدي امرأة جاهلة تتقن تربية النباتات في احواض ترابية ، بينما تعجز امرأة مثقفة عن تفسيخ نبات واحد أو تدريكه ، واذا سئلت المثقفة ذات يوم كيف نجحت في الامتحان وأجبتِ عن الاسئلة ، قالت لم يخطر في بالي ان تفسيخ النبات في الكتب هو ذاته تفسيخ النبات الذي شاهدت امي تقوم به وانا صغيرة .

ـ فهمت مرادكم ياغالي . تقصدون ان افتش عن نبات يحوي مادة عفصية واتناول منه قليلاً ، أو أفتش عن نبات التمر هندي أو الهند شعيري أو أي شيء من الاسماء التي كانت تعرفها امي وتعرفها

جلدتي من قبلها .

ـ مرحى لك . . انشطي من ضمن علومك ، حتى لا تأسف المدرسة على اضاعة الوقت في تعليم الاجيال دون طائل .

ـ ساحاول ان افتش عن نبات يفيد اسهالي ويخفف آلامي على الرغم من أوجاعي التي لا تطاق .

نهضت فهيمة وبدأت جولتها في حقل مزين بنباتات متعددة ، ولم تلبث أن سرت كثيراً بمنظر الازهار ، ومشهد الفراشات الجميلة ، فنادت زوجها ليتابع معها انواع تلك الازهار الجميلة المبثوثة من حولها مجاناً ، والتي كان بعضها يكلف غالياً في المدينة .

• • •

ماان بلغت قطع روبير رودان الحربية حوض الجزيرة المائي حتى لقطت الاقمار الصناعية صورها ، فشوهدت اربع زوارق حربية تحوم قرب الشاطىء في انتظار صعود الغواصة التي كانت بعيدة قليلاً وظهر ذيلها مرفوعاً في الهواء ، بينما ظلت بقيتها غائصة تحت الماء ، وكانت كلها مزينة بمنتجات الالبسة الداخلية النسائية بلون وردي من مؤسسة (ر . ر) الماركة المسجلة الشهيرة في جميع انحاء العالم . كما ظهر على جوانبها النجمة السداسية شعار الجيش الاسرائيلي دون وضوح لأن الدهان الذي استخدم في طلائها غير كاف ، حيث لم يجد وطواط فسحة حتى يجف الدهان ويعيد الطلاء ثانية وثالثة ، ولا سيما ان اسرائيل تفخر بنجمتها فتستعمل عند رسمها اجود دهان امريكي أزرق .

شاهد البروفسور شاين والدكتور برهام المنظر واضحاً ، فبدا الارتباك جلياً على وجيهما ، فبقيا صامتين لحظات يحدقان بدهشة الى

القطع الحربية التي تجمعت قرب الجزيرة ، ثم خرج شاين عن صمته متسائلاً : ما رأيك يا دكتور برهام في ما تراه ؟

ـ اشارة مؤسسة روبير رودان موجودة على القطع ، ويوجد شعار النجمة السداسية تموها ، هذه من مخلفات الجيش الاسرائيلي ، انها محاولة جريئة من روبير لتدمير مشروع مراجعة الحاجات .

ـ ماالعمل الآن ؟ ولن يستطيع زورقنا الصمود امام تلك القوى الشرسة التي ستنفرد بالمتطوعين الاعزلين ومعها كل هذا الحشد من السلاح المدمر .

وتابع البروفسور شاين صارخاً بالم : لم يكن العقل الواعي لحقيقته شريراً في حضوره مرة واحدة . فكيف يعجز عن انقاذ الناس الطيبين . . ألا توجد وسيلة لانقاذ الناس الابرياء من القوى البربرية التي تتجمع على هذا الشكل الهمجي .

نظر برهام الى شاين بثبات وكان يفكر بعمق ثم قال باتزان : اهدأ يا بروفسور ولا تفقد السيطرة على اعصابك توجد وسيلة واحدة لانقاذهما من هذه القطع المتوحشة .

قال شاين : قل لي ماهي فوراً ؟ . .

ـ هي ان نتصل بمحطات التلفزة بسرعة ونسمح لها باذاعة برامج مراجعة الحاجات ، سيتراجع روبير رودان في الحال عن تدمير الجزيرة ، لانه يعلم ان معظم شبكات التلفزة في العالم ستشهد جريمته وستصبح الافلام المذاعة وثائق تدينه وتدين اسرائيل لان النجمة السداسية ملاحظة على القطع الحربية .

ـ لااظن اسرائيل ستهتم كثيراً ، ستذيع بيانا تقول فيه ، انهما عربيان من سوريا منتميان الى منظمة تحرير فلسطين ، وقد ذهبا الى

الجزيرة بامر المنظمة لاقامة قاعدة هناك . وانت تعلم ان دولاً كثيرة قتلت أو سجنت عرباً تحت هذا الادعاء ، ويضيع الحق بين ادعائنا وادعائهم .

- يبقى روبير رودان ، الا تظنه يخاف على شهرة مؤسسته ان تصبح ارهابية .

- صارت الفكرة التي رفضناها خلال نقاشنا الاخير هي الحل الوحيد .

- اياك ان تظن ، انني استدرجك للموافقة على مشروع التلفزة واذاعة الاعلانات . رد شاين بسرعة : لست غبياً . . استطيع ان اميز بين الاستدراج والحل . سأوافق على اقتراحك من اجل المتطوعين ، ولكن كيف ستعلم روبير بخطورة ما سيقدم عليه من اجرام على مؤسسته .

- ساتصل به شخصياً ، لاعلمه عن اشتراك محطات التلفزة بنقل الصورة كاملة للمشاهدين في كل انحاء العالم .

• • •

رن جرس الهاتف في مكتب روبير رودان بينما كان روبير يصب ثلاثة اقداح من الويسكي ، ويتحدث مع روزا وتوم عن قرب موعد تدمير الجزيرة واحراق اشجارها بشكل مريع حتى لا يفكر متطوع آخر بالذهاب الى جزيرة الميني شوز .

رد روبير على الهاتف ، فسمع صوت الدكتور برهام يعلن عن اسمه فامتعض لسماع صوته ثم تمالك نفسه وقال :

- هل تنتظر مني ان اكلمك برحابة صدر يا دكتور برهام ؟

ثم امتعض ثانية وهو يسمع برهام يقول له بخبث : اعرف انك

تستمتع الآن بخطتك لانك تظن نفسك في وضع حسن ، ولكني اراهن على انك تخشى من الخبر الذي ساقوله لك .

رد روبير بقسوة : قل ماتريد قله بسرعة ، قبل ان اغلق الهاتف في وجهك .

- اريد ان اعلمك بان محطات التلفزة في جميع انحاء العالم اشتركت قبل قليل ببث برامج مراجعة الحاجات التي تجري على جزيرة الميني شوز .

- انت تكذب لتخيفني يابرهام .

- لايعتمد ذكي على الكذب وحده ليخيفك ، لانك تستطيع ان تتأكد من خداعه بسهولة بمشاهدة التلفزيون حالاً . انصحك بسحب قطعك الحربية فوراً قبل ان ينتبه ملايين المشاهدين الى وجودها قرب جزيرة الميني شوز وعليها تخفق اعلامك وردية اللون ، اسحبها قبل ان تقدم على عمل اجرامي يدمر الجزيرة ويدمر وجودك الصناعي على الكرة الارضية .

احتقن وجه روبير رودان وصار يصرخ على الهاتف : انت تكذب يا دكتور برهام انت كاذب ، وكلامك خداع .

ثم اغلق الهاتف بشدة واتجه نحو التلفزيون قائلاً : اعلمني اللعين عن وجود محطات تلفزيونية تبث برامج مراجعة الحاجات ، سأتحقق من كلامه .

ضغط مفتاح التشغيل ، وبدأ ينقل من محطة الى اخرى ، فشاهد على الشاشة الجزيرة ، ثم ظهرت الزوارق الحربية وعليها اعلام تخفق بشعار المؤسسة (ر . ر) وقد ظهرت النجمة السداسية مرئية من خلال الطلاء الذي لم يستطع اخفاءها تماماً .

وظهر الرائدان وهما يجمعان باقة من الازهار الجميلة وينظران الى بعضهما نظرات الود والمحبة ، واقترب غالي وطوق خصر زوجته وابتسم لها ولثم خدها .

قالت روزا متعاطفة مع المشهد : ماجمل الحب ، اتمنى ان اموت مثلهما سيكون المشهد اكثر اثارة اذا قتلتهما الآن . . سيكون مثيراً لعواطف المشاهدين حتى البكاء ، سابكي موت باترون حتماً وأنا ارى جثة غالي تعانق جثة فهيمة ثم تتطاير الجثتان معاً .

رد روبير بقسوة : اخرسي ودعيني افكر ، ثم التفت الى المستر توم وسأله : ما رأيك في هذا المشهد .

اجاب المستر توم : ستتهمك اسرائيل بتوريطها في هذه المجزرة ، لان وطواط لم يخف شعارها جيداً من القطع الحربية .

قال روبير : هذه مشكلة بسيطة لان اسرائيل لا تهتم بالمحافل الدولية وقادرة على ان تضغط على الولايات المتحدة لتساعدها في تغطية الفضيحة بسهولة ستدعي بانها فدائيان يحضران لعملية ارهابية ضد البواخر في الاطلسي . ولكني خائف من ان يهجم المحرومون في العالم على مستودعاتي ومصانعي لنهبها وحرقها .

نظر المستر توم باستغراب وهو يقول : لم افهم موقفك يا سيد روبير ، كيف تقدم على عملك بجرأة تحت مراقبة الاقمار الصناعية ، ولكنك تخاف بعدما علمت وشاهدت بأم عينك محطات التلفزة تبث البرنامج .

حدق روبير في وجه المستر توم وقال : عندما يتعلق الامر بالسلطة الرسمية فان السلطة تتصرف حسب القوانين ، ويبقى امل في ايجاد حل مقبول ، ولاسيما حين تستر الفضيحة بالاكاذيب . ولكن

القضية تختلف عندما تنكشف الدسائس على الجماهير فينعدم الحل آنئذ ، ولا يبقى غير فرض العقاب لارضائها ، وقد تشترك الجماهير في معاقبة الفاعل المسيء .

قالت روزا : اذن انت خائف الآن من مشاهدة الملايين لقطعك البحرية وهي تدمر الجزيرة .

رد روبير : نعم انا خائف من غضب الجماهير على مؤسساتي ، لأن الجماهير هي القانون في ساعة الغضب ولا قانون فوقها ، ساستدعي قطعي في الحال ، ثم نفكر بطريقة جديدة لقتل الرائدين .

انهى روبير رودان عبارته الاخيرة واتجه فوراً الى جهاز الارسال ونقله قليلاً ليبقى في مواجهة شاشة التلفزيون ويرى ما يجري ،وكانت الزوارق ما تزال تحوم حول الجزيرة ، وما تزال الغواصة على وضعها ، وبدأ يعالج الجهاز ليتصل بوطواط فقال : ر . ر يتكلم افد عن اشارتي حول . . (ر .ر) يتكلم افد عن اشارتي حول .

فسمع صوت وطواط يقول : اني اغرق . . اني اغرق . . وطواط يذيع رسالة من تحت الماء . . حول .

تساءل روبير : اهذا وقت الاغاني ياوطواط حول .

ـ انا لااغني ياسيدي . . اني اغرق . تعطلت الغواصة وبقيت عالقة تحت الماء . . اللعنة على مخلفات الحروب ، والأسلحة المنسقة ، اللعنة اني اغرق حول .

نظر روبير الى الشاشة فشاهد الغواصة تغرق ببطء في مياه الأطلسي فصرخ غاضباً : زاد في الطنبور نغماً ، انحن الآن بصدد ملاحقة المتطوعين ،ام اخراج الغواصة من اعماق البحر ، اعصابي تلفت اكاد اجن . وطواط . . وطواط عد سريعاً . . حول .

شعر وطواط بالغواصة تغوص فقطع الاتصال مع روبير وصاح بقائد الغواصة حانقاً : اللعنة عليك ياكوهين ، حتام ستبقى هذه الغواصة المهترئة تغوص ، اخشى ان تصبح نهايتنا فيها ، هل يكفي الهواء ام سنختنق ؟ . . هل سنهبط الى الاعماق حتى تنفجر بنا أم انها ستصعد من جديد ، اليس لديك جواب واحد على اسئلتي ؟ . .

رد قائد الغواصة ببرود : اسمع يا وطواط ، انا مثلك اعاني من مزاج سيء في هذا اليوم ، لقد عملت في هذه الغواصة في حرب قناة السويس مرتين ، ولم اتوقع ان تحرن معي في هذه الرحلة القصيرة .

ـ هل العطل في الغواصة ، ام انك نسيت كيف تدير محركاتها بعدما صرت عجوزاً .

ـ توجد اسباب كثيرة ، قد يكون اهمها ، وجود نقص في عدد طاقمها ، ساحاول تحريكها ثانية الى الاعلى ، فاذا فشلت وعادت الى الغوص ، غامرنا بالخروج منها وتنتشلنا الزوارق آنئذ .

ـ اتريد ان نغادر الغواصة ونحن في الاعماق .

ـ لسنا في الاعماق ، نحن على عمق عدة امتار من سطح الماء .

تنهد وطواط متحسراً وقال : لاادري لم اعجبت بفكرة وجود غواصة معنا في هذا الهجوم ، كانت الزوارق والقاذفتان كافية .

قال قائد الغواصة مرعوباً : اطلب من الزوارق ان تقترب لتنتشلنا في الحال .

تكلم وطواط بجهاز الارسال بصوت يرتعش : الى قيادة الزوارق . . نفذوا بالعجل ، اقتربوا من الغواصة لاننا في خطر . . اقتربوا بسرعة نحن نغرق .

شرح قائد الغواصة لوطواط كيف سيدخلون في دهليز الدفع ،

ثم يدفعهم تيار هوائي شديد الى سطح الماء . ودخل القائد مع بقية الطاقم ووطواط الذي سأل : متى سنخرج منها ، اللعنة على هذه الغواصة لا تعرف سوى الغوص . فأجاب القائد : ستنفتح الكوة وحدها حين يصبح ضغط الهواء كافياً ، وستجد نفسك مندفعاً عبر الماء نحو السطح في ثوان . ولكن وطواط بقي مرعوباً وقال : ماذا يحدث لنا اذا لم تنفتح الكوة . رد قائد الغواصة بسرعة : يحدث لنا ما يحدث لاي مظلي قفز من الطائرة ولم تنفتح مظلته : صرخ وطواط : افعل شيئاً . فاجاب القائد : فعلت . . خذوا نفساً عميقاً .

فتحت الكوة ، واندفع وطواط مع البحارة والقائد عبر الدهليز ، ولم تمض ثوان حتى وجد نفسه على سطح الماء ورأى السماء ، واسرعت الزوراق وانتشلتهم بالعجل .

• • •

شاهد روبير جانباً من انقاذ وطواط ، لأن الاقمار الصناعية كانت تبتعد وتلف فيختفي المنظر ، او يظهر الرائدان على الشاشة . وكانت فهيمة قد عثرت على شجرة عفص وقطفت ثمرة وتناولتها بفمها وراحت تمضغها وتشكو من مرارتها وطعمها السيء ، بينما عثر غالي على مجموعة من قصب السكر تغطي بقعة صغيرة ، وشاهد الى جانبها بقعة ثانية مغطاة بنبات الذرة الصفراء ، فصرخ غالي : تعالي فهيمة يوجد لدينا قصب السكر تعالي وبدلي مرارة فمك بمصة او مصتين من اليافه .

اقتربت فهيمة من غالي الذي قطع قناة من قصب السكر وقدمها لزوجته التي راحت تنهشها وتبدلت اسارير وجهها . وقال ما اكرم الطبيعة وهبتنا اكثر مما نستحق لحياة ممتعة سعيدة ، ولكن الانسان

اشقانا بجشعه واستهتاره .

ظهرت القاذفتان في سماء الجزيرة ، وقد اتى صوتهما ضعيفاً في البدء فقال غالي : نسمع صوت طائرة في السماء ، احقيقة توجد طائرة في السماء أم يخيل لنا ذلك ؟ . .

قالت فهيمة : سمعته ضعيفاً من قبلكم ، فشككت بسمعي ولكن الصوت واضح واظنه دوي طائرة أو اكثر .

قال غالي : لم يعد للشك مطرح ، هاهما طائرتان تحومان فوق الجزيرة كانهما تبحثان عنا ، اتراهما مرسلتان من قبل المعهد التقني . سنخرج من حقل القصب الى تلك البقعة المكشوفة ونلوح لهما .

خرج غالي من مكانه بين القصب واتجه الى تلك البقعة العراء ، وصار يلوح بيديه ، منبهاً الى وجوده ، ثم خلع قميصه ولوح به ايضاً . واكتشفت احدى القاذفتين وجوده ، فبدلت من اتجاهها فوراً ، وانقضت مستهدفة اياه ، وصار منظرها وهي منقضة مرعباً ، فخاف غالي وصرخ بملء صوته : اختبيء بسرعة يا فهيمة . . اختبيء ، قبل ان يقتلك .

اطلقت الطائرة رشاشها في اتجاه غالي ، واطلقت صاروخين في هذا الانقضاض ، ولكن غالي استلقى ارضاً خلف صخرة قريبة ، ووضع ذراعيه على رأسه يحميه من الشظايا التي تطايرت في كل اتجاه من الانفجارين الشديدين ، وبدأ يقرأ الصمدية ويرددها : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، باسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد .

سمعت فهيمة صوت غالي وهو يحذرها ، فخافت وارتعشت ولم تعد رجلاها قادرتين على حملها ، فوقعت بين نبات القصب واختفى

جسمها . وصارت تقرأ بدورها قائلة : اللهم اجعلها بردا وسلاما على قلب ابراهيم .

مرت لحظات الرعب ، وابتعدت الطائرة ، وتهيأت الثانية للانقضاض على تلك البقعة وتفريغ حمولتها من الصواريخ وجعلها ارضاً محروقة .

* * *

وقفت روزا لاهثة الانفاس في مكتب روبير رودان وقالت : يبدو ان وطواط لم يسمع امرك الاخير مون باترون ، جدد الاتصال به قبل ان تقع الكارثة التي تخشى منها .

أنّب روبير روزا قائلاً : أتتقدين ادارتي بدورك ، تفضلي اجلسي مكاني . واتجه نحو جهاز الارسال يعالجه محاولاً الاتصال بوطواط ، واحتقن وجهه وهو يكرر : روبير رودان يتكلم افد عن اشارتي حول . . روبير يتكلم افد عن اشارتي حول .

جلست روزا وكتمت أنفاسها ، ونظر في اتجاهها المستر توم وظل صامتاً خوفاً من غضب روبير رودان ، وظهرت الزوارق وهي تقترب من الشاطىء لتقوم بانزال على البر ولقطت الاقمار القاذفتين ، وكانت الثانية تركز اهدافها قبل الاطلاق وتتشاور مع الزوارق ، حين تم الاتصال بين روبير رودان ووطواط الذي سمع صوته يقول : وطواط يتكلم بدأنا غزو الجزيرة والحملة في اوجها ونحن منتصرون افد عن اشارتي حول . فقال روبير : اوقف الحملة وابتعد فوراً عن منطقة العمليات وعد الى المكتب باقصى سرعة ممكنة . . حول . قال وطواط : حاضر سيدي .

دارت القاذفة دون ان تطلق ، وارتفعت في الفضاء وتبعتها

القاذفة الثانية بينما انسابت الزوارق على وجه الماء متجهة في الاتجاه المعاكس ، ولم تعد الاقمار الصناعية تلتقط صور القطع البحرية . ولكن المشاهدين بقوا امام شاشات التلفزيون ينتظرون رؤية غالي وفهيمة .

2 – عادت الطيور تغرد في الجزيرة ، وخرجت الحيوانات من اوكارها ، ولكنها ما زالت حذرة ان تعود تلك الاصوات البشعة الماحقة التي صنعها الانسان ، والتي لم تعرفها الجزيرة من قبل لانها كانت خالية من نوعه . ولاحظت فهيمة السكون ثم سمعت اصوات الطيور ، فاستجمعت رباطة جأشها وخرجت من مكمنها حذرة مترقبة كالحيوان ، ولما لم تجد ما يثير فزعها بدأت تصرخ : غالي . . غالي . . الويل لك يا فهيمة اتراه اصيب . . ابعد بالشر . . اين انتم يا غالي . . اسمعوني صوتكم . . لا تتركوني وحيدة على الجزيرة .

سمع غالي صوت فهيمة فناداها بصوت واهن ، فهرعت اليه ، فوجدته خلف الصخرة متكوماً على نفسه حاضناً رأسه بين يديه ، فانحنت عليه وصارت تقبل يديه ورقبته وظهره واكتافه وهي تقول : اسمكم غالي وانتم « غالي » على نفسي كثيراً ، شعرت للحظات بخوف اشد من خوفي من الغارة . لقد انخلع قلبي حتى سمعت صوتكم .

رفع غالي رأسه فاحتضنته ، ووضعت خدها على خده وانسابت عبراتها فقبلها غالي قبلاً على عينيها ووجهها وفمها وضمها وندت عنه آهة الم ، فقالت فهيمة : هل انتم مصابون يا غالي ؟ ؟ .

رد غالي : لا اظن بوجود اصابة ، ولكنها رضوض لحقتنا من القفزة السريعة على الارض .

ـ جربوا ان تحركوا اطرافكم بهدوء .

مد غالي رجليه ثم وقف فتحقق من سلامته ، فيما عدا رض اصاب ركبته فهي تؤلمه قليلاً اثناء الحركة . سارا معاً وسألته فهيمة : لقد نجونا من الثالثة ولكن من تراه رام قتلنا .

اجاب غالي : لاتسألينا تعطل عقلنا عن التفكير ، صبر جميل وبالله المستعان لا ندري كيف سنصير في نهاية الرحلة . . هيا نجمع شيئاً من قصب السكر وشيئاً من عرانيس الذرة ، ونعود الى مكاننا حيث تركنا المذياع وسنعرف طرفاً من الحكاية .

ـ هل تظنون ياغالي بقيام العدو بغارة ثانية على الجزيرة .

ـ لانستطيع ان نجزم قبل سماعنا تفسيراً للغارة الاولى .

• • •

ثبت غالي الراديو على محطة مونت ماربيا التي كانت تذيع اغان منوعة ، وانصرف الى انجاز المرحاض ، وبقيت فهيمة قريبة منه ، وانصرفت الى اشعال النار وتهيئة عرانيس الذرة ، كما جمعت قطعاً من البطاطا التي وجدتها في التراب .

سأل غالي زوجته : ماذا كنت تفعلين لو بقيت وحيدة في الجزيرة .

ـ أدامكم الله ياغالي . . لا تذكروا حالات بشعة مقيتة . لو حدث مكروه لكم كنت ساضطر الى طلب النجدة من المعهد التقني ، وقد انصرف ذهني الى القبطان الذي اعجب بي ووعدني بزيارة الجزيرة .

ـ اهذا هو الوفاء لزوجك يا فهيمة ، يموت زوجك ، فتستقبلين القبطان ، فجعنا بحبك لنا مع الاسف الشديد .

ـ الوفاء ياغالي ، يتم عندما اكون في بيتي آمنة مطمئنة ، ومن حولي مئات العرسان ، فاني انتظر حين ذاك سنة أو اكثر حزناً عليكم ، واقلب الرأي بين ان اتزوج بعدكم أم لا . أما وأنا وحيدة في هذه الجزيرة ، ولا من انسان يساعدني ، او يسمعني كلمة حنان ، فلا عتب علي اذا انصرف ذهني فوراً الى الربان الذي اوصلنا بزورقه وافرغ في اذني عباراته الرقيقة .

ـ سامحك الله ، ماأشد هلع الانسان وماأشد جزعه في الشر ؟ .

صمتت الاذاعة عن اذاعة الاغاني واعلنت عن وجود اخبار جديدة وصلت عن طريق الاقمار الصناعية ، وافتتح المذيع النشرة بقوله : يتمتع الرائدان بصحة جيدة على جزيرة الميني شوز .

اردف قائلاً : قامت اربعة زوارق حربية وغواصة بالانتشار حول ساحل الجزيرة وحلقت قاذفتان في السماء ،قامت احداهما بالانقضاض على الجزيرة وضربتها بصاروخين ، وفتحت نيران رشاشاتها على الرائدين الشهمين العظيمين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة اللذين خرجا من الغارة منتصرين ، وباءت الحملة القذرة بالفشل ، وحين حاولت المجموعة الانسحاب ، وقع اضطراب في صفوفها فاصطدم الزروق بالغواصة وغرقت الغواصة ، وانتشلت الزوارق طاقمها . وقد لوحظت شارة جيش الدفاع الاسرائيلي على كل القطع وهي النجمة السداسية . وما زلنا في انتظار بيانات اخرى عن الحادث .

نظرت فهيمة بدهشة في وجه غالي وهما يستمعان قرب الراديو الى نشرة الاخبار التي جاءت مفاجأة غير متوقعة ، مما جعل فهيمة تتساءل : ماذا تقولون يا غالي هل دخلنا في حرب مع اسرائيل ؟ .

ـ نحن لم نشاهد سوى القاذفتين ؟ . . ولاندري هل كان حول الجزيرة هذا الاسطول من الزوارق الحربية وغواصة ؟ ؟ .

ـ دعنا نستمع الى اذاعة اسرائيل .

ـ سنستمع اليها حين يحين موعد نشرة اخبارها ، تعالي نتناول بعض الطعام فقد تعطل عقلي عن التفكير ، واشعر باحساس بالجوع فقط .

3 – وجم روبير رودان من النتائج السيئة التي وصل اليها ، وازداد وجوماً حين سمع اخبار الميني شوز . وادرك ان برهام تجاهله وركز على اسرائيل ليحرج وضعه مع الموساد فتتخلى عن مساعدته وتخرج من المعركة ، لان اسرائيل غير مهتمة مباشرة بمشروع الميني شوز فقال بحنق : اللعنة على برهام ، لقد افشل مخططاتي مراراً ، ولولا خوفي من انتقام المعهد مباشرة مني لقتلته قبل المتطوعين .

تنحنح المستر توم وقال وهو يعد كلماته خوفاً من اثارة روبير الذي بانت الحسرة في عينيه : دعنا نسترح مسيو رودان ، ربما تتضح المواقف ، فنعمل آنئذ على ضوء الواقع ، هل تسمح لي بالانصراف ؟ .

قال روبير بقسوة : لا لن اسمح لك . . اجلس في مكانك . . ولا تغادره دون اذني .

رد المستر توم بلطف : تذكر يا مسيو روبير ، انني اساعدك كصديق ولا سلطة لك علي ، لست موظفاً عندك في مؤسستك . ولاتنسى ان زوجتي وصلت البارحة وعلي أن الازمها .

بقيت روزا صامتة ولم تجد ما تقوله ، بل سمعت روبير يقول : كان اشرف لك ان تكون موظفاً عندي ، من متابعتك لروزا ، انا لم

اوك تحترم زوجتك بتاتاً في غيابها حتى اصدق حرصك عليها .

سأل المستر توم : أتتعمد اهانتي سيد روبير ؟ .

روبير : انا لااتعمد اهانتك ، انما احببت ان أنبهك الى واقعك المخادع لتتعاون معنا دون غناج . . فكر في طريقة مثالية نقتل فيها المتطوعين دون حرج امام مشاهدي التلفزيون .

صمت المستر توم . ووجدت روزا الفرصة مواتية لتدخلها في الحوار ، فاقتربت من توم وقالت : ارجوك حضرة المدير ، نفذ ما يطلبه منك مون باترون ، لنبقى معا سيتعسني فراقك ، انقذ حبنا العظيم .

اجاب توم : لااريد ان اتخلى عنك ، ولكني استصعب قتل انسان .

قال روبير : لن تقتل احداً بيدك ، ستضع الخطة وينفذها وطواط ، ثم ننصرف كلنا معاً لاقتناص الليالي الملاح .

قال توم : يجب أن يتم القتل باسلوب يجعل موتها طبيعياً ناتجاً عن كوارث الجزيرة نفسها ، كانهيار جرف من الصخور عليها ، أو سقوطها في حفرة بطريقة لا تثير شكوك المشاهدين ، سافكر لك في وسيلة جيدة تسرك وتقضي عليها وتكون سهلة التنفيذ .

ابتسم روبير وقال : انا واثق من مهارتك .

قال توم : هل تسمح لي بالانصراف للقاء زوجتي .

قال روبير : لامانع عندي ، ولكني افضل ان تسأل روزا ، فهي اولى مني بان تسمح لك .

ابتسمت روزا وقالت : هل انسب لك ان تفكر في وضع الخطة بحضور زوجتك او تجد من الانسب ان أكون برفقتك .

ابتسم المستر توم وقال : افضل رفقتك لتنشيط تفكيري ،

ساغيب عند زوجتي الحد الادنى من وقت الواجب ، ثم اهرع اليك لنفكر سوية ونضع افضل خطة .

♦ ♦ ♦

الفصل الخامس

1 - « غالي . . ياحبيبي غالي . . ياغلى ما عندي يا غالي » .

نادت فهيمة زوجها بكلمات رقيقة ولم تكن تريد منه شيئاً إلا ان تسمعه خوالج نفسها فنظر اليها وقال : دعينا نعود الى التفكير في حالنا بعدما تناولنا طعاماً يمسك علينا رمقنا . . من يصدق يا فهيمة ان نهاراً واحداً لم ينصرم بعد على وجودنا في الجزيرة ، ومع ذلك توجد فئة من العالم تتمنى لنا الهلاك ، سنذوق الاهوال ساعة بعد ساعة حتى يعسعس الليل ويتنفس الصبح .

ـ أتتحسرون على فقدنا بيتنا القديم الآمن في أرواد .

ـ نتحسر على عيشنا السابق في سوريا ، الذي كنا نمارسه بمثالية دون انتمائنا الى مشروع مراجعة الحاجات ، كان عيشنا السابق بواقعه البسيط قريباً من مشروع مراجعة الحاجات . فنحن في سوريا لا نلوث البيئة ولا نستنزف الطبيعة ولا نزيد في الاجرام .

ـ كنا غير راضين عنه .

ـ كنا غير راضين عنه حتى فقدناه ، وفقدنا بعضاً من مشاعرنا الطيبة ، ولا ندري ما سنفقد من احاسيس الانسان العفوي قبل انتهاء المرحلة .

ـ احبكم ياغالي . . وأتمنى ألا يفقد احدنا الآخر ، ضموني

يا غالي الى صدركم حتى اتأكد من رغبتكم الصادقة فيّ ، كرفيقة طريق وحبيبة عمر وزوجة عيش .

ـ تعالي يافهيمة الى احضاننا ، اصدق عبارة قلتها منذ وصولنا ، هي انك انثى حيوان يدعى الانسان ، ولكنه يحمل عقله امانة تنوء دون حملها الجبال ، ولذا فان انثاه اشد تمسكاًبالحياة منه .

ـ ضموني بمشاعركم ياغالي دون كلام ، ضموني بحنان نظراتكم ، بلهفة رغبتكم الجامحة ، ضموني بلمسات اصابعكم القاسية ، ضموني ضموني . . وعانقوني وقبلوني على ثغري وعنقي ووجنتي ، لأن هذه اللغة هي اقدم اللغات بين الرجل البدائي وامرأته بين الحبيب والحبيب ، في كل آن ، وهي اللغة الاقرب الى طبيعتي ، الاسهل على فهمي .

ردد غالي اسمها « فهيمة فهيمة . . حبيبتنا فهيمة » وصار يقبلها حيث قالت وفي مواضع لم تطلب ان يقبلها منها ، وكانت فهيمة تبيح له عنقها وصدرها وابطيها وهي تنادي بنشوة وبصوت ندي « غالي غالي » .

• • •

ازدادت محبة المشاهدين للرائدين ، وهم يتابعون عاطفتها الجياشة وكان المسيو شارل يتابع حرارة اللقاء بينها ، وهذا الفيض الدافق من الجاذبية بين شفتي غالي وشفتيها ، بين اصابعها وعنقه ، بين رأسه وصدرها . . لقد تمنى لقاء مماثلاً بينه وبين انثى تخصه وحده منذ ولادتها حتى لقائها ، فانهمرت عبراته من عينيه ، وهو يتابع : « بول وفرجيني » جديدان في جزيرة معزولة ، مهددان بالقتل .

بدأت الاتصالات المكثفة من باريز ، من محطات التلفزة ، ومن

جميع انحاء العالم ، ومن الشركات ، ومن المشاهدين ، ودونت آلات التسجيل طلبات متعددة واسئلة ، فاصدر المسيو شارل تعلياته الصارمة ، واسرع الى المعهد التقني ليقابل الدكتور برهام في مكتبه ويقول له : فتنتني يا رجل ، واتلفت اعصابي .

ـ ماذا تريد يامسيو شارل ؟ .

ـ تركت الاذاعة مرغماً لألقاك واحمد حظي انني وجدتك . يجب أن تبقى الى جانبي بعد الآن ، او ترسل موظفاً موثوقاً من قبلك لينوب عنك .

ـ انا استمع اليك ولكنك لم تذكر السبب بعد .

ـ حتى توقع العقود المنهالة علينا ، من محطات التلفزيون في جميع انحاء العالم . يطلبون حق التسجيل واعادة العرض متى شاؤوا . ستفوق ايرادات المعهد المائة مليون من مسلسل الميني شوز .

ـ أما زلت تسميه مسلسلاً ؟ .

ـ وصل مسلسلك القمة في الساعات الاخيرة ، وشد ملايين الناس في العالم ما أروعه من مسلسل ، غواصات وزوارق وطائرات ، ثم ذلك المشهد الغرامي الرائع المتقن بين ممثلك الدكتور غالي ، وممثلتك الدكتورة فهيمة ، قل لي كيف عثرت على ممثلين يتقنان التمثيل بمثل هذه الروعة ، سبقتم اعظم الشركات السينمائية في العالم .

ـ هل بدت لك المشاهد مرتبة من خلال قصة وسيناريو وحوار ، يقوم المعهد التقني باخراجها على الشاشة .

ـ هنا تكمن الروعة ، خيل إلي مراراً ، والقصة تنساب امام عيني بانسجام بالغ كأنها قصة حقيقية ، تعاطفت مع المتطوعين ، وتركت عملي وانجذبت الى الشاشة ، ولكن الهواتف المتكررة

والبرقيات المتعددة والتلكس والفاكس وكل الاجهزة التي كانت تقطع استغراقي لتعرض علي عقوداً من كل لون ، صار مسلسلك مقصوداً اكثر من اية مادة غذائية ، اهنئك من اعماق قلبي على هذا النجاح الباهر . هل ستوقع العروض فوراً ؟ .

- انا على استعداد لتوقيع العقود بعدما استمع الى بيان اسرائيل .

- متى سيصدر البيان ؟ ؟

- انتظرنا بيانها في نشرات سابقة دون جدوى ، وارجو ان نسمعه في نشرة الاخبار المقبلة . ساتصل بك فور اذاعته . تابع بث اخبار الرائدين واعلانات المعهد التقني ، وابلغنا ما يصلك من المستمعين .

2 – برنامج الميني شوز من اذاعة مونت ماريا ، اذاعتك المفضلة ، الخبر السريع والرأي الصريح ، والحقيقة الناصعة .

القناعة كنز لا يفنى ، كنز النفس الآمنة المطمئنة ، اقنعوا بالتخلي عن مظاهر العصر البراقة ، وتمسكوا بقيم الانسان الحقة ، تساهموا في ابعاد كارثة التلوث ، وتخففوا من تزايد الاجرام والتسلح في العالم .

مشروع مراجعة الحاجات مشروع رائد ، يضع حداً للجشع ويشجع الانسان الطيب على ممارسة حضوره من خلال الثقافة والفنون والفكر الحر ، وتصبح متعته مع انثاه سعادة تفوق حد الوصف ، كمتعة المتطوعين الرائدين التي شاهدناها في جزيرة الميني شوز .

وحتى تصلنا انباء جديدة ، اليكم مستمعي الاكارم اغنية المطربة ليلى مراد (الجورايق وصافي) .

● ● ●

انتظرت اوساط كثيرة بيان اسرائيل عن الحوادث التي وقعت قرب جزيرة الميني شوز وعلى ظهرها ، وكانت السرعة في اذاعة الخبر من وجهة نظرها عادة في اعلامها ، لعلمها ان المبادرة الاولى في اعطاء الخبر كسب مهم يسمح لها بتوجيه افكار المستمع حسب رغبتها ، مهما حمل في طياته من نقص أو تحريف او تضخيم .

اشرف جهاز الموساد على تنفيذ العملية لحساب مؤسسة روبير رودان ، وقبضت وزارة الدفاع كراء الاسلحة المنسقة بالملايين واقتطع العملاء عمولاتهم وغرقت غواصة فوقعت مشادة عنيفة بين كل الاطراف المعنية بالحادث ، حيث يصعب الاعتراف بتأجير اسلحة جيش الدفاع وضباطه المتقاعدين الى جهة ارهابية ، فتأخرت صياغة البيان الذي جاء اخيراً حسب توقعات عدد كبير من الاوساط التي شاهدت آثار النجمة السداسية على القطع البحرية . جاء فيه : قامت وحدات من جيش الدفاع الاسرائيلي الباسل مؤلفة من غواصة وقاذفتين واربع زوارق حربية ، بعملية تطهير واسعة قرب جزر الكناري ، استهدفت مجموعة من المخربين التابعين لمنظمة تحرير فلسطين . . كانت غايتها القيام بعمليات ارهابية ضد البواخر المارة من ذلك القطاع ، وذلك بزرع الغام في طريق مسارها وقد اعترف قائد المجموعة قبل وفاته بانه تلقى امراً بتوجيه ضربات شديدة الى بواخر الشحن الامريكية قبل الالتفات الى غيرها من بواخر الشحن .

وتابع البيان قائلاً : كانت المخابرات الاسرائيلية قد اشتبهت بزورق غادر ميناء سريا على الساحل المغربي وقامت بتحقيق عنه ، اكد لها وجود الغام مضادة للسفن في مخزنه ووجود عدد من المخربين على ظهره ، فتابعته الزوارق البحرية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي وقد

اضطرت للتمويه ، حتى لا يشتبه الزورق بها ، فمسحت النجمة السداسية بالدهان المتوفر لديها ، وعلقت مجموعة من البسة النساء الداخلية التابعة لمؤسسة روبير رودان كشعار لها .

لاحظ الزورق متابعة الزوارق له ، ففر مبتعداً عن جزر الكناري الاسبانية ، ووصل قرب جزر مديرة ثم لجأ الى جزيرة الميني شوز ، حيث اطبقت عليه زوارقنا ، وغواصة تابعة لسلاحنا البحري ، وانضمت قاذفتان بعد ذلك ، وقد اصيب الزورق اصابات مباشرة وانفجر انفجاراً مروعاً ، وتمكن مخربان من الهرب واللجوء الى جزيرة الميني شوز ، فتصدت لهما احدى قاذفاتنا وامطرتهما وابلاً من رشاشاتها ، واطلقت عليهما صاروخين ، دفناهما تحت رمال وصخور الجزيرة . وعادت كل قطعنا الى قواعدها سالمة ، فيما عدا الغواصة التي اصطدمت بلغم كان الزورق المخرب قد تركه في حوض الجزيرة ، فانفجر اللغم واصيبت الغواصة اصابة طفيفة ، مما اجبر طاقمها على اللجوء الى الزوارق .

وتؤكد وزارة الدفاع الاسرائيلية ، انها غير معنية بالمتطوعين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة ، وهي لم تتقصدهما حين قصفت جزيرة الميني شوز ، وانما كان جيشها كعادته يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه القيام بعمل تخريبي .

كانت خسائر المخربين زورقاً حربياً وسبعة اشخاص بقيادة المخرب عبد الحميد كامل الذي انتشلت الزوارق جثته حين طفت على وجه الماء ووجدت في جيبه اوراقاً تدين منظمة التحرير ، اما عن خسائرنا فلا شيء على الاطلاق ، سوى غواصة منسفة .

وقد قام السفير الامريكي ومعظم سفراء الدول الاجنبية

بالاتصال بوزارة الدفاع الاسرائيلية وتهنئتها على هذه العملية الناجحة في صد الارهاب وقمع العنف .

• • •

اغلق غالي المذياع ، وضحك بصوت عال فسألته زوجته : هل انت مسرور لأن اسرائيل اعترفت بالعملية .

اجاب غالي : اطمأن قلبي لاننا لن نجابه غارة ثانية بمثل هذا العنف يا فهيمة ثم أردف : هيا بنا نفتش عن كهف مريح ، نبيت فيه ليلتنا الاولى على الجزيرة .

ضحكت فهيمة وقالت : أترانا نجد كهفاً بخمسة نجوم يا غالي .

• • •

ضحك الدكتور برهام بعدما استمع الى البيان الاسرائيلي واسرع يتصل بالمسيو شارل ويقول له : ارسل لي العقود فانا موافق على توقيعها كلها . ثم نهض متجهاً نحو مكتب البروفسور شاين وقال وهو ما يزال يضحك حبورا : ابشر يا بروفسور شاين لقد مرت اقسى محنة جابهتنا منذ قيام حركة الميني شوز ، لقد انقذتنا عجلة وطواط التي حالت دون اختفاء النجمة السداسية ، وجهل اكثر المعنيين بقدرتنا على تتبع الاقمار الصناعية .

ـ هل تتوقع ان اصفق لك اعجاباً ، ولم اسمع من اذاعة المعهد التقني ، حتى الآن استنكاراً واحداً للاعتداء ، ويبدو انك غير عازم على فضح تناقضات البيان الاسرائيلي .

ـ ولم افعل ذلك ؟ مالي ولبيان اسرائيل بعدما ضمنت عدم تدخلها ؟ . ان منظمة التحرير اولى من المعهد التقني بتكذيب البيان .

ـ لاتنسى ان اهم مبدأ من مبادىء الميني شوز هو الصفاء النفسي ولا يقوم الصفاء النفسي في اعماق الانسان بالتزوير والتحريف ، بل يقوم على المصارحة والمكاشفة ، يقوم على نهج صادق ، ولا يقوم على التضليل والخداع . . دعنا نتصل بمنظمة التحرير ونزودها بالوثائق والمعلومات المتوفرة لدينا على الاقل .

ـ لااوافقك يابروفسور على جرنا الى هذا الاتون ، ونحن ما زلنا عاجزين عن حماية شخصين اثنين يعملان معنا .

ـ ساتصل بنفسي بجهات كثيرة واطلب منها حماية الرائدين بدلاً من الخضوع الى واقع مزور مهلك .

ـ انصحك الا تضيع وقتك ، لاننا عجزنا عن حماية الرائدين وهما في كنفنا وفي مدينتنا ، نعم عجزنا عن تأمين الراحة لهما ، فما بالك الآن وهما بعيدان في جزيرة غير تابعة لاي بوليس في العالم ولا لاية قوة نظامية رسمية .

ـ سألجأ الى هيئة الامم المتحدة .

ـ لن تستفيد حتى تعترف هيئة الامم بمجتمع الميني شوز ، وهو امر يحتاج الى اثبات وجود ذلك المجتمع قبل الاعتراف به .

ـ هل نتركهما عرضة لأي معتد دون حماية ولا رقابة .

ـ فعلنا جهدنا ، وواقعهما الآن كواقع اي شعب صغير غير معترف به دولياً يحق للقوى الكبيرة ان تفعل به ما تريد ، حتى يثبت وجوده ، ويعترف له المجتمع الدولي بالحقوق ، وحتى بعد الاعتراف به ، قد تجبره الدول الكبيرة على نصوص معاهدات تعيده الى حظيرتها .

بان الحزن جلياً على وجه شاين وقد فهم شروح برهام للقانون

الدولي فقال : ما أشد بؤس الانسانية في عصر التبجح الحضاري ، كانت شعوب كثيرة اكثر سعادة لانها في عزلة في امكنة نائية ، ولكن الآلة الحربية التي صارت اشد فتكاً من السيف صارت قادرة على الوصول الى ابعد مكان في العالم .

ادرك برهام عميق حزن شاين فحاول ان يسري عنه قليلاً بعبارة اخيرة فقال : لا تشغل بالك يا بروفسور ، مبدأ الانسانية قائم على الغيرة والمحافظة على الموجود ، ولذا تجد الانسانية تفرط في الحالات العصبية بغير المعترف به ضحية للمعترف به .. هل استوعبت المعادلة ؟ ؟ .

- استوعبتها ، وصار من واجبنا ان نعمل ليلاً ونهاراً ، حتى نثبت للناس وللمجتمع الدولي وجود حقيقة مجتمع الميني شوز .

• • •

استمع روبير رودان الى البيان الاسرائيلي ، وادرك من البيان ان اسرائيل قطعت علاقتها به ، وانه لم يبق له سوى التشبث بمدير المعهد التقني ليحقق امله في تحطيم مشروع مراجعة الحاجات .

اتصل روبير بروزا فوراً ليتأكد من وصول المستر توم ، ولكن روزا ردت عليه واعلمته انه لم يصل بعد ، فطلب منها ان تحضر جواً مثالياً في غرفة نومها ، وان تتأكد من عمل الكاميرات واجهزة الفيديو ، فقد تلزم الصور الفاضحة للضغط على اعصابه ليتحرك في المعهد بجراة ويحد من سيطرة برهام ويضع المشروع تحت اشرافه مباشرة .

فقالت روزا : اطمئن مون باترون ، كل شيء جاهز لفلم رائع ساخن .

عاد روبير يستمع الى اذاعات اخرى فاستمع الى برقيات تأييد من مؤسسات شعبية ، اعلنت عن وقوفها الى جانب مشروع الميني شوز ، ولاحظ ان الاذاعات الاجنبية كلها اذاعت بيان اسرائيل مفصلاً في نشراتها ، مما اعطاه قوة تأثير على الرأي العام العالمي ، وجعل مهمة منظمة التحرير صعبة للغاية لنفيه لإزالة اثره من اذهان الناس إلا اذا حصلت على الوثائق الموجودة في حوزة المعهد التقني ، لانها الوحيدة التي كانت ترصد العملية بدقة اثناء بث الاقمار الصناعية ، فاتجه الى اذاعة مونت ماربيا وبرنامج الميني شوز ليتأكد من موقف المعهد التقني .

لم يفاجأ روبير رودان حين سمع المذيع يتلو العبارة الاخيرة من البيان ويقول : وقد استنكر البيت الابيض هذه المحاولة الارهابية الآثمة للقضاء على سفن الشحن في العالم التي تشارك في تأمين المبادلات الاقتصادية وتحقيق الرخاء والرفاه لكل الامم . وقد اوعزت الى كل مؤسساتها في العالم بعدم التعامل مع منظمة التحرير او اجراء اي حوار من اي لون معها .

واسترسل المذيع يقدم اخبار الرائدين فقال : تناول الرائدان الدكتور غالي والدكتورة فهيمة اول وجبة طعام على سطح الجزيرة ، وكانت الوجبة مؤلفة من بطاطا وذرة صفراء وبعض الفواكه التي عثروا عليها ، وانتقل الرائدان للبحث عن مكان يبيتان فيه ليلتهما الاولى ، فوجدا كهفاً ونقلا اليه كمية من الاغصان والاعشاب الطرية ، وجلسا امام الكهف يشاهدان منظر غروب الشمس البديع في الجزيرة ، وظهور القمر الذي ما يزال في نهاية الربع الاول ، وقد دخلا الى الكهف قبل قليل ، نتمنى لهما ليلة سعيدة ، ونوماً هادئاً في ذلك

الكهف . . ونهديها هذه الاغنية للمطرب محمد عبد الوهاب « عندما يأتي المساء » .

3 – على ضوء البيل الخافت الذي كان مع ادوات الصندوق ، وعلى الحان اغنية عبد الوهاب التي صدحت في الكهف ، استلقى الدكتور غالي والدكتورة فهيمة جنباً الى جنب يتبادلان وسواس المخدة . فقالت فهيمة : هل استمعتم الى تمنيات المذيع لنا ليلة سعيدة ونوماً هادئاً يا غالي .

- استمعنا . . ليت المذيع معنا الآن في هذا الكهف ليتمتع بالليلة السعيدة والنوم الهنيء .

- نسي ان يقول لنا ، تصبحان على خير .

- لم ينس بل تجاهلها ، لعلمه باننا لن نصبح على خير في هذا المكان .

- تفاءلوا بالخير تجدوه .

- كيف نتفاءل ونحن في كهف ، لاندري هل هو مأوى للسباع او لوحوش الطير .

- لاتخيفوني ياغالي . . ايمكن ان يكون الحال كما ذكرتم .

- كان الانسان القديم يغلق كهفه بصخرة ، تسد فوهته حتى يأمن من الوحوش .

- لم لم تسدوا الكهف بصخرة ، هل كان الانسان البدائي اذكى منكم ؟ ؟ .

- لم يكن اذكى منا ، ولكنه كان اقوى منا ، يقدر على حمل صخرة او زحزحتها .

- ماذا تفعلون اذا هاجمنا وحش في الليل .

- سنطلب شرطة النجدة .

- أهذا وقت المزاح ياغالي ؟ ؟ .

- سألتنا ماذا نفعل ، سنحاول قتله اذا استيقظنا قبل ان يفترسنا ؟

- اللعنة عليه ماذا يحدث اذا افترسنا قبل ان نستيقظ .

- افضل لنا ، حتى لا نعاني من الخوف والالم . وافضل لمؤسسة روبير رودان .

- بدلوا الحديث ياغالي ، اشمأزت نفسي من هذ المصير البشع . اخشى ان يلتهم احدنا ويشبع ويوفر الآخر .

- سنبدل الحديث يافهيمة ، هل تعتقدين حسب اختصاصك في علم الحشرات بوجود عناكب سامّ ، ام افاع ، ام عقارب في هذا الكهف ؟ .

- لااعتقد بوجودها متجاورة في كهف واحد ، وإلا وقع شجار وصدام بينها .

- اطمأن قلبنا ، لن نواجهها مجتمعة ، أتفضلين سم العقرب ، أم سم الافعى ، ام لدغة العناكب ، نحن نرجو ان يقع حظنا في افعى قاتلة حتى تكون لدغتها قاضية .

- كيف كان الانسان البدائي يتقي الحشرات حسب معلوماتكم التاريخية ، هل استعمل الناموسية ومم صنعها .

- أتمزحين يافهيمة ، بعدما حرمنا الدكتور برهام من امتعتنا وكان بينها ناموسية التي جلبناها معنا .

- ذكرتني بطاسة الرعبة ، لو انها معنا الآن كنت شربت منها ، ماذا افعل اذا عطشت ليلاً ، او لزمني قضاء حاجة .

ـ اقضي حاجتك وانت في مكانك اسلم لك ، اما عن الماء فقد ملأنا لك مطرة وجدناها في الصندوق الذي تفضلوا علينا به .

ـ أستبعد امكان نومي الليلة ، سابقى صاحية طوال الليل ، إلا اذا اجبتموني عن سؤالي كيف كان الرجل البدائي يتقي من الافاعي والحشرات السامة .

ـ كان يشعل ناراً من حوله ، تظل متقدة طوال الليل يغذيها بالحطب بنفسه أو واحد من افراد عائلته . أو كان يحفر خندقاً حول مضجعه تسقط فيه الحشرات وتضل عنه .

ـ لم لانفعل مثله .

ـ لاننا لانملك الامكانات الكافية هذه الليلة .

ـ ألا يوجد في هذا الصندوق مايساعدنا على الوصول الى الطمأنينة .

ـ لايوجد سوى هذا البيل ، ويجب الا نبقيه مضيئاً حتى لا تفرغ مدخراته .

ـ ابقوا البيل منارًا ، ارجوكم يا غالي وساجد لكم غداً منبعاً كهربائياً من الطاقة الشمسية .

كانت فهيمة تصمت وغالي يصمت ثم يعود احدهما الى الكلام فيستدرج الآخر فيصمان على السكوت ثانية ، ولكنهما يعودان الى المحادثة .

• • •

وصل المستر توم شقة روزا الفخمة ، وماكاد يقرع الجرس حتى فتح الباب آلياً ، وسمع صوت روزا يوجهه لبلوغ غرفة نومها ببوح هامس ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي يمنح فيها هذا الشرف الرفيع

حسب قول روزا .

« انت في غرفة نومي مستر توم وهذا شرف لم ينله احد من قبلك » .

شعر توم باعتزاز ودهش لفخامة السرير الذي استلقت روزا عليه ، وكانت عارية لا تلبس سوى الاكسسوار الزئبقي الذي عرضته في حفلة المعهد التقني ، والذي اطاح برصانة غالي ومعظم الحضور .

وتلوت روزا على السرير كما تفعل القطة المغناج ، وارتج الزئبق وتبعثر وفر من ثقوبه فسمح برؤية منظور متغير لنهدها فرآه توم يشع كالماسة بوجوه متعددة ، وحين انفرج فخذاها ، تشرزم الزئبق الذي يغطي عانتها ، فاندفع توم الى السرير واستلقى الى جانبها . فشم رائحة الوردة الدمشقية الطبيعية ، فاخذ بها ، وسأل : من اين تصلني رائحة الوردة الدمشقية ؟ ؟ . ابتسمت روزا وقالت : اليس هذا اسمي مستر توم .

انحنى على ثغرها ليقبلها فشاهد المئات من اوراق الوردة الحمر الرهيفة تتساقط عليهما ، وشاهد اوراق الورد الحمر على صدر روزا وعلى كتفيه وعلى السرير وما هي إلا هنيهة حتى اختفت رائحة الورد ، وتنسم توم شذى الياسمين كأن ازهار الياسمين الصغيرة البيضاء تتساقط فوق السرير ، وحدق حوله ، فرآها تهطل كالمطر اثر بعضها بعضاً . واختفى جسم روزا خلف الياسمين المتساقط فسأل توم : هل انت ساحرة يا روزا ؟ ، كأني في قصر من قصور بغداد وفي ليلة من ليالي الف ليلة .

رنت ضحكة روزا ، وبدا الاندهاش كاملاً على وجه توم ، حين اختفت الرائحة بنسيم خفيف مر عبر السرير ، واندفع في اتجاه

مكيف خلف السرير ، ثم ظهر عبق البنفسج من اطراف السرير وحلقت في الجو ازهار البنفسج الصغيرة وتساقط بعضها على كتفي روزا وبطنها ، فلم يعد توم يتمالك نفسه من هذا الجو السحري الرائع ، ومن مشاهدة اللون البنفسجي المثير على بشرة روزا ، فضمها كالملهوف وتأوه وتنهد ، ورن جرس الهاتف فمالت روزا بجسمها ومدت يدها وضغطت زراًباصبعها ، فسمع صوت روبير رودان يسأل روزا : هل المستر توم عندك ؟ ؟ .

اجابت روزا : نعم هل تريد ان تكلمه ؟

قال روبير : لن اكلمه الآن ، لن اكلمه حتى تتفق عبقريته عن الخطة التي نحن في انتظارها .

رفعت روزا اصبعها ، وعادا الى لهوهما ، وصبت له قدحاً من الويسكي فتناوله وعب منه ، ونظر اليها بشبق متزايد ونهض ليخلع ثيابه وكاد يمزقها من العجلة ، ثم عاد الى السرير ، ولكنه لم يجدها .

فرك عينيه بشدة وتلفت حوله وجال ببصره في ارجاء الغرفة وشعر بحسرة لفقدها فصرخ روزا . . روزا . . اين اختفيت ايتها الساحرة ؟ ؟ .

فسمع ضحكها خلفه فالتفت ولم يرها ، وتكررت اللعبة حتى صار يدور في الغرفة من جانب إلى آخر . حتى ظهرت له ثانية مستلقية في السرير وكانت ما تزال تضحك فقال : ارجوك ياروزا لا تتعبي اعصابي . . انا مثار جداً .

اعطته القدح وقالت : اشرب ياحبيبي وقل لي كيف تفضلني شقراء اسكندينافية أم سمراء اسبانية ، ام سوداء زنجية افريقية .

قال توم : ترفقي بي ياروزا ، انني لم اسمع بمثل هذا السحر الا

في كتب الشرق . ولكن روزا اسودت بشرتها واسود شعرها حتى صار فاحماً ، وامتلأ الجو برائحة الاعشاب الخضر ، وامتزجت بعبق الصندل ، وارتفعت حرارة الجو فاشتم توم رائحة العرق من ندى ابطي روزا وميز فيه رائحة التوابل الافريقية فصار يشخر كثور هائج وكرر مراراً : امرأة زنجية . . امرأة سوداء . . بنشاوى المطر والتراب والخمائر . .

وغاص توم في لحمها يكاد يفترس نهدها ، او يلتهم اصابع قدمها ، فكان كحيوان مفترس وقع على طريدة فحصرها بين اطرافه يلعقها ويشمها ممنياً نهمه بوجبة دسمة . ولكن روزا اختفت واختفى معها جو افريقيا الحار الممطر .

شرب توم قدحه وقال : روزا ارجوك ، ضيعني سحرك ، وشتت افكاري ارحميني يا روزا ، فظهرت روزا الاسكندنافية بشلال من الشعر الاشقر ، وتبعتها روزا الاسبانية بشعر طويل يتطاير بجنون ، وكانت الشقراء تؤدي رقصة اسكندنافية ، وصارت السمراء ترقص على الحان الفلامنغو ، وتجمع ركبتيها وهي تطرق بحذائيها وتلف فيرتفع فستانها الطويل حتى خصرها ، وعادت روزا الزنجية تهز ردفيها على ايقاع الماندينغو .

تقدم توم في الغرفة ثملاً ، وحاول ان يضم واحدة منهن ، فعجز وصرخ : ساقتلك يا روزا . . ساقتلك مع الرائدين غالي وفهيمة . . ساقتل الرائدين بالديناصور واقتلك في غرفة نومك خنقاً .

• • •

كانت اصوات الضفادع وصراصير الليل تصل الى داخل الكهف خافتة ولكن صوتاً واضحاً زعق داخل الكهف ، فخافت

اجاب غالي : أنسيت ان اصابعنا تحيط بك وهاهي خلف ظهرك .

ـ اشعر بانفاسكم الحارة تلفح اصابع قدمي ، كما كنتم تفعلون عندما نكون في ظلام غرفة نومنا لتخيفوني .

ـ كيف ننفخ على اصابع قدميك ، وهاهو رأسنا الى جانب رأسك . أتتوهمين وجود احساس كاذب ؟ .

ـ ليس وهماً ياغالي ، اشعر بلسان ساخن يلعق رجلي .

فكرت فهيمة في الوضع وارتعشت بين يدي زوجها وقالت بصوت مرتجف : ساموت بالسكتة القلبية ، لقد جمد الدم في عروقي وجف حلقي ، اشعر بانفاسه ولسانه انه حيوان ، عاينوه يا غالي لانني اخشى ان اشاهده فيغمى علي .

وقفزت واقفة وجلة . فتناول غالي البيل الذي خف نوره بعدما قاربت مدخراته على الانتهاء . ووجهه في الجهة حيث كان قدم فهيمة وقال : وجدنا حيواناً رائعاً ، انه هبة غالية ونحن في هذا الوضع الحرج ، افرحي التقطنا جرواً صغيراً ، كيف لم يخطر لنا ان نفتش عن كلب في الجزيرة طوال النهار لنصادقه في الليل .

ارتاحت نفس فهيمة واقتربت من غالي فوجدته ممسكاً بالجرو يلاعبه فقالت : أينقصنا كلب في نظركم ؟ .

ـ نعم ، كان الكلب اعظم صديق للانسان طوال حياته البدائية ، ما يقرب من مائة الف عام او اكثر ، ربطتهما علاقة ود وتراحم ، لم يعرف تاريخ العلاقات مثيلاً لها كان الكلب وفياًلصاحبه ، ولكن الانسان استغنى عنه وتنكر له ، بعدما خفت فائدته وصار عبئاً عليه في الحضارة الجديدة .

ـ كلامكم صحيح ياغالي ، واذا فكر المرء في مغزاه ، يستغرب واقع الحال بين الكلب والانسان ، اهذه محض صدفة ، ان يجد الانسان القديم في بدء محنته صديقاً وفياً من الحيوان ، يعادي من اجله الحيوانات المفترسة ، ويرافقه نهاراً ويحرسه ليلاً .

ـ يسخر بعض الناس من جمعيات الرفق بالكلاب ، ولكن من يتأمل مساعدات الكلب القيمة ، حتى في المدنية الجديدة ، حين يرشد الى اللصوص ، ويميزهم بفطنة ، أو عندما يقود العميان ويصادقهم ، لا يسعه الا أن يعجب بالكلب ويعترف بفضله على الانسانية ، ولاسيما عندما كانت الانسانية خائفة حائرة تجابه طبيعة قاسية .

مدت فهيمة يدها واخذت الجرو من غالي ووضعته في حضنها وصارت تلاعبه فهمهر بصوت ضعيف وقالت : ليته كان اكبر سناً ، ما زال صغيراً على الحراسة والقتل .

ولم تكد تتم عبارتها حتى سمعت عواء عالياً ، فقال غالي : استعدي يا فهيمة لاستقبال امه ، نرجو الا تكون شرسة . ودخلت امه واظهرت نواجذها وهمهمت وتبعتها عدة جراء ، اتجهت نحو حضن فهيمة ، ووثبت على يديها وعلى صدرها وصارت تقبل عنقها فبان الرضى على الام التي حنت رأسها وتمددت عند مدخل الكهف .

قال غالي : ان الرابطة التي ربطت الكلب بالانسان ، غريزة في الكلب ، وليست استئناساً من الانسان ، كما يدعي بعض الدارسين ، لا يفسر الاستئناس انجذاب كل منهم نحو الآخر ، لانه لم ينجح في غير الكلب كفصيلة ، حتى استئناس القطة قام في نفس القطة للأمكنة ولم يقم للسكان . فيبقى القط وفياً للمكان ولا يبتعد عنه ويظل الكلب وفياً للانسان يغادر المكان ليهاجر معه .

ابتسمت فهيمة وهي تلاعب الجراء وقالت : سننام مع جرائها وستشملنا برعايتها .

ـ هل تناقص فزعك ؟

ـ نعم ، تناقص حتى صرت اشعر انني قادرة على اغماض جفوني .

ـ هذه رحمة من الخالق القدير ، ان جعل لكم من الحيوان صديقاً . . تصبحين على خير . وتمدد غالي وتمددت الى جانبه فهيمة ، وناما ملء جفونها .

• • •

ثمل المستر توم وخشيت روزا ان يسقط من ترنحه الشديد ، فجرته الى السرير ، وأراحت رأسه على صدرها ، واعطت اذنها الى هذيانه ، فسمعته يكرر عبارته « سأقتل الرائدين بالديناصور » .

استمع روبير رودان على اجهزته الى الاحتفال الحيواني الذي كان يجري في غرفة نوم روزا بين ذكر كهل يتمسك بشبقه ليستعيد رجولته وانثى في اوج خصبها المشتاري تحقق غريزتها في حضور سلطاني آمر . حتى قال المستر توم « سأقتل الرائدين بالديناصور » فعرف روبير ان الخطة صارت جاهزة في ذهن توم ، فترك غرفته على عجل واتجه بسيارته الى بيت روزا .

ففتح الباب بمفتاح دائم الوجود في جيبه ، ودخل مسرعاً غرفة النوم وقال للتو : هل ذكر تفاصيل الخطة يا روزا .

ـ انه ثمل جداً ، يتلعثم في الكلام اخشى ان يستفرغ في غرفة نومي .

ـ دعيه لي ياروزا ، سانقله الى غرفة الجلوس ، اذهبي وحضري

له فنجاناً من القهوة الثقيلة وضعي فيها عدة نقاط من « الامونيا » .
- لااظن بوجود الأمونيا في صيدليتي .
- اذن بولي في فنجانه بقدر ملعقتين صغيرتين .
- الا تخشى عليه من ان يتسمم ببولي مون باترون .
- لو كان بول النساء ساماً لمات معظم الرجال ، لان جدتك وامك وعماتك وجدّاتهن وامهاتهن كن يضعن منه في شراب الرجال من اجل ان يسحرنهم ، كانت هذه هي وصفة السحر لبلوغ المحبة من ايام شارلمان حتى عصر الذرة . هيا افعلي ما قلته لك .

خرجت روزا مسرعة الى المطبخ ، ونقل روبير المستر توم الى غرفة الجلوس . وحاول في غرفة الجلوس ان ينبهه لعله يسمع منه عبارة واضحة ، ولكن توم صار يفضل النوم او يفضل عناق روبير متلمساً وجهه ، ففتح عينيه وقال : اين حبيبتي روزا .

اجاب روبير : ذهبت روزا لتعد لك فنجاناً من القهوة الساخنة ، انما قل لي كيف ستقتل الرائدين بالديناصور . . وهل يوجد ديناصور في جزيرة الميني شوز .

دفع توم روبير بيده وهو يتمتم كلاماً لامعنى له ، وحاول ان يستلقي ، فاجلسه روبير وسأله عن قصة الديناصور فاجاب توم : أيّ ديناصور من تحدث عن الديناصور . . أريد حبيبتي روزا . . أين روزا ؟ .

تقدمت روزا بفناجين القهوة وقدمت واحداً لروبير فزورها روبير مستفهماً فضحكت روزا وقالت : اطمئن مون باترون ، فنجانك وفنجاني خاليان من الامونيا . فتناول روبير الفنجان وابتعد وقال لروزا : تعالي اجلسي الى جانبه واسقيه فنجانه المميز وحاولي ان

تستدرجيه للكلام عن الديناصور وخطة قتل الرائدين .

جلست روزا على المقعد واسندت رأس مدير المعهد على صدرها ، وسقته عدة رشفات من قهوتها بفمها ، فكانت تملأه ثم تضخه في فيه ، خوفاً من أن يطيح بالفنجان فيسكبه على ثيابه وثيابها وكانت قد ارتدت تنورة قصيرة وبلوزاً قصيراً فهي نصف عارية .

صحا توم قليلاً من سكره ففتح عينيه وتساءل : أين انا ؟ ؟

فاجابت روزا : انت على صدري . . هيا اشرب قهوتك المميزة لتصحو ، فتناول توم الفنجان ورشف منه وقال : مرار هذا الفنجان اشد من المعتاد ولكن مذاقه منعش جداً ، حبذا لو احصل على بن مثله .

ضحكت روزا وقالت : هذا بن من مثلث بورمودا حيث تنجذب اضخم الاشياء واقواها ، قل لي كيف احصل على الديناصور ، وانا اعدك بتقديم فنجان من هذا البن المنعش كل صباح .

قال توم : الديناصور آلي وهو قادر على قتل الرائدين بالتحكم عن بعد ، فيبدو القتل طبيعياً ومنسجماً مع جزيرة الميني شوز ، حتى لو نقلت كل الاقمار الصناعية حادث القتل المريع .

قالت روزا : الا يستغرق صنع الديناصور الآلي وقتاً طويلاً حضرة المدير ؟

اجاب المدير : هذا هو السر العظيم الذي لا يعرفه سوى بضعة اشخاص وانا واحد منهم .

انحنت روزا على فمه ثانية وقبلته وقالت له : ألا تخبر روزا به ؟ ؟ .

قال المدير فوراً : الديناصور موجود في مخزن من مخازن المعهد التقني . . صنعه المعهد قبل سنين ولم يجد مشترياً له .

دخل روبير في الحديث فوراً : انا على استعداد لشرائه باضعاف ثمنه .

ابتسم المدير وقال : بعتك اياه بالثمن البخس المحدد له ، اكراماً لعيني روزا ، وشفتي روزا ، وكل عضو من اعضاء روزا ، انا اسير حبيبتي روزا تعال عندي غداً لتدفع ثمنه واسلمك اياه .

قال روبير : اريد ان اتم الصفقة الآن ، قد تتأخر غداً عن الوصول الى المعهد بسبب سهرة الليلة ، وأنا حريص على ان اتسلمه في الصباح الباكر لأن طريق سفره طويل يا مستر توم ، هيا نكتب العقد .

وضع توم اصبعه على ذقن روزا مداعباً وقال : هات ورقة بيضاء لاوقع لك عليها واملئيها كما يحلو لك فانا واثق منك .

وحضرت الورقة البيضاء ، ووقع في اسفلها المستر توم مدير المعهد التقني للدراسات الانسانية ، والبحوث الاجتماعية ومراقبة التطور الحضاري « ليمداستيسان » وانصرف مرهقاً الى زوجته من العمل المضني ليلاً .

♦ ♦ ♦

الفصل السادس

1 - طلعت الشمس على الجزيرة ، ونشرت اشعتها نحو الكهف الذي ينام فيه المتطوعان ، فأضاءت مدخله وبددت شيئاً من عتمته ، وصاح ديك صياحاً شديداً وكرر صياحه ، فاستيقظت الدكتورة فهيمة على صياحه ، فنهضت بجذعها فرأت زوجها ما زال ممدداً الى جانبها ، فوضعت راحتها على كتفه برفق ونادته بحنان : غالي .

تململ غالي وهو ممدد على ارض الكهف وقال : نعم ماذا تريدين ؟ .

قالت فهيمة : مبتسمة بلهفة : سمعت صياح ديك ، يوجد ديك على الجزيرة .

- لم تتعجبين يافهيمة ؟ هذا منبه طبيعي من مخلوقات الله . وظيفته الاولى ان ينبه النائمين في كل صباح لينهضوا ويسعوا الى ارزاقهم .

- قصدت وجود الديك ، يعني وجود دجاج الى جانبه .

- استنتاج بارع ، تحسدين عليه ، الا اذا كان ديكاً اعزب ، تطوع وحده للقدوم الى جزيرة الميني شوز .

- عنيت اننا سنعثر على بيض في الجزيرة ، هيا قم .

نهض غالي بجذعه وجلس الى جانب زوجته وقال : اتعدين تفكيرك كشفاً ، كان الرجل البدائي يجمع بيض الدجاج ، وكل انواع البيض والبرقات ويطعم به .

وقفت فهيمة وسحبت زوجها من يده محرضة همته قائلة : هيا بنا نبحث عن البيض من اجل فطورنا .

وقف غالي وضم زوجته ونظر اليها قائلاً : وجهك مشرق يا عزيزتنا ، ساضمك واقبلك قبل ان نخرج من الكهف حتى لا تلتقط الاقمار الصناعية صورنا ونحن منسجمون بالعناق منذ الصباح والا أثبتنا عادة قد لا تكون ملائمة للحياة الجديدة .

دفعت فهيمة غالي ونفرت بعيداً عنه حتى مدخل الكهف ، فتبعها وامسك بيدها وقبلها على ثغر ضاحك ، واطلا معاً على سحر شروق الشمس ، وجمال الطبيعة الأخاذ فقالت : اشعر لاول مرة يا غالي باهمية مشروع مراجعة الحاجات .

ـ ماغرب طبع الانسان ، يترك مكانه بين احضان الطبيعة ، ويتوجه الى المدن المكتظة ، ليعيش فقيراً سنوات طويلة حتى اذا صار ثرياً ، عاد يصرف ماله من اجل اجازة يقضيها بين احضان الطبيعة ، وقد لا يجد الوقت الكافي فيموت متحسراً على نزهة محدودة .

ابتعد المتطوعان قليلاً عن الكهف ، فشاهدا جراء الكلبة التي شاركاها كهفها الليلة المنصرمة ، فتناولت فهيمة جرواً وضمته الى صدرها وصارت تداعبه وظهرت الكلبة وتقدمت منهما ، فربت غالي على رقبتها متودداً اليها ، وخاطب فهيمة قائلاً : ستتوطد الصداقة بيننا طوال اقامتنا في الجزيرة .

وافقت فهيمة على قوله وقالت : لولا وجودها معنا في الكهف لما

استطعنا النوم بطمأنينة ، ولما غمض لنا جفن ، سنسعى الى رزقنا ورزقها لتظل معنا .

علا صوت ثغاء فقال غالي : سمعت ثغاء خراف ، ابشري يا فهيمة ستتناول في فطورنا حليباً مع البيض ، سبحان الخالق العظيم ، ما اكرم الطبيعة . . على الانسان ؟ ثم التفت الى الكلبة وقال : تعالي معنا سنسقيك ونسقي جراءك حليباً .

وانحدرا على درب ماثل في اتجاه صوت الثغاء . وتبعتهما الجراء مع امها . وصل غالي وفهيمة عند الخراف ، فابتعد غالي وحين سألته فهيمة : لم ابتعدت يا غالي ؟ اجابها فوراً : سابحث عن بيتة يقطين مثمرة لاحضر لك كؤوساً وقدراً يا حرمنا المصون .

● ● ●

تقدم احد عملاء مؤسسة (ر . ر) منذ الصباح الباكر ، بشيك مسحوب على رصيده الخاص ، الى محاسب المعهد التقني تسديداً لثمن الديناصور ، فخرجت من المستودع صناديق مرقمة ، حسب نموذج تركيبه مع جهاز الكتروني للتحكم به ، ودليل تشغيله ، وحُملت على الشاحنات التي اتجهت فوراً الى مدينة بوردو حسب تعليمات روبير رودان .

جلس روبير رودان معتزاً بالخطة التي وضعها المستر توم ، وكان ينتظر ان يتصل به وطواط ليبلغه تعليماته ، بعدما علم ان الديناصور في طريقه الى مستودعاته في مدينة بوردو . تناول صحف الصباح وراح يقلبها واحدة اثر اخرى ، فوجدها كلها مجمعة على نشر البيان الاسرائيلي ، في الصفحة الاولى مع صورة قائد المجموعة الذي قُتِلَ ، المخرب الفلسطيني عبد الحميد كامل .

وتابع تلك الصحف فوجد اهتماماً واضحاً منها بمشروع مراجعة الحاجات ، وبالرائدين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة ، ورأى صورهما منشورة في معظم الجرائد مع عبارات المديح والاطراء فازعجه هذا الامر قليلاً ، ولكنه تذكر الديناصور الراحل الى الجزيرة فابتسم .

وابتسم رودان مرة ثانية من سذاجة منظمة تحرير فلسطين التي اصدرت بياناً كذبت فيه ادعاء اسرائيل بوجود مخربين قرب جزر الكناري ، لان بيانها نشر مختصراً بعبارات مبتورة وفي زوايا مهملة ، وجاء فيه ان عبد الحميد كامل فدائي موقوف في سجون اسرائيل منذ سنين عديدة وقد استطاعت ان ترفق بيانها بصورة له يوم القى رجال الامن القبض عليه في منزله في عكا ، وهي وثيقة هامة ، لولا ان الصورة التي نشرتها اسرائيل مع البيان مشوهة المعالم .

رن جرس الهاتف في مكتب روبير رودان ، وكان المتكلم وطواط من مكاتب مؤسسة روبير رودان في بوردو ، فاجابه روبير : ابق هناك ، انا قادم اليك بعد قليل بطائرتي الخاصة .

ورن الجرس مرة ثانية وكانت المتكلمة روزا من شقتها وسألت : كيف حالك اليوم مون باترون ، هل انت سعيد ؟ .

اجاب روبير : تصوري ياروزا ، انني لم انم حتى الآن ، من اجل ان اتم استلامي للديناصور صباحاً ، وقد قررت ان الحقه الى بوردو بطائرتي .

سألت روزا : هل تريد ان ارافقك ؟

رد روبير : نعم سترافقينني ، وساتصل قريباً بمدير المعهد التقني ليرافقنا بدوره ، ساحرص على حضوره اثناء تركيب الديناصور فقد نحتاج اليه ، ولكني تريثت حتى لا ازعجه باكراً بعد سهرة البارحة .

قالت روزا : ساحضر فوراً .

• • •

عادت الاقمار الصناعية الى بث صور الرائدين الشهمين وكانت فهيمة تحلب الحليب من ضرع النعجة في قدر من اليقطين العتيق اليابس الذي عثر غالي عليه وفرغه بسهولة من لبه وبزره ، وكانت هي قد جمعت بيضاًفتناولا افطاراً لذيذاً ولعقت الجراء نصيبها ، فسرت امها فاستلقت لتداعب الجراء وفي نظراتها امتنان وحنان للرائدين .

سأل غالي زوجته : ماذا سنفعل الآن بعد هذه الوجبة الدسمة ؟ .

- اريد ان اغسل ثيابي واستحم يا غالي ، فانت تعرف حرصي على النظافة والطهارة .

حدق غالي غير مصدق كلام زوجته ، فقد استنكر البارحة حين نزلت في البركة عري ساقيها وجزءاً من فخذيها ، فكيف بها الآن وهي تعلن عن رغبتها في عري كامل تحت مراقبة الاقمار الصناعية . قال : انا مسلم يا فهيمة ، وانت مسلمة ، ولن اوافق على عريك امام الملايين . مهما كانت الاسباب .

ابتسمت فهيمة وقالت : قررت ان اصلي يا غالي ، ولن تجوز صلاتي دون اغتسال .

قال غالي : ساعطيك ثيابي ريثما تغلسين ثيابك ستتبادلها في دغل كثيف .

- وماذا ستفعل من اجل حمامي .

- سانصب لك سقفاً من سعف شجيرة الموز .

اندفع غالي نحو مجموعة من شجيرات الموز ، وقطع منها سعفها

وقطع قصباً وحملها مع زوجته ، وسارا نحو البركة ، وهناك ربط الاوراق العريضة وثبتها على ضلعين من القصب ونصبها بشكل مائل يحول دون رؤية زوجته التي نزلت في البركة بثيابها وغاصت تحت الاوراق وهي تقول : لا تبتعدوا يا غالي ، قد يلزم حرمكم شيء أو مساعدة ولم تمض ثانية واحدة حتى صرخت : اعطوني صابوناً ياغالي ؟ .

ـ من اين لنا الصابون ، الا تريدين شامبو ايضاً ، وصباغاً للشعر ؟

ـ جزوا كمية من اوراق عشبة « قرن الجدي » انسيتم يوم كنا في نزهة في طرطوس واستعنا برغوتها بعد فركها بالماء ، ستجدها نابتة حول البركة .

• •

وافق المستر توم على مرافقة روبير وروزا الى بوردو ، فانتظرا الاثنان قدومه الذي حصل بعد احساس شديد بالملل ، فقالت روزا بعتب : لم تأخرت كثيراً عن الموعد ؟ .

ـ لاتقسي في الحكم على تأخري ياروزا ، كنت ملهوفاً على الوصول اليكما ولكن قوى منظورة ، أخرتني عن القدوم في الوقت المناسب .

ـ أكان السبب عملاً طارئاً يتعلق بمنصبك كمدير للمعهد ؟ .

ـ اهذا امر اتأخر بسببه عن موعدك ياروزا . . لم يشغلني منصبي في عمري عن علاقاتي الشخصية ، كان السبب قوى طاغية ، ارادتها فوق ارادتي ولا مرد لحكمها .

ابتسم روبير ضاحكاً وقال معلقاً : اظنها زوجتك ؟ .

- مرحى لك كيف حزرت مسيو روبير؟ .

تابع روبير قائلاً : حزرت من لهجتك المرة وتعاسة وجهك ، وانت تتذكر الواقعة .

- نعم يامسيو روبير . . شاهدتني زوجتي خارجاً من المنزل ، وكانت خارجة بدورها لتشتري قبعة ، فاصرت على اصطحابي معها الى السوق ، لو تعلم ما معنى مرافقة الزوجة الى السوق . . واي ضنى ستقاسيه في الانتقال من مخزن الى مخزن .

قال روبير متسائلاً : الم تكتف بشراء قبعة ؟ .

- هذا هو المؤلم في الموضوع ، كانت بحاجة الى قبعة ، فامضينا ساعة او اكثر ونحن نشاهد كل اصناف البضائع فيما عدا القبعات .

- ارجو ان تكون زوجتك قد نجحت في شراء قبعة في النهاية .

- لايامسيو روبير . . اشترت حذاء .

ثم التفت توم الى وزا واسترسل : مثل زوجتي كمثل كل النساء ، تنزل واحدتهن لتشتري عقداً فتبتاع مشداً أو تروم حقيبة فتقتني فستاناً ، ارجو المعذرة سيدة روزا ، لانني انتقد النساء ولكن هذا هو واقع الحال .

قالت روزا ضاحكة : انا اعرف ما اريد والا ما كنت الى جانبي مستر توم . وضحك الثلاثة وحسم روبير الموقف قائلاً : هيا سنستقل طائرتي الخاصة الى بوردو .

2 - قامت الشركات التلفزيونية بتسجيل ما تبثه الاقمار الصناعية عن الرائدين لعرضها في اوقات محددة ، بينما واصلت اذاعة مونت ماريبا طوال ساعات النهار بث الاخبار التي كانت تصلها تباعاً ، ووضع المسيو شارل عقود الاعلانات موضع التنفيذ فلا يكاد المذيع يقرأ خبراً

حتى يلحقه باعلان : قام غالي ببناء سرادق مسقوف ومعزول قرب بركة المياه ، فلم تجد فهيمة صعوبة في الانتقال عارية من البركة الى السرادق حيث تستطيع الانتظار ريثما يجف بدنها وتجف ملابسها التي نشرها غالي في الشمس على اوتاد خشبية متصالبة . واليكم هذا الاعلان من شركة الماكياج الذهبية : السمراء لها جاذبيتها ، والشقراء لها فتنتها ، السمراء مرغوبة والشقراء مفضلة ، سيدتي اذا كنت سمراء اللون واحببت بشرة ناصعة البياض استعملي الكريم المفضل مائة وواحد ، اما اذا كنت شقراء واحببت اللون الاسمر فاستعملي الكريم المميز برقم الف وواحد . السمراء مرغوبة والشقراء مفضلة ،ونحن سنخدم جمالك في الحالين والمهم لدينا الا تحافظي على لون بشرتك الطبيعية .

اذاعة المعهد التقني تواصل بث برامجها لهذا اليوم : استطاع الدكتور غالي ان يقيم حواجز حول سيلان المياه ، ويجبرها على الانسياب في قنوات تمر عبر المرحاض الذي انجز بناءه . واليكم هذا الاعلان من بيت التجميل : الجاذبية عنوان الجمال ، ومن اجل المحافظة على جاذبيتك ، جددي سيدتي مكياجك ثلاث مرات يومياً بعد الطعام والافضل الا تفارقي المرآة .

حضرات السادة المستمعين ، نقدم لكم في الدقائق المقبلة . تعليق الصحف على برنامج الميني شوز ، واليكم العناوين : برنامج الميني شوز صرعة من صرعات الاعلام العصرية ـ هل الرائدان متطوعان حقيقة أم هما ممثلان في مسلسل اعلامي من لون جديد ـ ماهو موقف المعهد التقني من متطوعين جدد ؟ .

تساءلت معظم الصحف الصادرة هذا الصباح ، هل هو برنامج

علمي يدرس بصدق حاجات الانسان الضرورية ، ام برنامج اعلامي ، غايته لفت انتباه المشاهدين الى ازمات العصر الموجودة فعلا من معاناة وخوف من التلوث ، ومن قلق متزايد من التسلح والاجرام وقد انقسمت الصحف بين قائل انه مسلسل درامي ، يقدم من خلال الواقع ليؤثر في مشاهديه والى قائل ان برنامج الميني شوز برنامج علمي خطير يقدم تحت ستار درامي ليتفادى المجابهة مع الشركات المصنعة .

من اجل رواج بضائعكم ، اعلنوا عن منتجاتكم في برنامج مراجعة الحاجات ، الذي يستقطب عددا كبيراً من المستعمين في كل انحاء الكرة الارضية .

* * *

استدعى شاين الدكتور برهام وقال له : هل استمعت هذا اليوم الى اذاعة المعهد التقني ، هل طالعت صحف الصباح ؟ .

- اتعبتني يابروفسور شاين ، صرت تعاتبني اكثر مما تعمل في دفع المشروع الى الامام ، بعدما وضعت مائة مليون بين يدي المعهد التقني .

- نحن نعمل الآن في مراجعة الحاجات ، ونذيع اعلانات عن مستحضرات التجميل وعن بضائع قد نحذفها في القريب العاجل ، فكيف سيصدقنا المتطوعون ، ولا أدري المستوى الذي سيوصلنا اليه حب الكسب عن طريق الاعلان .

- اما عن الاعلان ياصاحبي ، فهي ظاهرة مشاهدة في كل مكان ، تسمع من اذاعة محترمة حديثاً علمياً عن مضار التبغ ثم تسمع في نهاية الحديث انه كان برعاية شركة سجائر . تقرأ في قانون اي بلد مادة صريحة تحرم الاجهاض وتحض على عقوبته ، ثم تجد اكبر مشافيها

مخصصة للاجهاض ، فكيف تفسر هذه المفارقات .

- أنا أستنكر ولا أريد أن أفسر ، أريد أن نتخلص من الزيف والدجل وأن نعمل باخلاص وعقيدة صادقة من أجل انقاذ البشرية .

- تأكد ياصديقي انني سررت ، حين التبست حقيقة المشروع على الصحف واجهزة الاعلام ، فصار في امكاننا ، ان نزيد من عدد المتطوعين ونقل عمالاً لبناء الجزيرة كما تتخيلها .

- اتخيلها مدينة نظيفة دون سيارات ، لأن مسافاتها قصيرة ، ووسائل نقلها صغيرة تعتمد على الطاقة الشمسية ، وحدائقها ومنتزهاتها ومدارسها وجامعاتها ومسارحها اجمل ما فيها . وبيوتها صغيرة سهلة التنظيف كاعشاش الطيور .

- مرحى لك يابروفسور ، ضع مخططاتك الاولية ،فبين ايدينا المال ، وساجمع لك العمال اللازمين او المتطوعين القادرين على تنفيذ آمالك .

- احلم ببناء مركز ابحاث في الجزيرة يفيض على العالم اجمع اشعاعاً ثقافياً دون احتكار .

- اعمل وانا الى جانبك يابروفسور شاين .

● ● ●

اتصل المستر توم من مكتب مؤسسة (ر . ر) بالهاتف مع مهندسين كانا يعملان في المعهد التقني ، وقد عمل اولهما في قسم الميكانيك ، وشارك في وضع مخططات الديناصور الذي كان يعمل بالطاقة الشمسية مع وجود محرك اضافي له يمكن ان يمده بالطاقة في حال غياب الشمس ، واما الثاني فكان من المشهود لهم في علم التحكم الالكتروني عن بعد ، وعلم المنطقية لتؤدي الآلات اقصى طاقتها في حدود برمجتها .

وانصرف وطواط مع روبير روادن ليفتشا عن افضل موقع قرب البحر يتم فيه تركيب الديناصور قبل نقله الى ظهر الباخرة التي ستحمله الى جزيرة الميني شوز .

سارت الامور سيراً طبيعياً ، فاختار روبير المكان المناسب لتنفيذ الخطة وهتف لعميله الذي اشترى الديناصور من المعهد وشحنه ، ليسأله عن موعد وصول الشاحنات ليوجهها الى المكان الذي سيتم فيه تركيب الديناصور ، فاعلمه العميل ان الشاحنات واقفة الآن في ضاحية المدينة ، وسيتوجه اليها فوراً ليقودها اليه .

واتصل روبير ايضاً بباخرة شحن تحمل على ظهرها رافعة ضخمة تستطيع نقل الديناصور من الارض الى ظهر السفينة .

تجمعت الخيوط كلها حيث قرر روبير ، فوصل الى ذلك المكان المهندسان مع سيارة مغلقة معدة للاعمال الميكانيكية في العراء ، واصطفت الشاحنات الحاملة للديناصور فاستقبلها روبير روادن ووطواط بالابتسامات العريضة ، وقدم المستر توم بسيارة فخمة ومعه روزا ، واسْتُقْدِمَتْ سيارة كبيرة معدة لتقديم الخدمات من جميع الانواع ، وجاء عدد من العمال المختصين .

وقف روبير روادن في وسط هذا الجمع يشرح ضرورة الاسراع في انجاز تركيب الديناصور ويعدهم باجور مضاعفة ، لانه كان يأمل في ايصال الديناصور، قبل الفجر الى جزيرة الميني شوز . . ليتم انزاله في الظلام في خفاء عن الاقمار الصناعية . تم العمل بسرعة غير متوقعة ، لان القطع التي اخرجت من الصناديق مشحمة وبحالة جيدة ، وأمكن تركيبها بسرعة ، وانتصب الديناصور بحجمه الضخم فاصابت الدهشة من حجمه كل العاملين وقال كثيرون : ياله من ديناصور مخيف ؟ ؟

عالج مهندس التحكم حركاته بلوحة التحكم فاداها خير اداء ، فتبين له سلامة تجميعه وسلامة اتصالاته ، ثم استدعى وطواط ودربه على قيادته فقاده الى الامام والى الخلف ، وتمكن من تحريكه حتى اوصله قرب الباخرة التي مدت رافعتها الضخمة وحملته على ظهرها .

ودع وطواط الحضور واحداً واحداً وصعد الى الباخرة التي أبتعدت ، بينما اتجه مستر توم وروزا وروبير الى الطائرة التي اعادتهما الى باريز . وانفرط عقد الجمع فذهب كل واحد في سبيله . . وصار المكان خالياً كعادته .

• • •

استراحت فهيمة في السرادق . ريثما تجف ثيابها ، فقام غالي بجولات صغيرة في اتجاهات متعددة في الجزيرة مستكشفاً النباتات والصخور والحيوانات التي كانت تفر من امامه ، ولم يكن يبتعد كثيراً عن السرادق سوى المسافة التي تمكنه من سماع صراخ زوجته ، وكانت تناديه فيرد عليها ، أو يناديها فترد عليه ، وقد عثر على خروف نفق حديثاً ، فاسرع وجز صوفه ، وتتبع شحمه . وعاد محملاً بالصوف والشحم ووضعه امام زوجته التي رفضت استقباله عارية في السرادق ، فاختفت خلف ورقة خضراء وصاحت به : لا اريد ان تراني الان حتى ارتدي ثيابي واسرح شعري .

ناول غالي فهمية ثيابها وحدثها من خلف حاجز السرادق : جلبت لك صوفاً قد نضطر الى غزله وحبكه قميصاً في القريب العاجل .

سألت فهيمة : لم الشحم ؟ ؟ . اجاب غالي : سنعمل على صنع شمع منه نضيء به كهفنا في الليل ما رأيك .

ظهرت فهيمة خارج السرادق ، وقد اضاءت طهارة الاغتسال وجهها واعاد الى شعرها رونقه ، وكانت قد جدلت اكليلاً جميلاً من الورق الاخضر ، توجت رأسها به ، فلم يتمالك غالي نفسه ، فجذبها بشدة الى صدره ، فحاولت الافلات فطوقها بذراع وحصر وجهها بذراع ، واطبق فمه على فمها ، وقبلها قبلة اودعها لهفته ، فعانقته بدورها ولثمت فمه لثماً سريعاً ، وابتسمت فازداد حسنها وازداد غالي رغبة بها ولكنها قالت : انا جائعة يا غالي .

ضحك غالي وقال : كنت دائماً تطلبين الطعام بعد الحمام ، ساقدم لك وجبة طعام ، كمفاجأة غير متوقعة .

- هيا لأني أشعر بلعبة في معدتي .

اشار غالي الى مكان قريب وقال : هناك ينتظرك غداء شهي .

تركت فهيمة غالي وركضت حيث شاهدت دخاناً ينتشر في الهواء ، فرأت بين مجموعة من الاحجار جمراً وشاهدت فوق الجمر عدة سمكات مشكوكة في اعواد رفيعة وقاسية فالتفتت ضاحكة وصرخت : كيف انجزت وحدك هذه الاعمال ؟ . . ورجعت اليه وقبلته وعانقته واضعة خدها على خده ، واسبلت اهدابها حياء وقالت : سالقاك في السرادق بعد الغذاء واقدم لك نفسي وجبة ادسم من وجبتك .

وضع راحته على رأسها وهزه مازحاً ، واحاط خصرها وسارا الى وجبة الطعام .

• • •

سارت الامور دون احداث تذكر ، حتى صار المساء ، فاتجها معاً الى الكهف وتبعتهما الكلبة مع جرائها ، وشعرا براحة تامة لوجودها معهما .

اشعل غالي مصباحاً من خيوط الصوف وشحم الخروف ، انار به عتمة الكهف وقال : سنبحث غداً عن معادن الجزيرة ، لعلنا نجد قصديراً أو رصاصاً لنصنع منه مصباحاً كمصباح علاء الدين لكهفنا ، ونبقي البيل ومدخراته ليساعدنا في تنقلنا خارج الكهف اذا ما دعت الضرورة .

ـ انا سعيدة لوجودي معك يا غالي . . هل انت سعيد بانفرادكم معي . قرب وجهه من وجهها ولامس انفه بانفها وقال : لقد اتاح لنا القدر ان نقضي اجمل شهرُ عسل يتقاسمه عاشقان .

ودفعها فاستلقت وثبت ذراعيها ، فضحكت ومانعت وقالت صارخة « تعبت اليوم . . اجلها حتى الغد » فلم يأبه لغناجها وكانت قد صارت تحته .

♦ ♦ ♦

الفصل السابع

1 – وصلت الباخرة التي تحمل الديناصور قرب جزيرة الميني شوز وعلى ظهرها وطواط والربان وبعض البحارة فسأل وطواط الربان قائلاً : هل تستطيع ان تنزل الديناصور في مكان ملائم .

اجاب الربان ستتسلل اولاً قرب الشاطىء دون ان يرانا زورق المعهد التقني الذي اخبرتني عن وجوده ، ثم ننزل زورقاً وبعض البحارة ليكتشفوا عمق المياه حتى نستطيع الاقتراب ، فانزل الديناصور في افضل مكان وانسبه لك حتى تقوده براحة .

ظهر زورق المعهد التقني يبحر في الاتجاه المضاد ، فواصلت الباخرة سيرها حتى تجاوزته وغابت عن انظاره ، فنزل البحارة بزورقهم إلى البحر واقتربوا من الشاطىء الصخري ، وساروا بمحاذاته ، فوجدوا سطحه يهبط مائلاً نحو مستوى البحر حتى بلغوا الخليج الذي كان مفتاح الجزيرة طوال عهدها فعادوا بسرعة الى الباخرة ليعلموا الربان .

دخلت الباخرة ببطء في الخليج مطفأة الانوار ، معتمدة على رادار الامواج الصوتية ، وكان القمر يكاد يصبح بدراً .

طلب الربان من بحارته ان يهبطوا أرض الجزيرة ويعينوا له باشارات ضوئية البقعة الخالية التي تستطيع الرافعة ان تنقل الديناصور

اليها . وسأل وطواط الربان : هل انت متأكد ان هذه هي جزيرة الميني شوز ؟ .

ضحك القبطان : اليست حماقة ان انزل لك الديناصور على جزيرة اخرى ، انها جزيرتك ، لانه لايوجد غيرها في هذه البقعة من المحيط ، ويجب ان نسرع قليلاً قبل ان يعود زورق المعهد التقني من جولته حول الجزيرة .

اضاء البحارة اشارات واضحة حصرت بقعة من الارض ، فتحركت الرافعة حاملة الديناصور ودارت ثم هبطت برفق . فقال الربان : صار حيوانك الآلي العملاق جاهزاً على ارض الجزيرة ، قل لي من ستخيف به يا وطواط ؟ ؟

رد وطواط : لاتتدخل فيما لا يعنيك ، وهيا انصرف حالاً .

ابتسم الربان : نتمنى لك التوفيق في مهمتك . ثم استرسل : صارت جزيرة الميني شوز اشهر جزيرة في العالم كله ، سأتابعك غداً على شاشة التلفزيون لاراك كيف تتصرف .

قال وطواط : اني انتظرك غداً في مثل هذا الوقت .

صافحه القبطان وودعه قائلاً : الى اللقاء .

صعد البحارة الباخرة ، وابحرت من جديد في عرض المحيط ، بينما وقف وطواط على ظهر الجزيرة ، الى جانب الديناصور ينتظر شروق الشمس .

* * *

2 — اشرقت الشمس فتناول وطواط لوحة التحكم وعلقها برقبته ، واسترجع التعليمات ليتقنها وقال لنفسه « اللعنة على هذه الازرار ، ليتني اصطحبت معي مهندس التحكم ، حتى لا يظهر ديناصوراً

ثملاً ، يترنح ذات اليمين وذات اليسار . قيل لي ان اضغط على زر التشغيل وانتظر حتى تضيء الدائرة الحمراء ، وآنئذ تكون اجهزة الديناصور قادرة على التقاط الأوامر وتنفيذها » .

ضغط وواط زر التشغيل وانتظر حتى اضاءت الدائرة الحمراء ، فابتسم وهو يتخيل هذا الحيوان العملاق ممتثلاً لاوامره .

خرج غالي من الكهف وتبعته فهيمة ، وتبعتهما الكلبة وجراؤها ، وقد اصبحوا اكثر من رفاق كهف ، انهم اصدقاء حميمون . نزلا الدرب متجهين الى المكان الذي وجدا فيه البيض والنعجة .

حاول وطواط ان يجرب مدى استجابة الديناصور لازرار لوحة التحكم فضغط زراً في اسفل اللوحة ، فصرخ الديناصور صراخه البشع المخيف فقال وطواط : اخرس لم يحن وقت صراخك لاخافة المتطوعين وضغط وطواط مفتاحاً ثانياً ، فاحنى الديناصور رأسه .

سمعت الكلبة صوت الديناصور ، فثبتت نظرها في اتجاه الصوت الذي وصل خفيفاً فلم يسمعه الرائدان ، ولكن الكلبة كشرت عن نواجذها وهمهمت ، فسأل غالي : ما بال الكلبة يا فهيمة ؟ .

قالت فهيمة : اعذروني يا غالي ، لم اتعلم لغة الكلاب بعد .

تخلت الكلبة عن استنفار حواسها ، وعادت تسرح مع جرائها بين اقدام غالي وفهيمة فقال غالي : اربكت سيرنا ، اطمئني ساطعم صغارك .

« ماغباي . . يمضي الوقت بسرعة ومازلت غير واثق من قيادتي للديناصور فهذه هي المرة الاولى التي اقتل فيها الناس بحيوان آلي ،

هيا امامي ايها الديناصور المخيف ، ولاتجعلني اضحوكة امام سيدي روبير رودان . . هيا امشي الى الامام » .

حدث وطواط نفسه وضغط زر الاطراف ، وبدأ يحرك رافعة تسيطر عليها . فمشى الديناصور متقدماً أمام وطواط ، وبدأت حيوانات الجزيرة تهرب من أمامه مذعورة . . وقد ارتفعت أصواتها وازدادت ضجتها . وكان الديناصور يطلق صراخه البشع كلما تقدم عدة أمتار على الطريق ، فغادرت الطيور اعشاشها وحلقت فزعة في الجو ، وركضت الخيول وجرت الارانب بسرعة ، وشردت الخراف .

مضت فهيمة تبحث عن البيض ، وامسك غالي بنعجة ليجرها قرب فهيمة ، ولكنه لاحظ خوف الحيوانات المتزايد فترك النعجة وهرع الى زوجته قائلاً : ترى . . ماذا سيحدث على الجزيرة يا فهيمة ؟ .

قالت فهيمة وقد لاحظت بدورها تصرف الحيوانات الغريب : تشعر الحيوانات بدنو الخطر قبل الانسان فتلفت انتباهه ، الى قرب وقوع كارثة ماحقة ، كزلزال او تفجر بركان .

ـ ماأشد الاهوال التي واجهها الانسان البدائي ، وما زال يواجهها انسان العصر ، اتتوقعين بركاناً سينفجر على ظهر الجزيرة ، ام زلزالاً سيطيح بها الى اعماق البحر ؟ . .

ـ كانت هذه الجزيرة ، جزيرة بركانية الى وقت قريب ، واخشى ان بركانها سيعود ليحقق حضوره .

ـ اذن هيا نبتعد عن الجبل ، وننحدر في هذا الطريق الذي تهرب فيه الحيوانات مبتعدة عن الخطر .

● ● ●

سار غالي وتبعته فهيمة ، واقترب صوت الديناصور فسمعاه معاً ، فجمدا ينتظران بخوف وقال غالي : ماهذا الصوت البشع المخيف يا حرمنا ، ليته كان صوت انفجار بركان او صوت زلزال لكان اسهل وقعاً على نفسينا ألديك تفسير لهذا الصوت ؟ .

ردت فهيمة مستجمعة شتات قواها : أظنه صوت حيوان منقرض من الحيوانات الضخمة التي سكنت الارض قبل ظهور الانسان . .

- كيف يصوت هذا الحيوان يا حرمنا المصون وهو منقرض ؟ .

- لاادري ياغالي . . ولكني اتوقع ظهوره بين لحظة واخرى وسنعرف آنئذ كيف يصوت .

- هل أنت قادرة على الهرب يا فهيمة ؟ .

- لاتتفاءلوا ياغالي ، لن تحملني ساقاي وانا في مكاني ، حتى تساعداني على الفرار ، سيغمى علي قبل مشاهدته .

لجأت فهيمة الى صدر غالي خائفة ، فقال غالي : لا تديري وجهك يا فهيمة فقد ظهر في قبالتنا حيوان بشع عملاق مقيت .

ازداد خوف فهيمة فازدادت التصاقاًبغالي وقالت بصوت مرتعش : لا تتركوني ياغالي ، واحسرتاه على شبابنا ، هذا هو الديناصور الذي عاش في ابتداء ظهور الحياة على الأرض ، اسحبوني معك اذا وجدتم قدرة على الهرب فانا حرمكم المصون .

قال غالي : شدي من عزيمتك ، وتعالي نختبىء في مكان صغير ، يعجز الديناصور عن ادخال طرفه فيه كما يعجز الانسان عن اخراج نمله من شقها .

ردت فهيمة وهي ترتعش : رأيك سديد ولكن مفاصلي عاجزة

عن الحركة .

ومالبثت ان لمحت الديناصور قادماً وسمعت صوته البشع فانهارت مغمى عليها وركع غالي واسند رأسها على فخذه وهزها بعنف وناداها لتعود الى وعيها قائلاً :

ـ الويل لنا ، حرمنا المصون مغمى عليها والديناصور يقترب من مكاننا ، فهيمة اصحي بسرعة ، انت وازنة جداً وانت صاحية ، فكيف بك وانت مغمى عليك ، اصحي لنهرب يبدو انه ديناصور اعمى ، فهو لم يرنا حتى الآن ، هيا يافهيمة قومي بعجلة . . انت مختصة بعلم الحيوان ، أيغمى عليك من مشاهدة ديناصور واحد ؟ .

شعر غالي بخوف من عبارته الاخيرة ، فاستدرك قائلاً بسرعة : نستغفر الله العظيم ونرجو ألا تتبعه ذريته ، هيا يا فهيمة ما أحرج اغماءك في هذه اللحظة ، فمن غير المعقول ان ندعك افطاراً لذيذاً للديناصور ، اصحي قليلاً لنرفعك ونساعدك على الفرار .

فتحت فهيمة عينيها وقالت بصوت خافت : أشعر بضعف شديد أين انا يا غالي ؟ .

ـ انت حتى الآن في أحضاننا ، ولكنك ستصبحين بعد قليل في حضن الديناصور هيا قومي بالعجل ارجوك .

تذكرت فهيمة الوضع السيء والخطر القادم ، فشدت من عزيمتها ووقفت وقالت بفزع : هيا نركض ونختبيء في شق ارض .

أمسك غالي بيد زوجته وشدها وركضا معاً باقصى جهدهما .

3 – كان عامل المراقبة في محطة الاقمار الصناعية التابعة للمعهد التقني ، يحضر قدحاً من الشاي الساخن في الصباح الباكر ، ليبعد النعاس عن عينيه ، حين لمح على شاشة المراقبة الرائدين يركضان

خائفين على غير هدى ، ثم لمح الديناصور يتبعهما ففرك عينيه مراراً ، ليتأكد من صحة مشاهدته ، ثم هرع الى الهاتف ليبلغ الدكتور برهام والبروفسور شاين .

قال عامل المراقبة على الهاتف : دكتور برهام . ارجوك ان تحضر فوراً الى المعهد ، إن وضع الرائدين خطر جداً ، لقد ظهر ديناصور على جزيرة الميني شوز .

رد برهام غير مصدق قول العامل : أتمزح ؟ أصدق ظهور بترول في الجزيرة ولا أصدق ظهور ديناصور ، لأن احدى نظريات تكون البترول ، ترجعه الى تحلل الحيوانات الضخمة والاشجار الكبيرة التي كانت تعيش في العصر الميزوزوي .

- سيدي اراه من مكاني الآن وانا اتحدث معك على الهاتف . ما زالت الاقمار الصناعية ترسل صوره ، وارجح ظهور الخبر في الصحف عما قريب ، كما انه من الممكن ان تعيد بثه اية محطة من محطات التلفزيون فيصبح ممكناً ان تراه على شاشة جهازك .

- تعلم ان الحقبة التي عاشت فيها الزواحف الضخمة ، قد انتهت بفناء كامل لكل الأحياء ، حيرت اسبابه العلماء ، واوجدت ثغرة واسعة في نظرية التطور قبل ظهور الثدييات .

- سيدي اعرف هذه المعلومات ، ولكن الديناصور يمرح الآن ويمرح على سطح الجزيرة ويهدد حياة الرائدين .

- سآتي حالاً .

وضع الدكتور برهام سماعة الهاتف وارتدى ثيابه بسرعة ، واسرع بسيارته متجهاً إلى المعهد .

* *

جلس الرائدان على جذع شجرة مائلة ليستريحا قليلاً وكان يلهثان من الركض ، فسأل غالي زوجته : هل يعتبر الديناصور من الحيوانات اللاحمة أو آكلة الاعشاب .

ـ ظهر الديناصور في مرحلة النباتات الضخمة المستنقعية ، وكانت قطعانه .

قاطع غالي زوجته : سيغمى علينا من كلمة قطعانه ، اصمتي ارجوك .

ـ دعني اسمعكم معلوماتي ليطمئن قلبكم قليلاً .

ـ تفضلي ستكون النتيجة واحدة بديناصور واحد أو قطيع منه .

ـ كانت قطعانه ترعى نبات السمار والحلفاء ، وترتع بين اشجار السرخس العالية ، وكانت تقف وتمسك الاشجار بطرفيها الاماميتين وهي تلتهم اوراق الشجرة التهاماً وقد بلغ طول بعضها مائة قدم .

ـ كم قدرت طول الديناصور الذي يتبعنا .

ـ أكثر من اربعين قدماً ، ألم تطمئنوا يا غالي لكونه لا يتغذى باللحوم .

شد غالي زوجته من يدها وهو يقول : ويلاه ، تكفي وطأة من قدمه حتى يقضي علينا . . هيا نبحث عن مكان آمن نختبيء فيه .

تمنعت فهيمة عن الركض وظلت واقفة لحظة ، ولكن صوت الديناصور الذي صرخ آنئذ جعلها ترتعش وتقفز كارنب مذعور .

• • •

وصل الدكتور برهام الى المعهد ، فشاهد البروفسور شاين يترجل من سيارته فاسرع اليه وقال : لم انت مضطرب يابروفسور شاين هل حدث مكروه للمتطوعين ؟

رد شاين مجيباً : سيقع في اللحظات المقبلة الا اذا انجدناهما بطريقة ما . اعتقد أن هذا الديناصور آلي ووضع على الجزيرة ليقتل الرائدين دون فضيحة .

ـ اتقصد الديناصور الذي صنعه المعهد ذات يوم ولم يجد مشترياًله ؟ ؟

ـ نعم ، انه مخطط ماكر من مؤسسة روبير رودان ، هيا لنراقب ما يحدث على ظهر الجزيرة ونصدر تعليماتنا فوراً لنبعد الخطر عن المتطوعين .

بدأت اذاعة المعهد التقني . . ليمداستيسان . . البث فوراً بعد وصول برهام الى المعهد ، فاذاعت الخبر الهام .

ظهر منذ الصباح الباكر ديناصور آلي ضخم ، قامت احدى الجهات بنقله الى جزيرة الميني شوز لافشال برنامج مراجعة الحاجات وقد فر الرائدان من وجه الديناصور واختبأ في شق صخري ، بينما يتقدم الديناصور نحو مكمنهما وغايته قتل المتطوعين الرائدين .

ويستطيع الوف المشاهدين متابعة ما يحدث على الجزيرة على شاشات التلفزيون ، وسيشاهدون باعينهم الصراع الدامي الذي سيجري بين انسانين ضعيفين اعزلين ، وبين الديناصور الآلي الضخم الذي يكفي ثقل طرف من طرفيه لقتل فيل ضخم .

وقد وصلتنا برقيات عديدة من جميع انحاء العالم ، يطلب مرسلوها التطوع في مشروع تقصير الحاجات ونقلهم في الحال الى جزيرة الميني شوز ، لمساعدة المتطوعين الرائدين الشهمين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة .

كان الشق الذي اختبأفيه الرائدان طولانياً وضيقاً وموجوداً في

عتبة اكمة ترتفع فوقه كرف صخري يحميه ويمنع الديناصور من عبور الشق . وما كاد الرائدان يلتقطان انفاسهما حتى قالت فهيمة مستنكرة :

ـ غالي . . . لم يعجبني هذا الديناصور كما يحيرني وجوده على الجزيرة .

اجاب غالي على الفور وقد ضاق صدره من حديث زوجته :

ـ أتريدين ان ندهنه لك بلون آخر ؟ .

ـ قصدت من غير المعقول ان يظهر الديناصور على سطح هذه الجزيرة ، لقد انقرضت هذه الحيوانات قبل ظهور الانسان .

ـ كلامك صحيح ، كانت الجزيرة خالية من البشر ومخصصة له .

ـ قصدت ياغالي وجد الديناصور وانقرض تماماً قبل ظهور الحياة مرة ثانية على شكل الثدييات .

ـ تفضلي كذبي سمعك وعينيك ، أو اخرجي اليه واعترضي على وجوده واقنعيه انه حيوان منقرض .

ـ فكروا معي ياغالي ، عندما لمحته اول مرة خفت منه ، ولكنه لم يعجبني بعد النظرة الثانية كديناصور محترم .

ـ اتظنيه ديناصوراً مغشوشاً ، سنحاول ان نتأكد من هويته وسلالته قبل ان نسمح له بقتلنا .

ـ حاولوا ان تفهموني ياغالي ، وجد حيوان الديناصور في الد[illegible] والوهاد المائية والبحيرات الطافية . وقد شك العلماء في مقدرته عل[illegible] حمل جسمه الثقيل خارج الماء .

ـ سيتأكد العلماء بعد وفاتنا من مقدرته على نقل جسمه و[illegible] اللحوم .

- هذا ديناصور مزيف ، وقد بدأ فضولي العلمي يدفعني الى الرجوع اليه للتأكد من صحة هويته .

- دعينا من فضولك العلمي ياحرمنا المصون ، فما اكثر ماقتل الفضول العلمي من علماء ؟ .

زعق الديناصور زعقة شديدة وكان قريباً جداً من الشق ، فانهارت الاتربة والقطع الصخرية الصغيرة امام الشق .

ارتعدت فرائص غالي من الخوف الذي لم يظهر على سمات فهيمة التي كانت ما تزال مشغولة الذهن بحل طلسم فرضية وجود الديناصور ، حتى انها تشجعت واقتربت من حافة الشق وتطلعت في اتجاه الديناصور ، بينما امسك غالي بيد زوجته وخاطبها قائلاً :

- تعددت الاسباب والموت واحد ، الموت حق على مخلوقات الله سنصبح شهيدي مشروع مراجعة الحاجات ، « اتشاهدي » يا حرمنا المصون واقرئي الفاتحة .

وراحت شفتاه تتلوان الفاتحة بسرعة ، ثم سمعت فهيمة العبارة الاخيرة (ولا الضالين آمين) . فقالت فهيمة :

- راقبت الديناصور ملياًياغالي ، فتأكدت من انه ديناصور آلي انظروا اليه واعطوني رأيكم .

بقي غالي يرتعش وقال :

- ليس المهم أن نتأكد نحن من طبيعته، وانما المهم ان يتأكد الديناصور من طبيعتنا فلا يطؤنا بقدميه فتكون القاضية .

- قصدت ياغالي ان تتدبر امرنا على ضوء كونه حيواناً ميكانيكياً ثقيل الحركة ، واعمى البصر الا اذا رآنا من يوجهه من بعيد .

فهم غالي مراد زوجته ، فزال بعض خوفه ، ولكنه سرعان

ما احس بخطورة الموقف فقال :

ـ ويلاه لقد اخترنا هذا المخبأ لمناعته على ديناصور حي لا يستطيع ان يخرجنا منه ، ولكنه من اسوء المخابيء بالنسبة لديناصور آلي ، يستطيع ان يضربه بطرفه فيهدمه علينا .

ـ ماالعمل ياغالي ، ولم يبق سوى عدة خطوات حتى يصل الى الشق ويسحق الصخور على رأسينا ؟ .

ـ لاندري ياحرمنا المصون تعالي نضمك الى صدرنا في اللحظات الاخيرة من عمرنا .

4 – امضى روبير رودان معظم ليلته ساهراً في مكتبه في انتظار ما ستأتي به الاخبار ، وكان يحاول الاتصال بوطواط عن طريق الباخرة التي اوصلته ، فلم يفلح فقد اهمل وطواط الاتصال به حتى ينتهي من قتل الرائدين ويزف له آنئذ البشرى كاملة . فاستمع الى نشرة اخبار المعهد التقني ، وجرب حظه مع جهاز التلفزيون فالتقط صور الرائدين والديناصور متلفزة على اكثر من قنال .

انصرف روبير رودان مشغوفاً الى متابعة اللحظات الاخيرة من حياة الرائدين حين دخل مدير المعهد المستر توم وبرفقته السيدة روزا ، فوقف مرحباً بهما ثم قال بعصبية :

ـ لم تأخرتما ؟ توقعت قدومكما قبل هذا الوقت .

اجاب مدير المعهد :

ـ لاتلم روزا ياسيدي ، لانها انتظرتني لنترافق معاً ، وقد أخرتني زوجتي بعض الوقت قبل ان انضم اليها .

قال روبير :

ـ ظننتك حريصاً على مشاهدة خطتك الجهنمية التي أثارت العالم

منذ الصباح الباكر ، انا شخصياً جفاني النوم ، فبقيت صاحياً في انتظار لحظة الانتصار الحاسمة على المعهد التقني .

قالت روزا متوددة :

- يبدو التعب واضحاً على وجهك مون باترون كانك مريض .

رد روبير :

- سارتاح بعد نهاية المعركة ، اجلسا الآن امام جهاز التلفزيون وشاهدا المعركة الرهيبة بين وحش الديناصور والمتطوعين الغرين .

جلست روزا على مقعد في مواجهة التلفزيون ، بينما جلس توم على معقد جانبي وراح يتأمل مفاتنها وقال مبتسماً :

- وضعت الخطة ولست حريصاً على مشاهدة مقتل الرائدين .

ارتسمت السعادة على وجه روبير رودان وهو يرى نجاح الخطة ، وازدادت حماسته للحظة الاخيرة فحدق بعينيه وصار يصرخ :

- هيا ياوطواط ، اطلق الديناصور الى الامام خطوة واحدة ليصطدم طرفه بالرف الصخري وتنهال الاتربة والصخور على الشق وتسحق المتطوعين .

بقي البروفسور شاين والدكتور برهام في غرفة المراقبة . وكان الدكتور برهام يحاول الاتصال بزورق المعهد التقني ليعطي تعليمات جديدة الى قائد الزورق ، حين ابتعد البروفسور شاين عن شاشة المراقبة متجهاً نحو النافذة حزيناً فسأله الدكتور برهام ملهوفاً :

- لم ابتعدت عن شاشة التلفزيون يابروفسور شاين ؟

اجاب شاين بلهجة يائسة :

- لم يبق سوى ثوان معدودات حتى يصل الديناصور الى الحافة الصخرية ويدمرها بثقله على الرائدين المسكينين ، لا اريد ان يظل

مشهد القتل عالقاً في ذهني حتى لا اصبح مجرماً حاقداً .
اقترب برهام من شاين وامسك بكتفه وقال :
ـ ليس هذا هو المشهد الوحيد في العالم الذي تسحق فيه انسانية الانسان امام الديناصور الجشع البطاش ، فيوجد ديناصور رهيب في كل مدينة من مدن العالم ، يسحق اصالة الانسان ويمحق مبادئه ويتكرر المشهد ويزداد الديناصور ابتلاعاً ونهماً ويبقى الانسان انشودة عطاء واغنية محبة واجتماع .
ـ وللاسف الشديد ، نظل نحن العلماء والمفكرين اولى باللوم والتقريع من الناس البسطاء ، لاننا نحن الذين نصنع الديناصور في كل زمان .
ـ نعم ياصديقي ، هذه هي الحقيقة المرة ، نحن نصنع الديناصور ثم يفلت من بين ايدينا فنتحسر على ما فعلنا ونقيم المؤتمرات ونرصد الجوائز من اجل السلام .
ـ انا واثق من ان واحداً من المعهد هو الذي اعطى فكرة الديناصور الى مؤسسة روبير رودان واشتراه لحسابه .
ـ رأيي كرأيك ، ولم يعد يهم ان نضيع الوقت حسرة على ما فات ، بل المهم ان نستمر في برنامج مراجعة الحاجات ، لنحرر الانسان من كل حيوانات الديناصور التي تحكم جموع الناس تحت شعارات ودعايات مضللة .
قطع عامل المراقبة حديث برهام وشاين بقوله :
ـ دكتور برهام . تعال وانظر ، لقد علق طرف الديناصور في حفرة قبل الاكمة ، ولم يعد قادراً على نقلها .
نظر الدكتور برهام والبروفسور شاين فشاهدا الديناصور عالقاً

فقال برهام :

- صار لدينا امل .

- أي امل ؟ ؟ ماذا تفيد بضع دقائق قبل حلول الكارثة ؟ .

- من يدري كيف تقع المعجزة ، ان اشتباك قدم الديناصور بحفرة بادرة حسنة .

- يتأمل اليائس وحده بوقوع المعجزة ، ولكن المعجزة لا تقع إلا لمن يحاول أمراً ، لمن يجرب الخروج من مأزق . فاذا لم يستغل الدكتور غالي وزوجته اللحظات الثمينة القادمة فلن تقع معجزة .

- لنحذرهما بواسطة إذاعة المعهد .

- ليسا في وضع مريح يدفعهما الى الاستماع الى الراديو .

- ساتصل على كل حال بالاذاعة ، واعطيها تعليمات جديدة حتى لا تبدي ضعفاً يستفيد منه خصومنا .

انصرف الدكتور برهام للتحدث مع الاذاعة على الهاتف بينما عاد البروفسور شاين الى متابعة المشهد وصار يبتهل لنجاة الرائدين .

• • •

حاول وطواط جاهداً أن يرفع طرف الديناصور ليضغط بها على الرف الصخري فتنهار الصخور على رأسي الرائدين ، ولكن طرف الديناصور لم تستجب الى قيادته فصار يصرخ غاضباً متوتر الاعصاب :

- ارفع طرفك واضرب بها الصخور ايها الديناصور اللعين ، هيا خطوة واحدة وتسحق المتطوعين . . لا أدري لم لا ترفع طرفك وتسحقهما ، أتراني أخطأت في ضغط المفتاح اللازم أم اصابك عطل في أحرج وقت ؟ .

انطلق صوت المذيع من اذاعة المعهد التقني قوياً :

ـ اذاعة المعهد التقني . . ليمداستيسان تواصل بث برامجها بالخبر الهام التالي ، توقف الديناصور الآلي قبل الخطوة الاخيرة التي كانت ستودي بحياة المتطوعين ، بسبب سقوط طرفه في حفرة صخرية . وما زال الرائدان يواجهان الموقف الخطير بصبر وشجاعة ، وصارت نجاتهما مرهونة بتحركهما السريع قبل ان يستطيع قائد الديناصور اخراج طرفه ودفعه ثانية الى الامام . وحتى تصلنا اخبار جديدة عن الموقف الخطير في جزيرة الميني شوز ، نقدم اليكم حضرات المستمعين الاكارم هذه الموسيقى الحماسية .

• • •

امتعض روبير كثيراً مما شاهده على شاشة التلفزيون فضرب على جبينه بيده متحسراً :

ـ انفشل في هذه المرة ايضاً في قتل المتطوعين بسبب حفرة قميئة ، ونصبح اضحوكة امام ملايين المشاهدين ويزداد مشروع الميني شوز قوة ومنعة ، هيا يا وطواط هيا فان قلبي يكاد يقف عن الخفقان . . ستورثني الجنون في الدقائق القادمة .

ثم نظر روبير الى مدير المعهد شزراً ، وتقدم منه وجذبه من يده نحو جهاز الارسال وقال وهو يصر على اسنانه .

ـ ارجوك حضرة المدير ، هل لديك حل لهذه الازمة التي وقع وطواط فيها ؟

ـ الحل في غاية البساطة ، ولكن قاتلك المأجور وطواط في غاية الغباء .

- قل لي ماالعمل لعلي استطيع الاتصال به وابلاغه .

- ليرجعه خطوتين الى الوراء فتخرج قدمه من الحفرة كما دخلت فيها .

- ماأغباني انا الآخر ، كيف لم اكتشف ذلك بنفسي .

وانصرف يعالج جهاز الارسال . لعله يوفق بسماع صوت وطواط يجيبه من جزيرة الميني شوز .

• • •

مرت دقائق على الرائدين دون ان ينهار الصخر عليهما ، فاقتربا من مدخل الشق فشاهدا الديناصور جامداً في مكانه فقالت فهيمة :

- هذا وقت ذهبي لنا ، هيا نهرب قبل ان يرانا سائق الديناصور .

- كلامك معقول ، ولكن اين المفر ؟ .

- سنسرع نحو الجبل ونصعد عليه .

- انتجو بصعودنا على الجبل .

- سنحاول ، ولااظن ديناصوراً ثقيلاً سيكون قادراً على اللحاق بنا فوق الجبل .

- مرحى لك ، رأيت هذا المشهد في فيلم مليون سنة قبل المسيح ، حين صعدالرجل البدائي مع افراد اسرته جبلاً ، والقى من علٍ احجاراً وصخوراً على الديناصور حتى دفنه تحتها .

- هيا لنعجل بالفرار .

خرجت فهيمة من الشق واقتربت من الديناصور وتبعها غالي ، وكان الاثنان يتقدمان بحذر وخوف شديدين خشية ان يتحرك الديناصور فيسحقهما بطرفه .

شاهد وطواط الرائدين يتسللان قريباً من طرفي الديناصور فأغاظه المشهد كثيراً وهما في طريقهما الى الفرار من بين براثنه ، فعبر عن غيظه مخاطباً نفسه :

- اللعنة على هذا الديناصور الآلي ما أغباه.. يقول المثل ، من حفر حفرة لاخيه وقع فيها ، بينما وقعت يا غبي في حفرة حفرها غيرك ، لقد وجدت صعوبة في قيادتك ، فكيف تنتظر مني ان اخرج طرفك ولم يعلمني احد طريقة اخراجه .

ويلغ حنقه اشده فضغط على التتابع عدداً من مفاتيح التشغيل متتابعة وهو يأمره بصوت مرتفع :

- اخرج طرفك من الحفرة اخرجها حالاً واسحقهما والا ضربتك وخربتك .

زعق الديناصور بصوته البشع ، واهتزت اركانه الاربعة متضايقاً من الاوامر المتضاربة التي وصلته ، فهلع الرائدان هلعاً شديداً وهما يران طرفيه يهتزان وصرخت فهيمة وجف حلق غالي فأمسك بيد زوجته واندفعا راكضين معاً كمتسابقين قبل نهاية شوط السباق .

شعر وطواط باحباط من ضياع فرصة قتل الرائدين ، فاخرج جهاز الارسال وبدأيعالجه ليتصل بالسيد روبير رودان فسمع صوته يناديه من مكتبه .

- روبير رودان يتكلم من مكتبه ، افد عن اشارتي حول . .

- وطواط يتكلم من جزيرة الميني شوز ، افد عن اشارتي حول . .

- اسمعني ملياً ياوطواط ، تستطيع ان تخرج قدم الديناصور من الحفرة بسهولة حول .

- من قال لك اني مختص بقيادة الديناصورات حول .

- الامر في غاية البساطة ياوطواط ، ارجعه خطوتين الى الخلف فيخرج طرفه ثم وجهه الى الامام بعيداً عن الحفرة حول .

- سانفذ فوراً ، ولكني اخشى ان يفلت الرائدان من بين يدي ، فهل استعمل سلاحي في المرة القادمة حول .

- نعم اتبعها بالديناصور ، فاذا خفت من الفشل اطلق الرصاص عليهما وارديها قتيلين . حول .

- سمعتك سيدي والى اللقاء حول .

ابتعد روبير رودان عن جهاز الارسال .

- سمعتك مون باترون . تسمح لوطواط بقتل الرائدين بالرصاص .

نظر نحوها حانقاً وأجاب :

- بلغ الحقد في قلبي اشده ، ولم اعد اطيق صبراً ، سادمرهما بالرصاص باية وسيلة ، حتى لو دمرت معاملي كلها . هيا يا وطواط اقتلهما رمياً بالرصاص ، سحقاً حتى العظم بالديناصور ، شنقاً على فرع شجرة ، خنقاً في الماء . اريد ان اخلص منهما اولاً ، ثم سأتدبر امري وامر معاملي مع الناس .

• • •

ابتسم البروفسور شاين وهو يشاهد الرائدين يركضان بعيداً عن الديناصور وقال مخاطباً الدكتور برهام :

- يجب ان نعمل بسرعة ، اتصل بقبطان مركبنا ، لينضم اليهما حالاً .

- ساتصل به على الفور ، واتحدث بنفسي من اذاعة المعهد .

قال الدكتور برهام من الاذاعة :

يعن على بال عدد من كتاب القصة ، ومؤلفي السيناريو للافلام ، ان يجمعوا بين الانسان وبين الحيوانات الضخمة المنقرضة ، التي بلغ وزنها عدة اطنان وقارب حجمها حجم عمارة من هذا العصر ، وهو امر لم يحدث قط في تاريخ الحياة الحيوانية والبشرية وعلى ظهر كوكبنا .

يعمد الكتاب الى جمع الانسان مع الديناصور ، او الماموث وهو جد الفيل القديم جداً ، ويفوق الفيل بعدة مرات وزناً وحجماً ، وذلك من اجل خلق الاثارة والادهاش ، وبث روح البطولة . بينما لا تحتاج المعلومات العلمية الى نفي ذلك لان حقبة العهد الميزوزوي التي كانت تعيش فيها تلك المخلوقات ، انتهت بتراجع الحياة ويجدب اصاب الكرة الارضية قبل ان تظهر الحياة التالية التي حققت وجود الثدييات .

يتصف العهد الميزوزوي برطوبة وحرارة شبه دائمتين ، فالجو ساكن صامت لا تحركه تقلبات الانواء ، ولا تعصف فيه الرياح . وتوجد الحياة مغموسة في الماء ، في الوهاد والاودية ، فهي لم تظفر بعد باستقلال طويل المدى عن الماء .ولا تتعاقب الفصول على سطح الكرة الارضية ، وانما هي في شبه ثبات تحت تأثير حرارة عالية ورطوبة دائمة .

مُحيَت تلك الحقبة محواً تاماً ، فاختفت الاشجار الضخمة والزواحف الضخمة لتحل محلها حيوانات اخرى ليس لها صلة بالزواحف ، ولا متطورة عنها ولا متحدرة منها ، ولا مجال للريب في ان هذه النهاية التي أصابت الزواحف والتي تبدو فجائية في بابها ، انما هي اعجب الانقلابات واشدها اثارة للدهشة في تاريخ الارض بأجمعه ،

قبل مجيء الجنس البشري .

والراجح هو ان لها علاقة بابتداء عصر جديد تمايزت فيه الفصول فصار الشتاء اكثر برودة ، واشد وقعاً ، وصار الصيف اقصر امداً واشد حراً ، وقد مهدت تقلبات الانواء الى دفع الحياة لتجد لها حماية خلف الريش والفراء والوبر والشعر وعلى الرغم من الحقائق التي قدمناها ، يصف بعض المؤلفين ، الانسان البدائي بانه صائد الماموث الشعري الكبير ، والدب والاسد ، ولكن من ابعد الامور ان يكون الانسان المتوحش قد اصطاد في يوم من ايامه حيواناً يزيد حجمه كثيراً عن الارنب الجبلي أو الارنب المنزلي و الفأر البري ، بل الراجح ان يكون الانسان المتوحش هو الصيد لا الصياد .

انهى الدكتور برهام كلمته ، ثم وجه تحية شكر للذين ارسلوا برقيات التأييد لمشروع الميني شوز ، ثم عاد المذيع لينقل اخبار الرائدين ويوجه تعليماته للمتطوعين الجدد .

5 – استطاع وطواط ان يخرج الديناصور من الحفرة بعد جهد ، ثم تابع الرائدين دون حذر في هذه المرة . وبقي الرائدان يركضان في اتجاه الجبل هرباً منه ، حتى تعبت فهيمة فأبطأت فتخلفت عن زوجها فوقف غالي ينتظرها وصرخ يستحثها على متابعة الركض :

- اركضي يافهيمة . . حياتك في خطر هيا هيا .

وقفت فهيمة لاهثة على مقربة من زوجها وقد اعياها الركض وقالت :

- تقطعت انفاسي وما زال الجبل بعيداً ، دعنا نستريح يا غالي .

- لن نستريح حتى نعتلي الجبل .

امسك غالي بيد زوجته وجذبها قائلاً :

ـ ليس لدينا وقت كاف للاستراحة سيتبعنا الديناصور في الحال .

ـ لم اعد اقدر على الحركة خطوة واحدة ، ارجوكم يا غالي ، انجوا بروحكم ودعوني اموت تحت اقدام الديناصور .

ـ شدي من عزيمتك ياعزيزتنا ، سننجو معاً اذا صعدنا على الجبل ، الى ارتفاع يفوق ارتفاع الديناصور ، فلا تعود رقبته الطويلة قادرة على الوصول الينا .

ـ كلامكم صحيح ياغالي ولكن قواي تلاشت كلها ، دعوني استلقي على الارض وانام مرتاحة واواجه مصيري قانطة لانني بلغت ذروة الرعب واليأس .

ـ نحن نحبك يافهيمة ولايطاوعنا قلبنا على تركك تموتين بهذه البساطة سنعمل المستحيل لانقاذك حتى لو اضطررنا لحملك على ظهرنا .

قال غالي ذلك وانحنى لتعتلي زوجته ظهره ، فركبت فهيمة على ظهر غالي وطوقت رقبته بساعديها ، وحاول غالي ان يتحرك فعجز لثقل زوجته فقالت فهيمة :

ـ ركبت ياغالي ، هيا عجلوا بالفرار .

ـ لاتبالغي بتقدير قوة زوجك ، يستحيل ان نعجل ، مرحى لنا اذا استطعنا المشي ببطء السلحفاة .

اخذ غالي نفساً عميقاً ، وشد من عزيمته ، واندفع الى الامام وهو يترنح تحت حمله الثقيل ، بينما كان وطواط يسوق الديناصور بسرعة ، ويضغط على مفتاح الصوت بين حين وآخر فيصرخ الديناصور بصوته البشع ، فتلتهب حماسة غالي على المضي قدماً خوفاً

على حياته وحياة زوجته .

وصل غالي بعد جهد مضن الى اسفل الجبل ، وبدأ يصعد على دربه الملتوي ووجد صعوبة كبيرة في اعتلاء الجبل ، فلحق الديناصور بهما ، وكاد رأسه ان يرتطم برأس فهيمة فعاد وطواط يكلمه متحمساً للوضع الذي وصل اليه :

- لاتكسفني ايها الديناصور اللعين هاهما المتطوعان يسيران امامك ببطء السلحفاة على الدرب الجبلي ، مد رقبتك الطويلة وادفعهما برأسك ليسقطا نحو الهاوية ويدق عنقاهما ، هيا انطحهما فيقعا في الحال . ايها الديناصور اللعين انت ابلد منهما ، لو اعتمدت على سلاحي اذن لقتلت رهطاً من الناس في نصف الوقت اتعجز عن دفع اثنين الى الهاوية ، هيا انطحهما .

وصار الوضع خطيراً جداً ولم يعد قتل المتطوعين يحتاج الى أكثر من نطحة خفيفة لأن غالي نفسه يكاد يهوي وحده من الجهد والتعب .وحار وطواط كيف يحرك رقبة الديناصور ، فضغط عدة مفاتيح على لوحة التحكم فصرخ الديناصور قرب اذن فهيمة ، فجمدت فزعاً على ظهر زوجها ، بينما وثب زوجها من الرعب ، وشعر بعرق متواصل يغمر ظهره وينساب حتى اخمص قدميه فقال وهو يلهث :

- لم نعرق في عمرنا مثل هذا العرق الكبير .

فاجابت فهيمة بخجل واستحياء متلعثمة :

- لاياغالي ليس ماتحسون به عرقاً صرفاً ، انه عرقكم مع افراز حيوي فيزيولوجي افلته عضو الافراز نتيجة الخوف الشديد ، اسرعوا يا غالي . . حتى لا يدفعني رأس الديناصور الى الهاوية .

- لاتخافي يافهيمة اجتزنا حد الخطر وسنصبح اعلى منه ونفترق عنه عند منحنى الدرب بعد عدة خطوات .

وابتعد الدرب بعد المنحنى في اتجاه مغاير ، فصار الديناصور عاجزاً عن الوصول الى المتطوعين فشعر وطواط بالحسرة وقال غاضباً :

- اضعت الفرصة مرة ثانية ايها الديناصور اللعين ، ولن تستطيع متابعتهما على الدرب الجبلي ، ستفقد توازنك بسبب ثقلك وتسقط الى الهاوية ، ساتركك واعتمد على سلاحي بعد الآن ، ساتبعهما بنفسي واريدهما قتيلين بمسدسي .

اخرج وطواط مسدسه وتفقده ، وتبع المتطوعين متسللاً على الدرب الجبلي .

* * *

شاهد روبير رودان فشل عميله وطواط في قتل الرائدين بالديناصور ، وشاهده وهو يجهز سلاحه ويتبعهما فقال مخاطباً مدير المعهد :

- اسمع حضرة المدير ماسأقوله لك وافهمه جيداً ، وبلغه الى زملائك في المعهد التقني ، اقول لك من حسن حظ المعهد التقني ، وكل المعنيين بمشروع مراجعة الحاجات ، ان ينجح وطواط في قتل المتطوعين ، لانني ساتصرف بقسوة في حال فشله هذه المرة ، سالجأ الى وسائل اجرامية لم تخطر في بال انسان ، ساقدم على وضع سيارات مفخخة بعبوات ناسفة في المعهد نفسه حتى ولو قتلت البروفسور شاين او الدكتور برهام او كلاهما ، هل فهمت حضرة المدير .

- ارجو ان ينجح وطواطك في قتل المتطوعين حتى لا تصل الامور الى هذا الحد ، فنفترق آنئذ واخسر صداقة روزا ، ما رأيك سيدتي ؟ .

- انا واثقة من نجاح وطواط في مهمته ، لانه ماهر في استخدام المسدس لدرجة انه يسدد ويصيب القلب دائماً .

ثم اردفت :

- انظرا . . هاهو يقترب من الرائدين .

● ● ●

سكن اضطراب المتطوعين قليلاً بعدما اجتازا المنحنى ، ووقف غالي ليستريح وينزل زوجته عن ظهره ، فافلتت يداه زوجته من شدة ارهاقه ، فوقعت فهيمة وارتطم قفاها بالارض بشدة فصرخت متوجعة وقال غالي :

- لم صرخت . . ماذا حدث ؟ ؟

- القيتم بي ككيس مملوء بالبطاطا ، فارتطم قفاي بالارض .

- سامحينا يافهيمة ، لم نقصد الاساءة الى قفاك ولكننا تعبنا كثيراً من حملك فلم تطاوعنا يدنا على انزالك برفق .

- اشكركم مهما فعلتم ، لانكم انقذتم حياتي ياحبيبي .

نظر غالي الى زوجته فشاهدها جالسة القرفصاء على الارض وقد اهملت جمع اطراف ثوبها الذي انفرج عن وسط فخذيها وكشف عن ملابسها الداخلية . فاحتد غاضباً وقال : اسمعي يا فهيمة ، عذرنا انحسار ثوبك عن ساقيك وفخذيك طوال المحنة ، وسكتنا على مضض ، ورجاؤنا الآن ان تحتشمي قليلاً حتى لا تقتلنا الغيرة من مشاركة الملايين لنا بالنظر الى « كيلوتك » في هذا الوضع الفاضح .

- سهوت عن ثوبي بتأثير الخطر ولكني اقدر غيرتكم .

وقفت فهيمة لتسدل ثوبها فلمحت رجلاً يتسلل قادماً نحوهما فصرخت : انتبهوا انتبهوا يا غالي : لمحت رجلاً يتسلل خلفكم وبيده مسدس .

التفت غالي ليرى وطواط مصوباً مسدسه نحوه من بعيد ، واطلق وطواط الرصاص وسمع دوي طلق ناري ، وسمعت زمجرة كلب ضار ، وكان غالي قد رمى نفسه على الارض ، فلم يصبه الطلق . وقال : انه وطواط الذي حاول اغتيالنا من قبل اختبئي منه يا فهيمة .

احتمت فهيمة خلف صخرة وقالت : ماذا سنفعل سيتبعنا صاعداً ونحن اعزلان .

- سننتظر حتى يظهر عند المنحنى فيفر احدنا ويدفع الثاني تلك الصخرة في اتجاهه لعلها تصيبه .

- أيها اسلم ياغالي ؟

- الامر سيان يافهيمة ، من يدري كيف سيطلق وطواط الرصاص ، انها لحظة وقد تخطئه الصخرة فيقتلنا واحداً بعد الآخر .

- اختاروا مكانكم يا غالي . .

- نفضل ان تشغليه بفرارك فنهجم باتجاهه وندفع الصخرة نحوه .

ظهر وطواط عند المنحنى فصرخ غالي يأمر زوجته بالفرار : ابتعدي بسرعة يافهيمة .

ركضت فهيمة مبتعدة ، وفاجأ غالي وطواط متجهاً نحو الصخرة ، ففضل وطواط ان يطلق على غالي فاصابه في كتفه ، وظهرت الكلبة من خلفه ووثبت عليه فسقط على الارض ودفع غالي الصخرة فانحدرت وانحدر في اثرها جرف من الصخور ، وحاول وطواط ان يقف على رجليه ، ولكنه لم يكد يرفع قامته حتى وصله جرف الصخور وصدمه واخذه معه الى الهاوية .

♦ ♦ ♦

الفصل الثامن

1 - راجع جمهور غفير من الناس ، مكاتب مراجعة الحاجات في جميع انحاء العالم من اجل الانضمام الى مسيرة الخلاص من التلوث والتسلح والاجرام . واذاعت ليداستيسان من اذاعة مونت ماربيا الخبر بلهجة المنتصر ، وبثت اخبار المتطوعين الرائدين الدكتور غالي والدكتورة فهيمة . فتحدثت عن اصابة الدكتور غالي بجرح في كتفه وعن مقتل وطواط . ثم أذاعت خبر صعود مائة من المتطوعين على اول باخرة تستعد للرحيل الى جزيرة الميني شوز .

اشتدت الحركة في جميع اقسام المعهد التقني ، بعد هذا الانتصار الذي حققته برامج مراجعة الحاجات ، فصافح الدكتور برهام البروفسور شاين بحرارة وعانقه وغمرتهما الفرحة ، وجلسا يتحدثان .

قال البروفسور شاين : انتهت مرحلة اليأس ، ونحن على ابواب تحقيق برنامج الميني شوز ، وخلق الحياة الحرة السعيدة ، قل لي ماذا فعلت من اجل المتطوعين الرائدين الشهمين .

ـ أمرت زورقنا بالتوجه فوراً الى الجزيرة لاعادتهما ، هل توجد لديك اعمال هامة لنشرع في تنفيذها .

ـ كنت انجزت ملخصاً يشرح الخطوط العريضة لبرنامج مراجعة الحاجات ، ويقدم صورة مجملة عن اساليب الحياة في جزر الميني شوز ، ليعرف المتطوعون واقع مستقبلهم على ظهر تلك الجزر ، فمن

احب حياة الوداعة والبساطة والفنون الجميلة ومن احب حياة الانسان الحر المفكر ، فاهلاًبه . . ومن أحب الحياة الصاخبة ، حياة القلق والاثارة والاضطراب ، فلا مكان له معنا في الجزر .

ـ سأدفع الكتاب الى الطبع بسرعة ، واوزعه في اقرب وقت ، وساوجه الاذاعة كي تتحدث عنه في برامجها .

شكر شاين الدكتور برهام على حماسته وانصرفا الى مواصلة العمل .

* * *

فرح روبير رودان باصابة غالي ، ولكنه حزن على مقتل وطواط كثيراً ، لأنه كان وفياً له وعزيزاً على قلبه ، فاعتزل في مكتبه عدة ساعات لا يسمح لاحد بالدخول اليه أو مقابلته ولا يكلم أحداً على الهاتف ، فاضطرّت السيدة روزا عارضة ازيائه الى البقاء خارج مكتبه ، وظلت تنتقل من مكان الى آخر دون ان تستقر في مكان . وخشي المستر توم ان يغادر المؤسسة فيغضب روبير عليه ويعتبره تقصيراً كبيراً من قبله خلال محنته فبقي مرغماً .

فتح روبير رودان باب مكتبه وظهر فجأة للعيان بوجه باسم واعصاب متينة وطلب الدخول من روزا والمدير ، وصب ثلاثة اقداح من الويسكي ووزعها ، وقال برباطة جاش وهو ينظر الى المدير : قم وقبل روزا .

استغرب توم هذا الطلب في هذا الوقت العصيب ، فتردد قبل ان ينفذه خوفاً من امر مبيت ، ثم نفذه ببرود فقال روبير : كيف تجد متانة اعصابي مستر توم .

اجاب توم : اراك متماسكاً جداً على نقيض ما اوحيت به .

بانفرادك عدة ساعات .

رد روبير بهدوء بالغ : هل تذكر تهديدي السابق ، حين ظهرت بوادر الفشل ، اعده على مسمعي ، اريد ان اغذي روحي به .

قال المدير : قلت بالحرف الواحد ، من حسن حظ المعهد التقني ، وكل المعنيين بمشروع المبنى شوز ، ان ينجح وطواط في قتل المتطوعين ، لانني في حال فشله .

قاطع روبير المدير ليكمل العبارة الفذة مفرغاً حقده : سأتصرف بقسوة لا تخطر على بال انسان ، ساقدم على اجرام لا تتوقعه البشرية على الاطلاق . اسمع حضرة المدير ، لقد سقط وطواط شهيداً ، وهو يدافع عن مؤسسة روبير رودان (ر . ر) ومثلها الحضارية في تجميل النساء ، وتفجير الجنس ، نعم ، نحن لنا مبادئنا ولو أنها تخالف مبادىء البروفسور شابن ، نحن لا نريد الراحة للانسان على الارض ولا نريد ان نحرر احداً نريد ان نلهب ظهور الناس بسياط الاستهلاك ، لنحقق عالم الاثارة الذي يلذ لنا . . ثم التفت روبير نحو روزا وقال : اخلعي ثيابك يا روزا ، وابقي بمنتجات (ر . ر) .

خلعت روزا ثيابها الخارجية ، وجلست على المكتب في وضع مثير للغاية فسأل روبير المستر توم : هذا هو اتجاهي . . هل فهمت ؟

رد توم مبتسماً : فهمت اتجاهك ، وأن اميل الى الاخذ باتجاهك .

رفع روبير قدحه وقال : لنشرب نخب تعاوننا الصادق ، قررت ان تحل مستر توم محل وطواط في مؤسسة (ر . ر) .

شعر توم بحرج ازاء هذا القرار ، وظهر الحرج جلياً في وجهه ، فشرب النخب مرغماً ، فقالت روزا مخففة وقع كلام روبير على المدير :

هذا شرف كبير اولاك اياه مون باترون .

قال المدير غير قانع بهذا الشرف : اتتوقع مني ان احمل سلاحاً واقاتل خصومك يا سيد روبير .

رد روبير : انت غير قادر على ايذاء نملة ، ولكني قصدت ان اجعل مقامك عندي في مكانة وطواط ، الرحمة عليه . ساكتفي باصطحابك الى المؤسسات التي تماثل مؤسستي ، والى كل المؤسسات المصنعة المهددة بالدمار لنقنعها بالخطر الذي يتهددها بعد تطبيق مشروع الميني شوز في كل انحاء العالم .

المدير : افضل ان استقيل من ادارة المعهد قبل اصطحابك حتى لا يبدو الامر مضحكاً . في نظر الذين ستزورهم .

قال روبير : سيكون كلامك اشد تأثيراً عليهم بصفتك مديراً للمعهد التقني .

رد توم : نعم ، وستكون الفضيحة اشد تأثيراً علي ، وعلى المعهد التقني انت تعمل على دماري . . تصور حجم الاساءة التي ساقدمها للمعهد التقني سيحاكمني المعهد ويطردني مع فضيحة كبرى في كل الاوساط .

تدخلت روزا في الحديث وقالت مشجعة المدير : ستتم الزيارات في الخفاء كخفاء لقائنا في شقتي مستر توم .

بقي توم مصمماً على الرفض فنبهه روبير بان الفضيحة التي تنتظره اشمل واعم اذا بقي رافضاً فسأله توم : ماذا ستفعل اذا امتنعت عن التنفيذ ، هل ستجبر روزا على مقاطعتي ، ايطاوعك قلبك ان تفرق بين حبيبين .

ضحك روبير بشدة حين سمع كلمة حبيبين وقال : انظر الى

وجهك في المرآة مستر توم ، هل تنطبق عليك كلمة حبيب وهل تناسبك وتناسب روزا كلمة حبيبين ، ستنفذ اوامري وتمتثل لها كما كان يفعل وطواط ، والا فان مجموعة صورك مع روزا ستصل الى زوجتك والى زملائك والى كل المجلات التي ترحب بفضائح العظماء .

شعر توم بخوف من وجود صوره برفقة روزا ، وتذكر ما كان يحصل بينهما فقال مستنكراً ، من طلب تصوير مسلسل لقاءاتنا ، أكنا في حلقات تجسس ؟ . وايقاع بعظماء الناس يا روزا ، أم كنا عاشقين يحبان بعضهما .

قالت روزا محاولة ان ترد التهمة عن نفسها : ياللفضيحة سانتحر اذا نشرت صورة واحدة من صورنا مون باترون ، ستدمر سمعتي مسيو روبير . . انا لن اتساهل في امر كهذا ، كيف سمحت مسيو روبير بوجود شخص ثالث يراقبنا وكنا في اوضاع مخزية .

قال روبير : اطمئنا تم التصوير اتوماتيكيا ، دون رقابة احد وكانت الكاميرات مثبتة لتلتقط ما يجري في السرير فقط .

صرخت روزا : « واخجلتاه » . . ثم اغمي عليها . فوقعت بين يدي المستر توم الذي لاحظ اثر الصدمة على اعصابها ، فسارع لالتقاطها ، بينما اخذ روبير زجاجة صغيرة من درجه وصب منها عدة نقاط على منديل وقربه من انف روزا التي بدأت تستنشق الهواء بعمق وكان توم يعاتب روبير قائلاً : الا تخجل من سلوكك العاهر مع روزا عارضة ازيائك ، ومعي انا الصديق الوفي لمؤسستك .

فرد روبير : كان اولى بك ان تفكر قليلاً قبل ان تغطس في مغاطس الحلوى الى شحمتي اذنيك .

وتنهدت روزا وهي بين يدي توم وقالت باكية : ارجوك حط

المدير ، نفذ ما يطلبه منك روبير رودان حتى لا يدمر مستقبلي ومستقبلك ، او دلني على سم ثلاثي المفعول يقضي على حياتي فارتاح من سماع الفضيحة .

قال المستر توم بشهامة : سانفذ اكراماً لحياتك وانقاذاً لشرفنا ياروزا . فعانقته روزا وهي ما تزال شبه عارية بمنتجات روبير رودان الداخلية فقط .

2 — مر الوقت ثقيلاً على المتطوعين غالي وفهيمة في جزيرة الميني شوز ، ولم يستطيعا الانتقال سوى مسافة قصيرة في اتجاه الخليج ، وسألت فهيمة زوجها ، لتطمئن على صحته : غالي . . يا حبيبي يا غالي ، هل تحسنت احوالكم ؟ .

ـ اطمئني يافهيمة ، توقف نزيف الدم لن نموت بسرعة بنزف جرحنا ، بل سنموت ببطء من التهاب الجرح واصابتنا بالحمى .

ـ ابعد بالشر ، ليتنا كنا نمثل فلماً على الجزيرة ، بدلاً من تجارب الميني شوز لكان في استطاعة اي ممثل ان يخرج الرصاصة من كتفكم كجراح .

ـ الا تستطيعين اخراجها يازوجتنا العزيزة كما في الافلام .

ـ ساحتاج الى ماء ساخن والى سكين محماة في النار ، ثم ساحتاج بعد الماء والسكين الى دراسة سبع سنوات كطب عام وحتى لا اقطع شرياناً أو عصباً فاقضي عليك . افضل وجود جراح مختص لاعمل مساعدة له .

ـ قرأنا ذات مرة ، ان الخنازير البرية ، تعالج جراحها بلعقها وتغطيتها باوراق اللبلاب حتى لا تلتهب ، وقد تعلم الرجل البدائي منها تضميد جراحه .

- ذكرتموني ياغالي بامر هام ، قرأته بدوري ، سيساعد على الشفاء بسرعة ، ساعالجكم بالبنسلين .

- هل تحملين هذا العلاج الهام في حقيبتك دون علمنا ، ام تتوقعين وجوده في مستوصف الجزيرة بعد عدة سنوات ، ام ستحضرينه كما فعل الكسندر فليمنغ .

- أنا لاامزح ، قرأت ان العرب كانوا يعالجون جراحهم ، والتهاب حلوقهم بالعفن الازرق ، قبل الف سنة من اختراع البنسلين ، والعفن الازرق هو المادة الاولى التي استخدمها مكتشفه في تجاربه .

- هل تأملين ان تجدي قليلاً من العفن الازرق في الجزيرة .

- لم لا . . ساجد كميات منه بسهولة واضعها على الجرح .

- لاتتعبي نفسك ، نتوقع وصول نجدة المعهد التقني خلال ساعة على ابعد تقدير .

- كلامكم صحيح ياغالي ، ولكني كنت احاول اثبات قدرة الانسان على البقاء حياً باعتماده على الطبيعة .

- دعينا من نشاطك وتجاربك وآرائك ، اثبت ماضي الانسان بقاءه حياً باعتماده على الطبيعة وحدها ، وما زال الامر كذلك ، لا تنخدعي لانه لا يوجد مصدر آخر ، وما تفعله التقنية الحديثة ، سرعة في التحويل من شيء لآخر . اسمعينا اذاعة المعهد لنطمئن . .

* * *

« سيجارة لوار هي الاكثر رواجاً في العالم . . لانها تورثك سعلة مزمنة تشتد في الليل ، فتبعد اللصوص عن منزلك . . سيجارة لورا وسعلتها الاكيدة حارس امين لممتلكاتك . . دخنوا سيجارة لورا الفاخرة وتمتعوا بسعلة فاخرة » . .

« سيدتي . . احرصي على تجديد مظهرك امام معارفك ، حتى تظلي مشعة متألقة على مدار السنة ، ولتحقيق الاشعاع اياك ان تلبسي فستانك مرتين اقتني فساتين بعدد ايام السنة تظهري كوردة ذات ربيع دائم . . محلات التألق والاشعاع في خدمتك لتزودك بفساتين على عدد ايام السنة ، والدفع بالتقسيط حيث تدفعين ثمن ثوب يومياً » .

« البسة نسائية داخلية رائعة من منتجات مؤسسة (ر . ر) مع الاكسسوار الانيق الملائم . مؤسسة روبير رودان المؤسسة الأكثر شهرة في العالم » .

• • •

احتدم غضب الدكتور غالي وهو يسمع الاعلانات ، فمد يده واغلق المذياع بشدة فقالت الدكتورة فهيمة : يبدو ان الغدر طابع هذا العصر ، نقاتل وطواط قبل ساعة ، ويصيبكم يا غالي بجرح بليغ ، وتقتلونه ويذيعون اعلانات مؤسسة (ر . ر) من اذاعة مراجعة الحاجات .

ـ سنفقد سلامة تفكيرنا يا فهيمة ، هل يوجد وفاق خفي بين المعهد التقني ومؤسسة روبير رودان أم لا يوجد . . وما هي حدود هذا الوفاق ؟ ؟

ـ لاتسألوني ياغالي ، اشعر ان المنطق النسائي اسلم من منطق هذه اللعبة التي نمارسها كلنا دون فهم .

ـ كيف تسميها لعبة وقد عانينا من ارهابها معاناة شديدة ، وسقط وطواط قتيلاً فيها ، ولا ندري كم عدد ضحاياها في المستقبل ؟ . .

ـ تبدو الارواح غير ذات قيمة في منطق اللعبة نفسها .

ـ مادخلنا نحن ، في هذه الرحلة المشؤومة . . لم تطوعنا ؟ سنصر على العودة الى وطننا في اول اتصال مع المعهد .

ـ من يدري متى يتم هذا الاتصال ؟ ؟ قد نموت قبل اي اتصال .

حاول غالي ان يتنقل مسافة ثانية ، تقربه من الخليج ، ولكن الم جرحه البليغ ازداد مع مرور الوقت ، وبدا اليأس من النجاة يراود فكره فجلس قانطاً وقالت فهيمة : غالي ساصعد وحدي على هذه التلة وانظر في اتجاه الخليج ، لعلي اشاهد احداً قادماً .

ـ اصعدي ياعزيزتنا قبل ان نموت كمدا . فقد مر اكثر من الوقت اللازم لنجدتنا .

صعدت فهيمة التلة ، فشاهدت زورق المعهد التقني راسياً في الخليج ، وشاهدت القبطان يتقدم على الساحل فلوحت بيدها فرحة وصرخت حتى لاحظها الربان ولوح لها بيده ، فنزلت التلة لتخبر زوجها ، وصلت النجدة يا غالي .

سأل غالي ببرود : هل الربان نفسه الذي اوصلنا واعجب بك كثيراً .

ردت فهيمة وهي مطرقة رأسها خجلاً : نعم ياغالي ، لم تسألون هذا السؤال ؟

ـ أهذه نجدة لك أم لنا .

ـ حسنوا الظن بزوجتكم فهيمة ياغالي .

ـ لنحسن الظن ، سنرى كيف تستقبلينه وكيف يعالج امرنا ويعاملك ؟

وصل الربان ونظر الى الدكتورة فهيمة ، مفرغاً شوقه اليها

بنظرات ساخنة وقال بلهفة : دكتورة فهيمة . . سيدتي الجميلة ، لن تتصوري الدقائق الرهيبة التي قضيتها فوق زورقي ، خوفاً عليك من وحش الديناصور ومن ذلك السفاح الذي رافقه .

قال غالي حانقاً : لِمَ لَمْ تهب الى نجدتنا حضرة القبطان .

ـ كنت مسؤولاً عن الشواطىء ، حتى تلقيت امراً بالنزول الى الجزيرة ، فقدمت حين تلقيت الامر .

قال غالي : كيف وصل الديناصور مع مراقبتك الشديدة للشواطىء .

ضحك الربان : هل تظن قارباً واحداً يكفي لحراسة شاطىء كبير كهذا .

ـ سأل غالي مجدداً : لم تأخر وصولك ؟

ـ انا شخصياً ، لاتفسير عندي ، سل الدكتور برهام حين تقابله ، فلديه التفسير .

ـ نحمد الله على انك تلقيت الأمر اخيراً ، ولو انه بعد فوات الاوان .

اقترب الربان من فهيمة وقال : سيدتي الجميلة كنت مثالاً للشجاعة ، وقدوة للابطال ، وفخراً للاجيال الصاعدة . . راقبتك من بعيد بمنظاري المقرب وشاهدت عنفوانك في المعركة ، واعجبت بك جداً ، دعيني اطبع قبلاتي الحارة على يديك سيدتي الجميلة .

ظلت فهيمة صامتة ، بينما قال غالي : هل منظارك يقرب السيدات ولا يقرب صور الرجال .

ـ لم هذا السؤال انه منظار عادي .

ـ نستغرب عدم الاشارة ولو بكلمة الى صراعنا مع السفاح وطواط .

ـ هل خضت المعركة الى جانب الدكتورة فهيمة ؟

ـ يبدو أن منظاره مركز عليك طوال الوقت ، ارجو ألا تكون الاقمار الصناعية قد تابعت نضالك وحدك ، واحسرتاه على حظنا . . ألا ترى اننا مصابون بطلق ناري ؟ .

ـ ظننت اصابتك بسبب آخر ، سابدي اعجابي بك بعدما انتهي من التعبير عن اعجابي الشديد بالدكتورة فهيمة .

حافظت فهيمة على صمتها ، حتى لا يزداد غضب غالي ، ولكنها اضطرت الى الكلام لتخفف من توتر الحوار بين الرجلين الذي ازداد حدة فابتسمت مجاملة الربان وقالت : اشكرك على تقديرك الجم ، ومساعدتك الفعالة .

تشجع الربان وقال : اقتربي لاقبلك مهنئاً على نجاتك ودعيني افرغ اعجابي المتزايد باعظم امرأة عرفتها في حياتي .

صرخ غالي : هيه . . نحن ننزف ، وليس لدينا استعداد لدخول معركة جديدة من اجل حرمنا المصون .

حاولت فهيمة ثانية ان تهدأ الجو المشحون فقالت : اعجابه غير مضر يا غالي ستبقى القصة في حيز المجاملات .

رد غالي : الم تفهمي بعد ان اعجاب الربان اعجاب منحاز ، والا لم لا يطلب تقبيل يدنا السنا مناضلين ؟ تعال وقبل يدنا وقبلنا متى شئت .

بدل الربان الموضوع حين شاهد غالي يوبخه بصوت قاس فقال : هل عرفتيا بقرب وصول مائة متطوع الى الجزيرة ، ستزدحم الجزيرة بالمتطوعين من كل انحاء العالم .

قال غالي : نشكرك على هذه المعلومات ، الديك اخبار محزنة

اخرى ، سنصبح على ظهر الجزيرة مائة رجل والربان ، وانت المرأة الوحيدة ، هل نستبشر خيراً أم نحزن يا حرمنا المصون .

صحح الربان فهم غالي الخاطىء وقال : سيصل مائة متطوع رجالاً ونساء .

قال غالي : عجل بالتفسير لانه كاد يغمي علينا .

قالت فهيمة وقد ضجرت من هذا الوضع المحرج : صرت افضل الرحيل عن الجزيرة فوراً لان زوجي بحاجة الى عناية شديدة .

رد الربان : انا في خدمتك سيدتي الجميلة ، انا قادم من اجل جلائك عن الجزيرة . لان الدكتور برهام في انتظارك ليناقش معك ابعاد الرحلة ، هيا تقدمي امامي الى الزورق .

ـ اعوذ بالله من هذا الربان ، يتحدث معك كأنك صرت ارملة وانتهى امرنا الى غير رجعة .

اشار الربان بيده لفهيمة كي تتقدمه فقالت : اتتوقع ان اسافر معك ، واترك زوجي وحده مصاباً في الجزيرة .

اوضح الربان موقفه : طبعاً لا . . ستأتين معي ، لنحمل معا المحفة ، ثم نعود لننقله على المحفة برفق ولكني وجهت حديثي لك ، لانك موضع اهتمام الناس كلهم في جميع انحاء العالم انت الاصل يا دكتورة فهيمة في عالم الميني شوز .

سار الزورق مسرعاً ، يشق أمواج البحر ، وبقيت فهيمة الى جانب غالي وما زالت تشعر بغضب زوجها على الربان ، فصارت تواسيه وتحدثه : هل أنتم مزعوجون يا غالي ؟

ـ نكاد ننفجر غيظاً من سلوك الربان الوقح .

ـ هل أساءت زوجتكم التصرف ؟

ـ آلامنا تزداد يا فهيمة ، نذهب لنضحي بأرواحنا من أجل خلاص البشر فنشعر بوجود جبناء خارج المعركة ، يترقبون ساعة وفاتنا ليحصلوا على أرملتنا كما فعل داوود مع أرملة أوريا الحثي . . صرت أشك بنوايا الدكتور برهام ؟ .

قالت فهيمة : أحرجني الربان بكلامه مراراً حتى أربكني ، وقد طلبني لأنضم اليه أثناء قيادة الزورق فرفضت .

تنهد غالي وتساءل : هل سيطول الطريق ؟ .

تناولت فهيمة الراديو لتستمع الى اذاعة المعهد التقني ، فارتفع صوت المذيع يقول : اذاعة المعهد التقني تنقل لكم آخر أخبار المتطوعين : تم نقل الدكتورة فهيمة الى زورق المعهد ، برفقة قرينها الدكتور غالي الذي أصيب في المعركة ، وذلك من أجل اعادتهما الى المعهد ، حتى يستفاد من خبرة الدكتورة فهيمة في تأسيس عالم الميني شوز .

شعر الدكتور غالي بقلق محير ، لاذاعة اسم زوجته قبل اسمه فقال بحدة : صار اسمك يذاع قبل اسمنا وصرنا نذكر الى جانبك كأننا نكرة غير مقصودة .

ومضى المذيع يقول : صادف وصول أول باخرة تحمل المتطوعين لحظة رحيل الدكتورة فهيمة ، فهتف المتطوعون بحياة الدكتورة فهيمة ، وحيوّها مراراً ، دلالة على اعجابهم الشديد بالمتطوعة الرائدة التي سيطلق اسمها على أول مدينة سيتم بناؤها على ظهر الجزيرة ، وسيقام لها تمثال كبير عند مدخل الخليج .

لم تسع الفرحة الرائدة فهيمة ، فامتلأت غروراً وهي تسمع اسمها يلقى هذا الاجلال والاكرام فأخذت تتحرك في الزورق من

مكان الى آخر وكلما اقتربت من زوجها قالت : أشعر بفرح لا يوصف ، بعد هذا التقدير الكبير الذي حظيت به أعمالي في الجزيرة ، ألا تشعر يا غالي بمثل ما أشعر .

أصابت الدهشة غالي ، ففغر فاه يتابع حركة زوجته ثم قال : سمعنا أكاذيب فنحن لم نلتق بالمتطوعين بتاتاً ، ان الخبر كاذب ومختلق ، ثم انك صرت تخاطبين زوجك بالمفرد دون احترام .

نظرت فهيمة بكبرياء وقالت : صارت أعمالنا محط أنظار الناس في جميع أنحاء العالم ، بذلنا تضحيات كبيرة في أعظم حركة طليعية في هذا العصر ، ما رأيك يا غالي لم لا ترد يا زوجي علينا ؟ ألست موجوداً قربنا ؟ سنكون من أقطاب جبهة الميني شوز .

شعر غالي بألم في جرحه ، وألم في نفسه أمض وأقسى ، أجبره على أن يتأوه ويغمض عينيه قائلاً : ستنحسر قريباً على أحوالنا وعلى أحوال المتطوعين من قباديين مثلك ومثل برهام بلا ضمير وبلا عقيدة و . . وو .

◆ ◆ ◆

الفصل التاسع

1 – أمضى غالي وحده وقتاً عصيباً في انتظار الشفاء بسبب تفتت في عظم الكتف وكان يردد طوال مرضه ، اسم زوجته بصوت عال : فهيمة . . أين أنت يا فهيمة ، يا حرمنا المصون . . ردي على زوجك غالي ؟ .

وكتب لها : أردد اسمك طوال اليوم دون أمل ، وتمضي الساعات ثقيلة وأشعر بالاختناق من الوحدة فوق السرير . . أعاني من الصمت اللئيم ، من رهبة الصمت بعد صدى ندائي المتلهف الى سماع صوتك .

أغص بمرارة الوحدة والفراغ ، وأنشد لك في قلبي ، كل قصائد الهوى التي حفظتها في صباي . . ولو لم يكن من جواب .

أذكر لحظات الرعب والأمل والسعادة والمرح ، أذكر رحلتنا في ماضي الانسان من أجل مستقبل سعيد له ، في الفنادق الفخمة ، فوق المياه الصاخبة ، في وحشة الجزيرة ، عبر أهوال الأعداء . . أذكر خلافنا . . اتفاقنا . . قبلاتنا . . أذكر حياتنا الرائعة ، وتماسكنا العظيم . . فأناديك من جديد . فهيمة . . أين أنت يا فهيمة .

وانهمرت عبرات غالي على الرسالة قبل أن يتمها فقال بحسرة : ليتني قتلت في الجزيرة ، ليت جرح كتفي لا يبرأ وينقلب الى جرح مميت .

ومزق غالي الرسالة ولم يرسلها ، ولم يعد يقرب المذياع بعد ذلك ، حتى لا يسمع اخبار زوجته تذاع من اذاعة المعهد التقني ، وهي ترحل من مكان الى آخر لتلقي خطبها حيث يرافقها الدكتور برهام أو يرسلها تباعاً .

وقصرت برامج الميني شوز حديثها على الدكتورة فهيمة ، ولم تعد تذكر الدكتور غالي بتاتاً ، فجاء الخبر في آخر نشرة على الشكل التالي : ناضلت الدكتورة فهيمة من أجل برنامج مراجعة الحاجات ، عندما كان فكرة على ورق ، في مقررات المعهد التقني ، وما تزال تناضل من أجله بعدما صار حقيقة مجسدة ، بجزيرة الميني شوز وبالمتطوعين الذين يزداد عددهم يوماً بعد يوم .

* * *

واظبت الاذاعة على اغفال اسم الدكتور غالي ، حتى انها عندما استعرضت الأحداث السابقة في برنامج مفصل ، ذكرت بوقاحة ، أن المتطوعة الرائدة الدكتورة فهيمة كانت على جزيرة الميني شوز مع الدكتور برهام ، ونقلهما مركب خاص في العودة وهي التي حققت فوز برنامج مراجعة الحاجات .

أغلق الدكتور شاين المذياع بعصبية ، حيث لم يعد يقدر على الاستماع الى مثل هذا الفجور الذي تجاوز كل حد والتفت الى الدكتور برهام موبخاً : دكتور برهام . . كيف تجرؤ على تجاهل الدكتور غالي الى هذا الحد ، وعلى استبداله باسمك ، هل يعقل أن يحذف اسم الدكتور غالي من الأحداث السابقة ويزور تاريخ حركة الميني شوز ؟ ؟ وكان هو الأصل في كل خطوة خطاها المشروع ، هذا تصرف أرعن وسخيف فيه تزييف للحقائق ، وكذب وفيه قلة ذوق ، تصرفك لا يوصف بكلام .

أجاب الدكتور برهام ببرود : بروفسور شاين . . قل لي بوضوح هل تريد أن ألغي المشروع أم تريد أن أبقيه كسيحاً بين يديك ؟

رد البروفسور شاين : لم يعد يهمني المشروع ، لأننا تجاوزنا باسمه كل القيم أريد تفسيراً واضحاً لموقفك ، تُسَلِّطُ الأضواء كلها على الدكتورة فهيمة ، وتتجاهل الدكتور غالي كلياً ، وتدعي نزولك على الجزيرة مع الدكتورة فهيمة ، ما هو تفسيرك لهذا التصرف الأرعن .

ـ أنا مثلك مكلف من قبل المعهد بالاشراف على مشروع الميني شوز ، ولست موظفاً عندك ، ومع ذلك أنا على استعداد لتقديم بيان واضح يفسر موقفي . عاد الدكتور غالي مصاباً من رحلة الميني شوز ، ففضلت تسليط الأضواء على زوجته ، لأن الجماهير لا تعشق بطلاً مصاباً مريضاً عاجزاً عن التلويح لها بيديه ، ولا أستطيع أن أقدمه للمتطوعين حتى لا يؤثر منظره المتهالك على أعصابهم . أما عن وجودي على الجزيرة مع الدكتورة فهيمة ، فقد كنت برفقتها في زيارة للمتطوعين في الأسبوع الماضي . . وقد أخطأت الاذاعة فكررت اسمي بدل اسم غالي في أحداث الجزيرة .

ـ لم لم تصحح الاذاعة في بيان لاحق ؟

ـ لأن التصحيح يضعف الثقة بالاذاعة ، ففضلت أن يستبدل اسم غالي باسمي مقروناً مع الدكتورة فهيمة .

ـ كلام غير مقنع ويدل على سوء نية ، لم لم تنتظر شفاء الدكتور غالي ؟

ـ لم يكن التأجيل في صالحنا ، كان تصعيد الدعاية هو الحل

الصحيح بعد الفوز مباشرة ، فاضطررت الى ابراز الدكتورة فهيمة وما زلت مصراً على هذا القرار ، لأن الانضمام الى مشروعنا قرار بيد المرأة على الأغلب ، وليس بيد الرجل ، وقد استطاعت الدكتورة فهيمة أن تقنع نساء كثيرات ، أجبرن أزواجهن على الرحيل الى جانبهن الى الجزيرة وتبرعوا بمبالغ كبيرة .

صمت الدكتور شاين لحظات ثم قال بألم بالغ : نجحت يا دكتور برهام في تدمير علاقة غالي بزوجته ، كما لم تنجح مؤسسة (ر . ر) باستعمالها وسائل الترغيب والترهيب ومحاولة القتل المباشر .

رد برهام : أكنت تنتظر مني ، أن أبقي الدكتورة فهيمة الى جانب زوجها في المستشفى ، بينما تستطيع أي ممرضة أن تواسيه ، وتشرف على جرحه أفضل من الدكتورة فهيمة ، وأعرف بمهنتها .

ـ كنت أفضل أن يبقيا معاً ، حتى لا تدمر صلتهما القائمة على المحبة والوفاء .

ـ أنا أريد المشروع وأنت تريد الأشخاص .

ـ أنا لا أفرق بين الأشخاص والمشروع ، نحن نبحث عن سعادة الانسان ولا معنى لنجاح المشروع مع تعاسة المنتمين اليه ، ولا يوجد مبدأ في العالم يتعس المنتمين اليه على الأقل الا اذا انحرف ، ولقد انحرفت ببرنامج الميني شوز يا برهام . . فازدوج المشروع بين الفكرة والتطبيق ، وبدأت تتساقط ضحاياه بعدما عجز أعداؤه من النيل منه .

ـ أنت تضجرني يا بروفسور . .

ـ كم مرة طلبت منك أن تعقد جلسة لمحاكمة المستر توم ، لعلاقته بروزا ومؤسسة روبير رودان ، ولزيارته المصنعين وتشجيعهم على الوقوف في وجه الميني شوز . . ولكنك لم تستجب وما زال المستر توم

مديراً للمعهد التقني .

- اطمئن ساجد وقتاً عما قريب أتفرغ فيه للمستر توم .

- أنت منافق مرائي ما أسهل أن تقول كلمة وتعطي وعداً ، وتعمل في الاتجاه المعاكس . وتقف بكل وقاحة لتحاضر بالمبادىء وتتحدث عن برنامج الميني شوز بلهجة عقائدية .

- تجاوزت حدود اللياقة يا بروفسور ، وسأضطر لاتخاذ موقف ضدك .

- حرصت على إبعاد غالي لأنه بحكم ولادته كدمشقي سوري عربي عريق في أصالته لن ينصاع اليك ، وأبقيت المستر توم لخيانته ، لأنه ينصاع اليك ، ورفعت مقام فهيمة لتنمي غرورها ، فأبقيت الجميع في قبضة يدك ولكنك لن تروضني يا برهام .

- شرحت لك مراراً ، انه من المستحيل أن أحمل في ذهني الصورة ذاتها التي تحملها في ذهنك ، ولم يبق حل لخلافنا ، الا أن يسلم أحدنا الآخر قيادة المشروع ليتمكن الآخر من تنفيذ الصورة التي يحملها كاملة ، سنناقش هذا الخلاف في أقرب جلسة . وسيترك أحدنا المشروع بعد التصويت هل تقبل ؟ .

هز شاين رأسه بأسف بالغ ، للحالة التي وصل اليها مشروع الميني شوز بين يدي قادته وأجاب بعد تفكير عميق : قبلت اقتراحك ، سنناقش هذا الموضوع في جلسة علنية للمعهد يحضرها كل الزملاء . .

كانت هذه الجلسة مخصصة لمناقشة المواقف السابقة في مشروع الميني شوز والتخطيط للمواقف المقبلة ، وكانت مقررة أن تضم الدكتورة فهيمة اضافة الى شاين وبرهام اللذين تخاصما قبل قدومها ،

وخيم الصمت على الصديقين اللدودين .

نظر البروفسور الى ساعته مراراً ثم قال : أين الدكتورة فهيمة ؟ . لم لم تنضم الينا حتى الآن ؟ ؟ .

اجاب برهام : أظنها تأخرت بسبب ملاحقة الصحفيين لها ، الصحفيون يحاصرونها في كل مكان بعد فوزها العظيم في تحقيق مشروع الميني شوز .

قال شاين : لكثرة ظهور صورها في الصحف والمجلات ، لم يعد أحد يفرق بينها وبين عارضة أزياء مؤسسة (ر .ر) . صار حالها في مشروعنا كحال روزا عند مؤسسة روبير رودان .

ـ هذه اهانة بالغة ، لن أسمح لك بترديدها مرة ثانية على مسامع أحد .

ـ قصدت من حيث الغرور ، بلغ غرور الدكتورة فهيمة بنضالها حداً أبعد من غرور روزا بفتنتها .

ولم يكد شاين ينهي عبارته حتى دخلت الدكتورة الغرفة باستعلاء ومدت يدها في وجه البروفسور شاين ليقبلها . ولكن شاين تجاهل يدها ، فأسرع الدكتور برهام وانحنى على يدها وقبلها بتواضع فقال شاين مستهزئاً : اصرت تقدمين يدك ليقبلها الرجال دون خجل ؟ هل كنت تفعلين هذه الحركة أمام زوجك غالي . ؟

زمت فهيمة شفتيها معربة عن استيائها بينما قال برهام : شبهك البروفسور قبل قدومك بعارضة أزياء مؤسسة (ر .ر) .

فالتفتت فهيمة وردت عليه بقسوة قائلة : احترمتك كثيراً يا بروفسور في أول لقاء بيننا ، لأني ظننتك مفكراً وفيلسوفاً حقاً . حتى تبين لي ، أن المفكر الحقيقي في الحركة ، هو الدكتور برهام ولست أنت .

سأل البوروفسور فهيمة محاولاً أن يمسك أعصابه : لم تأخرت عن الاجتماع هذا الوقت الطويل ؟ .

ردت فهيمة ببساطة وباستعلاء : تأخرت عند الحلاق ، ثم وجدت من الأنسب لي أن أمر على خياطي وأتفقد ثوبي الجديد الذي سأظهر به في احتفال الليلة .

قال شاين : هل هذا هو مشروع مراجعة الحاجات في نظرك ؟ . . هل كان نضالك في الجزيرة من أجل كومة من الثياب وتسريحة عند الحلاق ومظاهر أكثر تفاهة .

قالت فهيمة : أتشك في نبل نضالي ؟ . . لا تنسى أنني أجلب للمعهد تبرعات أكثر بكثير ، من الراتب الذي خصصه المعهد لي ، أنا حرة براتبي أصرفه على مزاجي .

وجد برهام الجو ملائماً لاعادة طرح فكرته فقال فوراً : اختلفت قبل قدومك مع البروفسور شاين على نقاط كثيرة ، وسندعو زملاءنا في المعهد لاعادة النظر في تكليفنا معاً بادارة مشروع مراجعة الحاجات . ولا أجد حاجة الآن لمناقشة أي موضوع . . سنؤجل استعراض القضايا حتى نتائج جلسة التكليف الجديدة .

وانفضت الجلسة كما عقدت وبقيت كل القضايا معلقة .

• • •

2 – جلس روبير رودان على مقعد في مكتب شركة سجائر لورا ، ونظر في عيني صاحب الشركة المسيو مور وقال محرضاً ومستفزاً : مستقبل منتوجاتك من السجائر كمستقبل منتوجاتي من مستحضرات التجميل ، مهددة بالدمار ، بعد تطبيق برامج مراجعة الحاجات في العالم .

ابتسم مور وقال : اسمح يا سيد روبير ، لقد زارني شخص باسمك ، قبل أن تشرفني بزيارتك ، وفاجأني بأنه مدير المعهد التقني الذي يشرف على تنفيذ البرنامج .

قاطع روبير السيد مور : المستر توم في قبضتي ، وقد أرسلته ليقنعك وجئت لأطلعك على خطتي ، لأنني حريص على موافقتك ، بعدما حصلت على تأييد عدد من شركات المشروبات الروحية وعدد من الصناعات الكمالية لنتقاسم المسؤولية .

ـ اسمع يا مسيو روبير ، أنا أحب العمل في انتاج السجائر ، ولا أحب من يدمر صناعتي مهما كان رأيه ؟ .

ـ نحن متفقان اذن .

ـ نعم . . نحن متفقان في الحرص على مستقبل صناعتنا ، انما يوجد خلاف بيننا من حيث التفكير . أنا صاحب مزاج ، وأعتبر عملي في انتاج السجائر فناً ، رصيده الذوق في الدرجة الأولى ، وفي حال عدم وجود من يقدر فني الرفيع ، أمتنع عن الانتاج من ذاتي .

ـ أنت لا تقدر خطورة الأمر يا مسيو مور ، هل قرأت كتاب البرنامج ، كيف توطن نفسك على الحياة في مدن الميني شوز . شجب الكتاب التدخين بشدة ، وحرم دخول المشروبات الكحولية شديدة الفعالية الى الجزر ، وتحدث عن أضرار المشدات في اعاقة الدورة الدموية ودعا الى الرياضة .

ـ قرأت الكتاب فأغراني على قضاء اجازتي مع أسرتي في جزر الميني شوز ، حيث الحياة هادئة وادعة ، والمدن صغيرة ، تمر بضواحيها وسائط النقل ولا تدخلها ، لأن أبعد مسافة في المدينة لا تتجاوز مدة قطعها ، نصف ساعة ذهاباً واياباً . مللت من ركوب السيارة سأنشط

جسمي وأعيد حيويتي بالسير في جو خال من التلوث ومريح للأعصاب لأنها مدن غير مسلحة .

وقف روبير رودان محتداً ازاء برودة أعصاب المسيو مور وقال محذراً : إياك أن تذهب الى جزر الميني شوز ، لأنني قررت مع بعض المؤسسات ضربها بقنبلة ذرية تمحوها من الوجود ، وتجعل مشروع الميني شوز أثراً بعد عين .

ضحك مور ثم قهقه بصوت عال حتى كاد يستلقي على قفاه وقال هو ما يزال يضحك : لقد أضحكتني من أعماق قلبي يا سيد روبير ، أتتحدث جاداً أم هو مزاح ؟ .

- سيد مور أرجو أن تنظر الى الموضوع باهتمام ، أمضيت ردحاً وأنا أصارع وحدي المعهد التقني ، لأدمر مشروع الميني شوز ، ولكنه ظهر الى الوجود على الرغم من امكانياتي الواسعة ، وشراستي في قتاله .

- تابعت صراعك مع المعهد التقني على شاشات التلفيزيون ، كان مسلسلاً ناجحاً ، وأعجبت به مع جمهور المشاهدين ، فأسرعت الى الاعلان عن منتجاتي في برامج اذاعة المعهد .

- كان صراعي صراعاً حقيقياً ولم يكن مسلسلاً كما تصفه .

- لا أجد فارقاً ، استفدت منه ، وزادت مبيعاتي في الشهر الأخير زيادة جيدة ، واستفاد المعهد من اعلاناتي واستفدت بدورك وزاد تسويقك .

- لا أعرف شيئاً عن وضع منتجاتي في الأسواق ، لأنني لم أهتم بها منذ بدأ صراعي مع مشروع الميني شوز .

- كان عليك أن تبدأ بمراقبة أرقام الانتاج والبيع ، لأنني شخصياً

ظننت صراعك مع المعهد التقني من باب الاعلان . وهذا ما شرحته للمستر توم .

ـ ألا تميز الخطر فيما سيحدث في مستقبل الأيام .

ـ عن أي خطر تتحدث يا سيد روبير ؟ ، أنا أجدها فرصة نادرة لتسويق منتجاتنا .

ـ أنا لا أفهم كلامك ، هل أصبحت مجنوناً بعد الصدمة ؟ .

وقف مور وقال : اسمع يا سيد روبير . . عندما تظهر فكرة جديدة على ظهر الكرة الأرضية ، تُسْتَنفر كل الأفكار القديمة ضدها وتقوى . فيقبل عدد محدود الفكرة الجديدة ، ويتشبث الرافضون بأفكارهم ، ويدفعهم عنادهم الى تعنت جديد يؤدي الى احياء جديد . وقد حرض مبدأ مراجعة الحاجات الناس على زيادة الاستهلاك فأوجد لنا مستهلكاً نادر المثال .

فكر روبير وقال : ظننت أن انتشار الفكرة على محيط أوسع سيحرمنا من المستهلكين فخفت على مصانعي .

ـ كلامك صحيح ، حرمنا وسيحرمنا ، ولكنه سيحرض الرافضين على زيادة الاستهلاك وقد لمست هذا الأمر في زوجتي التي ملت من الترف والبذخ والرفاه ، فسعت الى مرافقة الهبيين طوال العام الماضي ، ولكنها عادت السنة بعدما سمعت بمراجعة الحاجات لتصرف تحت تأثير دافع نفسي قوي .

عاد روبير يتساءل : ماذا سيحدث لمنتجاتنا ، اذا تعددت جزر الميني شوز ووصلت الى أوطاننا واتسعت رقعتها حتى شملت العالم .

رد مور ـ اطمئن ، لم تستطع فكرة واحدة في الماضي أن تستولي على عقول الناس كلهم ، ولن تستطيع فكره واحدة أن تنتصر في

المستقبل . كلما اتسعت رقعة الميني شوز ، كلما ازداد رد الفعل عنفاً ضدها ، حتى يتوقف انتشارها ، ثم ينتهي الأمر الى صراع داخلي ، بين جزر الميني شوز نفسها ، ونتعايش كلنا في أمان واطمئنان ونتخلف على اختلاف مذاهبنا بنين وبنات .

ـ اذن أنت ترفض يا سيد مور ، الانضمام الى صفوفنا في صراعنا مع المعهد التقني وجزر الميني شوز .

أجاب مور فوراً : من قال أنني أرفض التعاون معكم .

ـ حيرتني يا سيد مور .

ـ فهمتني خطأ ، سأتعاون معكم ، ولكني سأقضي اجازاتي كلها في جزر الميني شوز ، وسأجد من يهرب سجائري اليها ، وسأواظب على بث اعلاناتي من اذاعة المعهد التقني ، دعماً لبرامجه ، سأكون معكم في كل مكان .

تنهد روبير تنهدة طويلة وقال : صدقني يا سيد مور ، خبرت عداوة الدكتور برهام وخبرت الآن تعاونك معنا ، ان عداوة الدكتور برهام أسهل بكثير من أسلوبك في التعاون معنا .

ضحك السيد مور مرة ثانية من عبارة روبير وقهقه بصوت عال وقال : لم هذا التعليق الساخر ، هل وجدت تعنتاً في موقفي منكم ؟ .

قال روبير منهياً الحديث لينصرف : يا له من عصر ، يصعب التمييز فيه بين الصديق والعدو .

تابع المسيو مور روبير مودعاً وقال : أعلمني يا صديقي قبل ضربك الجزيرة بالقنبلة الذرية حتى لا يصادف موعد ضربها ، وقت وجودي في جزر الميني شوز .

شعر روبير بسخرية السيد مور فوقف عند الباب وبرد من

احتدام عواطفه وأجابه مبتسماً : سأزورها قبلك يا سيد مور ، لأن مدير المعهد في قبضتي كما أخبرتك ، ثم انني على صلة بمعظم العاملين في المشروع .

ـ أهنئك من أعماق قلبي على هذه الحظوة عندهم ، ستزور الجزيرة وتجد من يهرب منتجاتك اليها قبلي وتعلن في برامجها ، وتتحدث عن ضربها بالقنبلة الذرية . . وتتبرع للمعهد بعشرة ملايين ، أنت رجل مخيف يا سيد روبير .

استمع روبير الى واقع حاله مع المعهد ، وأحس أن مور صادق في وصفه فضحك روبير رودان ، ثم قهقه بصوت عال وانصرف ملوحاً بمودة لمستر مور .

• • •

انصرف برهام لتعيين موعد الجلسة العلنية التي ستصوت على تكليف جديد لادارة مشروع الميني شوز ، وهو كعادته أجرى عدة جلسات سرية مع رؤساء الأقسام وناقش معهم عدد الأصوات التي يمكن أن يحصل عليها البروفسور ، فأبدى معظمهم خوفه من تفوق شاين على أمين السر برهام فماطل وأجل في تعيين موعدها .

وأسر بخوفه الى المستر توم مدير المعهد الذي سر كثيراً بالخلاف ، وأبلغه بدوره الى المسيو روبير رودان الذي بارك هو الآخر الخلاف واجتمع مع الدكتور برهام ووضع بين يديه امكانياته المادية لرشو عدداً من المصوتين الذين يجد فيهم امكانية الانضمام اليه وخيانة البروفسور شاين .

واتفق برهام مع المستر توم على اقصاء عدد من أصدقاء الدكتور شاين من العلماء الأوفياء للعلم الى جزيرة الميني شوز ليتم التصويت في

غيابهم ، فكلفهم مدير المعهد بمهمات تتعلق بدراسة مجتمع الميني شوز . وبعدما اطمأن الدكتور برهام لسفرهم وإقامتهم في الجزيرة ، أعلن عن عقد الجلسة في خلال أربع وعشرين ساعة .

ودار الهمس في مخابر المعهد التقني عن سلوك الدكتور برهام المفضوح بترتيب جلسة التصويت بعنف وشراسة من أجل السيطرة على انتخابات المعهد في المستقبل ، وعرف عدد من العاملين أصحاب العقود المؤقتة ، أن عقودهم مهددة بالانهاء بقرار من المستر توم وموافقة أمين السر ، اذا بدا الاستنكار على وجوههم أو أفلتت أفواههم ملاحظة بصدد خيانة مدير المعهد مع مؤسسة (ر . ر) أو ازدياد سلطة أمين سره إلى درجة قمع أي رأي آخر . ولم يصمد الا قلة من العلماء الواثقين من مكانتهم العلمية الى جانب الدكتور شاين حتى اللحظات الأخيرة من التصويت .

ترأس جلسة التصويت المستر توم فهتف بعض العلماء « وصل وطواط . . هذا هو وطواط روبير روداد » فهدد أمين السر باخراج كل من تسول له نفسه افساد الجلسة . وافتتح جلسة المناقشة : باسم التكنولوجيا الحديثة ، وباسم الدراسات الانسانية المشرقة وباسم البحوث الاجتماعية الهادفة و ليمداستيسان ، ثم تحدث عن الانجازات الضخمة على جزر الميني شوز ، وركز خاصة على جهود المستر توم في مراقبة مؤسسة (ر . ر) وافشال مخططاتها ، فدوى تصفيق حاد ، وتقدم ثلاثة من العلماء الشباب الجدد ، وراحوا يهتفون بحياة مدير المعهد المستر توم والدكتور برهام والدكتورة فهيمة التي تركت مقعدها في الصف الأمامي وانضمت الى جانب الدكتور برهام لتحيي المعجبين .

عرف شاين أنه سيخسر نتيجة التصويت ، ففضل أن ينسحب

مع المعارضة من الاجتماع الذي وصل الى حد مبتذل ، فانصرف مع أصدقائه الى جلسة راحة من العمل في مقهى صغير ، وهناك قال لهم : نحمد حظنا على أننا في المعهد التقني في باريز ، نستطيع أن نستقيل متى شئنا دون خوف من ابعادنا الى سيبريا أو اعدامنا كما حدث لبوخارين وزملائه .

ضحك جمعهم ، وقال البروفسور المسيو شوفلمان وهو صديق حميم لشاين :

كنا أغبياء في الركون الى الدكتور برهام وتسليمه أمانة سر المعهد ، دون تدقيق شديد في حياته ، قبلناه الآن بيننا ببساطة ، وأظهرنا له المودة ، بينما كان يبطن لنا غير ما يظهر ، نحن طوال عشرتنا معه لم نعرف شيئاً عن أسرته ولا عن أصوله .

قال أكبرهم سناً : لاحظت أصابعه منذ افتتح الجلسة ، فرأيته ينقر بها على سطح الطاولة ، كلما أتيحت الفرصة ، نقرات خفيفة تشبه اشارات سرية ، فبدا لي كأنه يطلب المعونة من أشخاص موجودين بيننا في الجلسة يتعارفون بهذه الاشارات .

قال شاين : خبرته في مواضيع صعبة ، وكنت أستغرب قدرته على حلها ، ويبدو الآن أنه كان يستخدم ثقافته السرية فتفتح له الأبواب المغلقة وتوضع بين يديه الملفات الخاصة ، وتؤمن الموافقات التي تبدو مستحيلة لواحد منا .

قال البروفسور شوفلمان : انهم يتسللون الى مراكز القوى ويسيطرون بسرعة بحكم دعمهم لبعضهم بعضاً ، ويتجاوزون القانون دون خوف من العقاب . ومتى تجاوزت فئة القانون في مجتمع انساني ، لا يبقى معنى لأحد أن يتشدق بوجود الحرية أو الديمقراطية في ذلك المجتمع .

قال شاين : كلامك رائع يا بروفسور شوفلمان ، لا حرية دون سيادة القانون وقد فشلت الديمقراطية في اثبات محاسنها في تصويتنا الأخير ، بسبب التآمر الذي قام بين مدير المعهد وأمين سره ، والذي تجاوزا به هيبة القانون .

قال أكبرهم سناً : عندما يتولى أمر الجماعة قياديون بلا عقائد ، نرى العهر بكل أشكاله ، نرى آنئذ العهر السياسي . . والعهر الفكري . . وحتى العهر العقائدي كما هو العالم من حولنا اليوم . . صار العالم متمدناً ولكنه عالم موبوء ومنحط وصار بحاجة الى رسالة جديدة والى مخلص جديد .

قال شاين : يتحدثون في هذا العصر عن مكافحة مرض نقص المناعة في الأجسام ويتناسون مرض نقص المناعة في الروح والنفس وهو أخطر بكثير ، ومكافحته في النفس أهم من مكافحته في الجسم لأنه مفتاح الشفاء الى معالجته في الجسم . . بتخفيف الاصابات الى الحد الأدنى . ان الايدز النفسي الخلقي الفكري أشد فتكاً لأنه المسؤول المباشر عما يحدث في العالم من مخططات قذرة ، ومن حروب مسبقة الصنع ، تؤدي الى مجاعات كبيرة والى أجيال محبطة تعيش بلا غد ولا أمل ولا حلم تبحث عن المخدرات من خوفها من المستقبل .

صمت شاين ، وصمت الجمع رهبة من المستقبل الآتي ، وذهب أحدهم اثر الآخر الى منزله وما تزال الصورة البشعة للعالم ماثلة في ذهنه فهو يرتعد خوفاً على أطفال العالم وأطفاله .

• • •

3 – بريء جرح غالي ، واستدعاه الطبيب ليبلغه ، امكان خروجه من المستشفى وقدمت له الممرضة قائمة بالمصاريف المترتبة عليه .

شعر غالي بحرج شديد ، لأنه لم يكن يحمل نقوداً معه فقال من خلال ارتباكه : أنا هنا على حساب المعهد التقني . . أنا الدكتور غالي من مشروع مراجعة الحاجات ، أنا . . أنا زوج الدكتورة فهيمة .

أجابت الممرضة : أنا أعرفك وأنا معجبة بك ، وقد قمنا كلنا بجهد كبير من أجل شفائك ولكنك موجود عندنا بأمر من الدكتور برهام الذي طلب ادخالك الى المستشفى ومعالجتك ، ونسي أن يحدد الجهة التي ستدفع التكاليف ، هل سيكون الدفع من حسابه شخصياً أم من حساب المعهد التقني ؟ أتريد أن أتصل بالدكتور برهام أم بزوجتك فأعلمها عن شفائك ونحل هذا الاشكال .

رد غالي بسرعة : لا . . اطلبي البروفسور شاين .

ما كاد الدكتور شاين يتلقى مخابرة غالي حتى هرع اليه بسيارته ، ليخرجه من المستشفى ، ويصطحبه الى منزله .

* * *

ازدادت كثافة الاعلانات في برامج اذاعة مراجعة الحاجات ، حتى طغت على كل شيء سواها ، فلم يكد الدكتور شاين يفتح المذياع ليستمع مع جليسه الى أخبار جزر الميني شوز ، حتى سمعا المذيع يتلو قائمة من الاعلانات .

اللا شعور هو أروع شعور تتمتع به ، هل تمتعت بشعور سجائر لورا المركزة ، اذا لم تفعل . . دخن في الحال علبة أو علبتين من سجائر لورا لتفقد شعورك بسرعة وتتمتع بشعور سجائر لورا المركزة ، سجائر لورا المركزة تفقدك الشعور وتبقي لك اللا شعور . . سجائر

لوراالمركزة تفقدك الوعي وتبقي لك اللا وعي ، تبقي لك متعة سجائر لورا المركزة .

سوتيانات ومشدات روبير رودان تستلفت النظر على الأجسام وفي الواجهات أيضاً . استعمليها سيدتي جديدة ، ولا تتعبي نفسك بغسلها ، لأن معاملنا في خدمتك وهي قادرة على استهلاكك واستهلاك قدرة زوجك طوال العام .

اقتناء الذهب عادة سيئة ، لأنك لن تستطيعي الحصول الا على حلية واحدة أو اثنتين طوال العمر . بينما تستطيعين الحصول على اكسسوار متعدد يملأ حقيبتك بسعر بخس ترمينه بعد استعماله مرة أو اثنتين وتشتري غيره ، وستجدين أنك أنفقت في حياتك وعلى مدار السنين نصف دخلك على مجموعة من المعادن البخسة الملونة . فاياك وعادة اقتناء الذهب ، العادة السيئة التي تبقي مدخراتك في رسغك .

«مشروع تقليل فائض الحاجات» مشروع انساني رائد، يضع حداً للجشع ويشجع الانسان الطيب على ممارسة حضوره من خلال العمل المجدي ، والثقافة والفنون ضمن أجواء الفكر الحر .

نناشدكم أيها الناس ، الاغتسال بالاشتراك في رحلات الميني شوز . . المنتصرة على زيف العصر ، والمؤكدة على طبيعة الانسان الأصيلة في المحبة والسلام .

أغلق شاين المذياع ، والتفت محدثاً صديقه الدكتور غالي قائلاً : نعم يا دكتور غالي . . هذا ما آل اليه مشروع مراجعة الحاجات على يدي الدكتور برهام .

- لا تحزن يا بروفسور . . تنمو كل الأفكار في العالم كالأشجار ، تبدأ بفرع واحد مستقيم ، ثم تتفرع الى آراء ومذاهب في

اتجاهات منحرفة ، عن فرعها الأول ولكنها تظهر على البعد دوحة في عالم الانسان .

- لست حزيناً ياصديقي العزيز . . اقدر كل الاحتمالات مثلك ، واقدر صعوبة تنفيذ مشروعي بخليط من البشر ، له رغبات متباينة ونزوات خفية وطبائع مختلفة .

- مادفعك الى هذه المغامرة من بدايتها ؟ .

- كنت آمل ان اطرح الفكرة ، وان اجد من يستمع الي ، واثبت لمعاً منها في أذهان الناس ، فإذا ما عادت وطرحت جيلاً بعد جيل ، انتصرت بعد عدة أجيال .

- انت رجل حكيم يابروفسور شاين .

صمت الصديقان فترة ثم سأل شاين : حدثني عن نفسك ، كيف شعرت بعدما نسيك مشروع الميني شوز في المستشفى .

- أحسست احساس المناضلين الذين تنساهم قيادتهم ، بعد نهاية القتال ، أحسست أحساس الجريح المهمل في اعياد النصر .

- هل يئست ؟

- كنت حزيناً ولكني لم ايأس ، امضيت ايامي في المستشفى وانا ارحل في ماضي الانسان ، ومازلت حتى الآن اشعر بمتابعة الرحلة ، وما زلت اشعر بعجزي عن تحديد الانسان أو وصفه . يبدو المجتمع لنا كتلة ضخمة من الحياة متحدة ، ثم تجد اصغر فرد يمارس فردانيته ، وهو وقادر على التأثير في سمات المجتمع .

- تصويرك رائع . . نحن نعيش مجتمعاً ضخماً ، يتضاءل الفرد فيه ، حتى يكاد لا يرى ، ولا يتصرف في الوقت ذاته احقر فرد في هذه المجموعة الضخمة تصرفاً عظم أو صغر ، إلا ويكون اثر له على المجتمع الضخم .

ـ خذ مايحدثه من تأثير عالم جليل مثلك ، او قاتل مثل وطواط ، أو طفل احمق ، أو تاجر جشع ، تجد التأثير واضحاً في نهاية المطاف للجميع .

ابتسم شاين وقال : لوكان لنا تأثير ابلغ من تأثير طفل احمق أو قاتل مأجور لما لزم وقت طويل لتنتصر الافكار الطيبة ، كان يكفي أن يتحدث عالم مرة واحدة حتى تصبح فكرته حقيقية، كما تنير مصباحاً .

ـ نعم . . لاحظت أن تأثيرك لا يختلف عن تأثير مهرج يدغدغ ضحك المتفرجين عليه ، وسنحتاج الى مائة عالم أو اكثر يتناوبون الظهور حتى نحقق آمالاً كبيرة .

ـ اتظن هذه الحقيقة ضعفاً تبديه الحياة أو قوة ؟

ـ اراه قوة ، وهو سرها العظيم الذي يمنع مآسيها وفواجعها من ان تقع في كل يوم ، لو كانت الحياة سريعة التبديل ازاء كلمة تخرج من فم عالم مهما كان صدقها لوقعت مآسي وفواجع اليمة جداً ،حيث لاتستطيع كتلة الحياة الضخمة ان تبدل مجراها في وقت قصير دون ضحايا ، اما وانه تمتنع عن تغيير مجراها وتحرص على التطور تدريجياً ، فهي تحفظ تماسكها من التشتت والانفراط ، ويقتصر وقوع الضحايا على حفنة من المناضلين الرواد .

ـ مابالك حين تكون سائرة إلى حتفها ؟ .

ـ طالما ان هذا هو سرها العظيم فهو قدرها ، وكل انسان يكمن قدره في سره .

ـ اعجبتني يادكتور غالي ، منذ اول لقاء ، ولكني اشعر الآن باعجاب عميق لك ، ولاسيما بعدما نسيت طريقتك السابقة في الكلام ، كنت تحب ان تتحدث عن نفسك بالجمع وتنجذب الى

حديث زوجتك عنك بصيغة الجمع .

ـ سمحت لي زوجتي خلال علاقتنا ، بان اماوس عليها فوقية الرجل الفارغة وهي ذاتها افقدتني هذا الشعور ، وانا جريح في طريق العودة ، فخاطبتني بصيغة الفرد بعدما ضخمت الاحداث شخصيتها فقبلت بالأمر الواقع .

ـ ماذا تشعر الآن وهي بعيدة عنك ؟

صمت غالي وبان الالم في عينيه ثم قال : احن الى صورتها القديمة ، واخشى ان اقابلها وهي على ما هي من تضخم الشخصية والشهرة ، فاتحسر على فقدها .

ـ غبطتكما مراراً على تعلقكما ببعض ، حتى في اسوأ الظروف واتمنى ان تلتقيا ثانية . الدكتورة فهيمة تحبك وهي وفية لك .

ـ وماذا افعل بسلوكها الجديد ؟ .

ـ لك القرار ، لقد وجدت اناسا يصغون الى آرائها ويصفقون لها ، وجدت مجالاً كانت تتمناه ، كانت تجري تجاربها في منزلها باحثة عن مخرج من الكبت الذي تعيشه .

نهض غالي لينصرف وقال : اضطررنا ان ندرس في المدارس الثانوية ، لاننا لم نقدر على تأمين بيت في المدن الكبيرة .

تقدم شاين ووضع في كف غالي ظرفاً وقال : يوجد في الظرف عنوان الدكتورة فهيمة ، ومبلغ من المال سيساعدك ريثما تغادر باريز .

وضع غالي العنوان في جيبه مع المبلغ وشكر الدكتور شاين وقال : هل تأتي لزيارتي في بلدي ، ارحب بزيارتك واقامتك عندي .

ـ ساحرص على زيارتك في اول فرصة ستسنح لي ، ولاسيما حين سابدأ العمل من جديد في مشروع الميني شوز .

ـ هل ستعيد الكرة .

ـ لم لا . . ساجدد الدعوة ثانية وثالثة حتى الفت نظر سكان الكرة الارضية الى خطر التلوث والتسلح وازدياد العنف وانتشار الاوبئة .

شد البروفسور شاين على يد غالي بحرارة ثم تعانقا فقال غالي وهو ينسحب : انا في انتظار زيارتك ، واعدك ان تجد عقائدين في انتظارك يؤمنون بمبدأ مراجعة الحاجات .

* * *

واظب مدير المعهد التقني على زيارة السيدة روزا ، وكان يأمل ان يجد في شقتها ، ما كان يجده من ترحيب سابق ، ولكن روزا بدأت تتأفف من حضوره وفاجأته بسؤال عصيب : هل تستطيع ان تطلق زوجتك وتتزوجني حضرة المدير ؟ .

اجاب المدير بالنفي ، فردت عليه بقسوة بالغة : اذن خفف من اتصالك بي لن اقاسم امرأة ثانية رجلاً كهلاً .

حاول المدير ان يذكرها بخدماته لمؤسسة روبير رودان ، وان يوهمها بوجود معلومات هامة لديه ، ولكن روزا اتجهت نحو الباب قائلة : انا مشغولة جداً ويجب أن تنصرف فوراً .

انصرف المستر توم حانقاً الى روبير رودان واخبره بتصرف روزا القاسي فوعده روبير ان يكلم روزا في موضوعه وصرفه بدوره.

وقفت السيدة روزا امام المرآة تجرب سوتياناً جديداً وكانت تعالج ترتيبه على نهديها حين دخل روبير رودان فساعدها في وضعه على بدنها وساعدها في تثبيت مشد ثم قبلها وقال : لا انتج جديداً الا ويبدو عليك جميلاً ، ولائقاً .

قالت روزا: هل انا مازلت ملزمة باستقبال المستر توم في منزلي .

لست ملزمة ولكني لااواثق على اهانته أو طرده ، لاني مسافر الى جزيرة الميني شوز وساطحبك معي ،وقد يرافقنا مدير المعهد .

- نظرت روزا بعينيها الناعستين وقالت : امزح مون باترون ؟ .

- لم المزاح ؟ . ساحاول التعرف على نمط الحياة في الجزيرة قبل وصول المستر مور اليها . وساجد مصالح مشتركة بيننا وبين مشروع الميني شوز ، من يدري قد نتعهد نحن صناعة البـــة المتطوعين البسيطة في تلك الجزر ؟ .

- هل عدلت عن ضرب الجزيرة بالقنبلة الذرية ؟ .

- طبعاً لا .

- حيرتني مون باترون ، لم اعد افهم شيئاً .

ضمها من جديد ولثم ثغرها وقال : من غير المهم ان تفهمي في هذا العصر انما المهم ان تتصرفي يا روزا . . سازور جزيرة الميني شوز ، وفي حقيبتي القنبلة الذرية التي ساضربها بها ، وهذا ما سيجعل لزيارتي اهمية بالغة .

4 - شغلت برامج الميني شوز وقت السيدة فهيمة ، ونقلتها بين اماكن متباعدة ومدن في العالم ، وعندما فطنت الى ضرورة زيارة زوجها في المستشفى علمت ان زوجها غادر المستشفى منذ يومين . .دون ان يترك لها عنوانا .

دخلت فهيمة مكتب الدكتور برهام مضطربة وقالت : تصور يا دكتور برهام . . لقد خرج زوجي من المستشفى دون ان اطمئن على صحته مراراً أو اكون الى جانبه عند خروجه .

وقف برهام باحترام وقال : اقدر تضحياتك يادكتورة فهمية ، وساعلم الاجيال المقبلة بمواقفك الرائعة ، وسنكتب قصتك في رسالة خاصة ، قصة الزوجة التي نسيت زوجها الجريح في المستشفى من اجل المبدأ .

- اخبروني في المستشفى ، انهم احتجزوه حتى دفع عنه البروفسور شاين واصطحبه معه الى منزله ، لم يكن لديه نقود ليدفع التكاليف ، مسكين زوجي عاش طوال عمره برنامج مراجعة الحاجات قبل ان يضعه شاين او يدري بوجوده ، قل لي كيف نسينا ان نتعهد بدفع الحساب ، كيف مضى الوقت دون ان نزوره .

- اهدئي يادكتورة فهيمة ، يحدث مثل هذا الامر في كل الحركات الثورية تزدحم المواضيع وتتطور القضايا الهامة ، فينسى القياديون جرحى الحركة بسبب اندفاعهم من اجل تحقيق العقيدة ، سنحاول معرفة مكانه من البروفسور شاين .

- هيا بنا نزور البروفسور شاين في منزله .

- لااجد لائقاً ان نزوره فجأة بعدما انفصل عنا ، سامهد لزيارته ، ويجب ان نذهب الآن الى نادي العاصمة ، لتتحدثي في ندوته الاسبوعية ، وسأبذل جهدي لمعرفة عنوان الدكتور غالي باسرع ما يمكن .

* * *

وقف الدكتور برهام امام الحضور في الندوة الاسبوعية ، واعلن عن حديث الدكتورة فهيمة عن العلاقة بين الذكر والانثى في عالم الحيوان وتطور هذه العلاقة بين الرجل والمرأة .

كانت الدكتورة فهيمة مضطربة ومازال مشغولة الفكر على

زوجها ، ولكنها ما كادت تسمع الدكتور برهام يتحدث عنها كامرأة رائدة وقائدة مسيرة الخلاص ، وقد اسبغ عليها الليلة الالقاب دون حساب ، فانشرح صدرها وتقدمت لتحتل مقعد المحاضر خلف المنبر المرتفع . دوى التصفيق ووزعت الابتسامات ولوحت بيدها ثم جلست وقالت :

"تطورت العلاقة بين الذكر والانثى في عالم الانسان عبر الوف السنين بينها ظلت ثابتة في عالم الحشرات والحيوان بموجب نمطية ثبات الغريزة . يلتقي الذكر بالانثى في مواسم الاخصاب فهل يتم بينهما زواج كزواج الرجل بالمرأة ، سداه المحبة ولحمته التفاهم ، وكم يدوم هذا الزواج ؟

تقوم اناث بعض انواع الحشرات بالقضاء على الذكور بعد الاخصاب مباشرة او بعدما يهيء الذكر الوكر وينقل اليه المؤن . اما في عالم الحيوان فالرابطة امتن .

ويدوم الكفاح من اجل الحياة المشتركة مدة اطول . فتصل في أنواع الطيور الى شركة دائمة حتى وفاة احدهما ، فالوفاء عجيب في عالم الطيور والخيانة غير موجودة .

ونشاهد وفاء سنوياً موسمياً عند الاسد الذي يختار لبوته ويخصبها ويظل الى جانبها حتى تضع ويكبر الاولاد ، فيمضي الاسد في طريقه وتمضي اللبوة في طريقها .

عرف الديك وهو من الطيور تعدد الزوجات ، فيعيش كما كان يعيش الرجل البدائي في كهفه مع عدة اناث يسيطر عليهن ويأتمرن بامره . وقد عرفت قبائل محدودة تعدد الازواج ، فكان يحق للمرأة ان تجمع رجلين أو اكثر .

تطورت علاقة المرأة بالرجل من شكل الديك المسيطر على زوجاته سيطرة تامة الى شكل علاقة الحمام بين القين بخيم التفاهم على عشهما وتقوم صلة الود بينهما حتى الموت . وصنف الباحثون الرجل انه اقرب الى ممارسة الخيانة الزوجية من المرأة بسبب نشأته في الحياة البدائية في الكهوف ، حيث تعتبر المرأة التي تلجأ الى كهفه صيداً من حقه ، تضاف الى زوجاته ويدفع حياته احياناً من اجل الاحتفاظ بها .

* * *

لم تكد فهيمة تختم محاضرتها ، حتى دوى التصفيق ، ثم تحلق المعجبون والمعجبات حولها يطلبون توقيعها وصورتها ، فقضت وقتاً طيباً في تقبل التهاني ، ثم انصرفت برفقة الدكتور برهام الذي قال وهو يقود سيارته : نحن مدعوان الى حفلة عشاء في نادي الصناعيين ، فهل نذهب فوراً أم نمر على شقتك لتبدلي ثوبك .

ـ دعنا من العشاء وقل لي ماذا فعلت لمعرفة عنوان زوجي ، هل حصلت على عنوانه ؟ .

ـ اتصلت بشاين فاعلمني ، بان زوجك قرر الرحيل الى بلده ، لقد ادهشني الخبر ، كيف يقرر الرحيل دون استشارتك ، أما زال يعتبرك من ممتلكاته ، انصحك بالتخلي عنه .

شعرت الدكتورة فهيمة بخطيئتها ازاء زوجها ، وزاد كلام برهام من غربتها ،واحست بتحريضه المفضوح على انسان مناضل لم يؤذ احداً ولم يعارض احداً بل ضحى بحياته بكل اخلاص وشهامة ، فاجابت الدكتور برهام بلهجة حاسمة :

ـ ارجوك دكتور برهام . . انا لا اسمح لك بالتدخل في اموري الشخصية زوجي حر في اسلوب معاملتي ، وانا حرة بقبول اسلوبه أو

رفضه ، ولا يحق لانسان مهما كان شديد الصلة بنا أن يتدخل .

شعر برهام بالصد فحاول ان يبرر فقال : أنسيت يوم اتيت عند البروفسور شاين شاكية باكية من سوء سلوك زوجك وخيانته لك مع عارضة الازياء روزا . . انني الفت نظرك الى سوء معاملته لك .

ردت فهيمة بحزم : كانت نزوة عابرة منه في عالم جديد لم يألفه من قبل كما كانت خطيئة مني أن الجأ الى غير زوجي لاقناعه ، انا لا اقبل ان يمن احد عليه سواي .

صرخ برهام محرضاً : هل يحق له ان يقرر السفر دون ان يتصل بك أو يراجع المعهد التقني ومشروع الميني شوز المنتمي إليه .

ضحكت فهيمة ساخرة من كلام برهام وقالت : أصدر قراراً بفصله عن مشروع الميني شوز لانه لم يراجع المكتب وتصرف فردياً ، أصدر قراراً لانه انحرف ولم يعد يطيع اوامر القيادة ، لاننا اهملناه في المستشفى ونسينا ان ندفع المصاريف عنه وتركناه مرهوناً مهاناً ذليلاً .

مرت فترة صمت ثم قطع برهام الصمت قائلاً : لن اتدخل في علاقتك مع زوجك ، شرط ألا تؤثر على مخططاتنا .

ـ انا احرص منك على التفريق بين برنامج الميني شوز وبين حقوق زوجي .

وصل برهام بسيارته الى الدوار الرئيسي وانعطف فسألته فهيمة : الى اين انت متجه يا دكتور برهام .

شعر برهام بحرج وقال : الا اوصلك الى شقتك .

اجابت فهيمة : اوصلني عند البروفسور شاين ، ساعتمد على البروفسور لايجاد زوجي ، فلابد انه يعرف المزيد عن اوضاعه .

ازداد حرج برهام ، وخاف من اتصال فهيمة بالبروفسور

شاين ، ولاسيما بعد ظهور زوجها من جديد على الساحة ، فقرر ألا يسمح بهذا اللقاء فابلغها ان زوجها قد حصل على عنوان شقتها ، وسيحاول الاتصال بها .

أحست فهيمة بالدور القذر الذي يلعبه برهام معتمداً على طيبتهم وعلى جهلهم بطبيعته الماكرة الغدارة فقالت : أنت ماكر لِمَ لَمْ تذكر هذا الخبر الهام لي ، ساحرص بعد الآن على التحقق من صدق كل كلمة تنطق بها ، مهما كانت صغيرة .

اجاب برهام : غاب الخبر عن ذهني بسبب كثرة اشغالي ، ساوصلك الى شقتك ، وارجو ان تقضيا ليلة سعيدة ، واعدك ان احضر غداً حفلة رائعة احتفالاً بخروج زوجك الرائد العظيم من المستشفى ، وساوجه تعليماتي الى الاذاعة لتبرز اسمه من جديد بين القياديين .

نزلت فهيمة من السيارة واتجهت الى شقتها بينما كان الدكتور برهام يثرثر بوعود كثيرة ويؤكد على ضرورة الاتصال به غداً ، ليقوم بواجبه كاملاً تجاه الدكتور غالي .

• • •

وقفت الدكتورة فهيمة وسط شقتها الفاخرة الكائنة في افخم حي من احياء باريز ، وراحت تتأمل الرفاه الذي حصلت عليه ، والترف الذي تعيش وسطه ، وقد ارتدت ثوباً فاضحاً وانيقاً ومزيناً بخيوط ذهبية وفضية ، وتمنت ان يقرع زوجها الباب لتريه هذا النعيم الذي اعدته لتقاسمه اياه ، وقرع غالي الباب فهرعت لتفتح له .

دخل غالي عدة خطوات ، ثم وقف في الدهليز ، ونظر الى زوجته فرآها تتزين بمجموعة من الحلي من منتجات مؤسسة (ر . ر)

وحاولت فهيمة ان تقترب منه لتأخذه بين ذراعيها ، ولكن بروده الجمها فبدأت الحديث : انا مشتاقة اليك كثيراً انا ملهوفة على لقائك ، لم لم تتصل بي بعد خروجك من المستشفى ؟ .

لم يجب غالي فاضطربت وامسكت يده وشدته الى داخل الشقة لتريه فخامتها ، فاخذته الى مكتبها الفخم وقالت ترغبه : انني اتقاضى راتباً كبيراً من برنامج مراجعة الحاجات ، وانا من اشهر واقوى العاملين في قيادة المشروع ، ساحقق لك رفاهاً لم يعرفه انسان من قبل ، وترفاً سينسينا شقاء عمرنا السابق .

حافظ غالي على بروده وقال : جئت لآخذ امتعتي واودعك وارحل .

صاحت فهيمة : لا يا غالي لا . . لا يوجد سبب لرحيلك تعال معي لاريك غرفة نومك .

وشدته ثانية نحو غرفة النوم الفخمة التي تبهر البصر ومتنه بليال ثرية في تلك الغرفة وعلى سريرها وفراش سريرها اللين المصنوع من ريش النعام . واستلقت فهيمة على الفراش وفردت اعضائها فظهرت ملابسها الداخلية الانيقة التي تحمل شعار روبير رودان وبان حبقها في عينيها وظهر شبق غالي اليها في عينيه ، وهم بها ولكن الما بالغاً شل كتفه فجمد في مكانه وقال : انا آسف يا فهيمة ، انا لم آت معك هذه الرحلة بغية الحصول على الترف والبذخ ، انا ارفض هذا التواطؤ حتى مع زوجتي على حساب الآخرين ، لن اعمل على زيادة التلوث في العالم ، ولن افسح مجالاً لانتشار الفساد والرشاوى ، وادفع البشر الى الحرص على امتلاك السلاح للاجرام والحروب

صاحت فهيمة : احبك ياغالي احبك واحب أن ينشأ اطفالنا في الرفاه .

قال غالي وهو يتأمل ثوبها الفاضح الذي كشف عن عري إبطيها وعري صدرها :لن يكون لي طفل من امرأة غريبة عني .

صاحت باستنكار ودهشة : هل صرت تشعر بي غريبة عنك .

قال غالي : نعم صرت غريبة ، ثيابك مظهرك . . رغباتك انفعالاتك . لم يعد شيء واحد فيك يذكرني بزوجتي فهيمة ، بحبيبتي فهيمة ، اريدك نقية نقاء اشعة الشمس ، صافية صفاء ماء النبع الذي اغتلست فيه ، سلسة كانشودة الكناري الاصفر الذي اسمعنا الحانه ونحن متعانقان في الجزيرة . اريد حرمنا المصون فهيمة ، اريد عزيزتنا فهيمة أو فهيمتنا عزيزة .

اجهشت فهيمة ثم بكت وكانت تلتفت نحو زوجها بين حين وآخر لتردد عبارة واحدة : غالي لا استطكيع ان اترك هذا الثراء ، غالي لا استطيع ان اعود مدرسة . . فكر في طموحي .

قال غالي : سنعود يافهيمة لنتابع النضال في بلدنا ، سنعود لندعو الناس الى مراجعة الحاجات ، سنحاضر ونخطب ونكتب ضد الاستهلاك المتزايد وضد الطبقة الفاجرة التي لم تعرفها بلدنا الا في عهود الانحطاط . . سنواجه ونخلق تياراً فكرياً واعياً يصمد امام كل انواع المغريات ، سنصبح رائدين في وطننا .

وقفت فهيمة وعانقت زوجها وما زالت العبرات تنساح من عينيها ووجهها مرطب بالدموع وقبلته على وجنتيه وفمه ، فعانقها غالي وقبلها على عنقها وفيها وعينيها ، فابتسمت وقالت : أتريدون أن اخاطبكم بالجمع ياغالي؟ ؟

ـ نعم . . احببته من فمك ، ومازلت احبه .

ـ على رسلكم ياغالي . . ضموني الى صدركم ياغالي .

- تعالي يافهيمة . . تعالي ايتها الغالية .

- ماذا تريدون من غاليتكم ياغالي .

« نريد ان نرحل معاً ، ونناضل معاً ، نعشق حرمنا المصون ونحن نشوي سمكة في البرية ، أو نأكل في مطعم فخم ، ونحن ننام في كهف على اوراق الشجر ، او نكون على سرير . . علاقتنا ودادنا . .تفاهمنا رباطنا المقدس » .

* * *

بقيت السلة والبقجة وطاسة الرعبة في افخم امكنة في باريز ، وغادرت مطار أورلي عدة حقائب كتب عليها عنوان واضح (سوريا طرطوس جزيرة ارواد) .

تمت .

دمشق في ١٩٩١/٩/٢٢